مُهذبُ الأغاني

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الرابع

فى الشعراء الاسلاميين

م ٠٠ مصر شركة مساهمة مصرية
٢٠٠٠/٢٥/١٠٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو كلدة

هو عبيد بن منقذ بن حجر الجشمي من جشم بن غَنْم ثم من بكر

شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأُمرية ومن ساكني الكوفة ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث، فقتله الحجاج، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجاج ، ومن قوله فى بعض مواقفه

أيا لَهفى ويا حزنى جميعاً — ويا غم الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعاً — وخلينا الحلائل والبنينا
فما كنا أُناساً أهل دين — فنصبرَ للبلاء اذا بُلينا
ولا كنا أُناساً أهل دنيا — فنمنعها وان لم نرجُ دينا
تركنا دورنا لطَغَام عَكّ — وأنباط القُرى والأَشْعَرِينا

وكان من أخص الناس بالحجاج حتى انه بعثه وبعث معه عبد الله بن شداد الليثى الى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، فخطب الحجاج منه ابنته أم كلثوم ، ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث ، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجاج فلما أتى الحجاج برأسه ووضع بين يديه مكث ينظر اليه طويلاً ثم قال كم من سر أودعته في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيت به مقطوعاً ، فلما كان يوم الزاوية خرج ابن كلدة بين الصفين ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها

فقل للجُوَيْرِيَات يبكين غيرنا — ولا تبكنا الا الكلاب النوابح
بكين علينا خشية أن تبيحها — رماح النصارى والسيوف الجوارح

بكين لكيما يمنعوهن منهمُ ... وتأبى قلوب أضمرتها الجوانح
وناديننا أين الفرار وكنتمُ ... تغارون أن تبدو البُرى والوشائح (١)
أأسلمتمونا للعدو على القنا ... اذا انتزعت منها القرون النواطح
فما غار منكم غائر لحليلة ... ولا عزب عزّت عليه المناكح

فلما أنشدهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا ، فشدوا شدة تضعضع لها عسكر الحجاج ، وثبت لهم الحجاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا فكانت الدائرة له فجعل يقتل الناس بقية يومه حتى صاح به رجل والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت في العفو ، وقد خالفت الله فينا وما أطعته ، فقال له وكيف ؟ ويلك ، قال لأن الله تعالى يقول « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإمّا فداء حتى تضع الحرب أوزارها » وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل ثم قال أو امنن ، فقال أولى لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت ؟ ثم نادى برفع السيف وأمن الناس جميعاً

كان سليمان بن عمرو بن مرثد البكري صديقاً لأبي كلدة وكان فارساً شجاعاً وقتله ابن خازم لشيء بلغه فأنكره ، وفيه يقول أبو كلدة

اذا كنت مرتاداً كريماً مكرماً ... نماه سَراة من سَراة بني بكر
فلا تعدُ ذا العليا سليمان عامراً ... تجد ماجداً بالجود منشرح الصدر
كريماً على عِلاّته يبذُل الندى ... ويشربها صهباء طيبة النَّشْر
معتقة كالمسك يذهب ريحها الـ ... ـزُّكام وتدعو المرء للجود بالوفر

(١) الوشاح بضم الواو وكسرها شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها جمعه وشح وأوشحة ووشائح والبرة بضم الباء وفتح الراء كل حلقة من سوار وقرط وخلخال جمعه برى

وتترك حاسي الكأس منها مرنّحا يميد كما ماد الأثيم من السكر
تلوح كعين الديك ينزو حبابها اذا مزجت بالماء مثل لظى الجمر
فتلك اذا نادمت من آل مرثد عليها نديماً ظل يهرف بالشعر
يُغَنِّيك تاراتٍ وطوراً يكرها عليك بحيّاك الاله ولا يدرى
تعود ألّا يجهل الدهر عندها وأن يبذل المعروف فى العسر واليسر
وان سليمان بن عمرو بن مرثد تألّى يميناً أن يريش ولا يبرى
فهمته بذل الندى وابتنا العلا وضرب طُلى الأبطال فى الحرب بالبتر
وفى الأمن لا ينفك نحو مدامة اذا ما دجا ليل الى وضح الفجر

فلما بلغت سليمان هذه الأبيات ، قال هجاني أخي وما تعمد ، لكنه يرى أن أن الناس جميعاً يؤثرون الصهباء كما يؤثرها هو ويشربونها كما يشربها ، وبلغ قوله أبا كلدة فأتاه فاعتذر اليه وحلف أنه لم يتعمد بذلك ما يكرهه وينكره ، قال قد علمت بذلك وشهدت لك به قبل أن تعتذر وقبل عذره

عشق دِهقانة ببُسْت وكان يختلف اليها ويكون عندها دائماً وقال فيها

وكأس كأن المسك فيها حسوتها ونازعنيها صاحب لى ملوّم
أغرّ كأن البدر سنة وجهه له كفل وافٍ وفرْع ومبسم
يضيء دُجا الظلماء رَوْنَقُ خده وينجاب عنه الليل والليل مظلم
وثديان كالحُقّين والمتن مُدْمَج وجيد عليه نسق در منظم
وبطن طواه الله طياً ومنطق رخيم وردف نيط بالحِقو مُفأم (١)
به تبلتني واستبتني وغادرت لظى فى فؤادي نارها تتضرم
أبيت بها أهذي اذا الليل جنني وأصبح مبهوتاً فما أتكلم

(١) مفأم ممتلىء شحماً

فمن مبلغ قومي الذي أن مهجتي تبين لئن بانت ، ألا تتلوم ؟
وعهدي بها والله يصلح حالها تجود على من يشتهيها وتنعم
فما بالها ضنت على بودها وقلبي لها ياقوم عانٍ متيم

دعا رجلاً من قومه الى الشراب وكان ينادمه قبلاً بتُستَر فامتنع وقال انى قد تركتها لله ، فقال أبو كلدة

ألا رب يوم لي بِبُستَ وليلة ولا مثل أيامي المواضي بتُستَر
غذيت بها أُسقِي سلاف مُدامة كريم المحيَّا من ذرانين يشكُر
نبادر شرب الراح حتى نهرها وتتركنا مثل الصريع المعفَّر
فذلك دهر قد تولى نعيمه فأصبحت قد بُدِّلت طول التوقر
فراجعني حلماً وأصبحت منهج الشـــراب وقد كنت كالمتحير
وكل أوان الحق أبصرت قصده فلست وان نبهت عنه بمقصر
سأركض فى التقوى وفى العلم بعدما ركضت الى أمر الغوىِّ المشهر
وبالله حولى واحتيالى وقوتى ومن عنده عرفي الكثير ومنكرى

ولي مِسمَع بن مالك سجستان وكان مكث أبى كلدة بها ، فخرج اليه وتلقاه ومدحه بقصيدته التي أولها

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا وليت وصلاً لها من حبلها رجعا
شطَّتْ بها غربة زَوْرَاء نازحة فطارت النفس من وجد بها قِطعا
ما قرت العين اذ ذلت فينفعها طعم الرُّقاد اذا ما هاجع هجعا
منعت نفسى من روح تعيش به وقد أكون صحيح القدْر فانصدعا
غدت تلوم على ما فات عاذلتى وقبل لومك ما أغنيت من منعا
مهلاً ذريني فانى غالنى خُلُقى وقد أرى فى بلاد الله متسعا

مجدى تليد وما أنفقت أخلفه | سَيْب الاله وخير المال ما نفعا
ما عضنى الدهر الا زادنى كرماً | ولا استكنت له ان خان أوخدعا
ولا تلين على العِلّات مَعْجَمتى | فى النائبات اذا ما مسنى طَبَعا
ولا تُلَيِّن من عودي غمائزه | اذا المغمَّز منها لان أو خضعا
ولا أخاتل رب البيت غفلته | ولا أقول لشىء فات ما صنعا
انى لأمدح أقواماً ذوى حسب | لم يجعل الله فى أقوالهم جزعا
الطيبين على العِلات مَعْجَمة | لو يعصر المسك من أطرافهم نبعا
بنى شهاب بها أعنى وانهم | لأكرم الناس أخلاقاً ومصطنعا

فوصله مِسْمَع وحمله وكساه وولاه ناشتكين وكان مكتبه ، ثم توفى مسمع بسجستان، فقال يرثيه

أقول للنفس تأساء وتعزية | قد كان من مِسْمَع فى مالك خلف
يا مسمع الخير مَنْ ندعو اذا نزلت | احدى النوائب بالأقوام واختلفوا
يا مسمعاً لعراق لا زعيم لها | بمن ترى يأمن المستشرف النَّطِف[1]
تلك العيون بحيث المصر سادمة | تبكيك اذ غالك الأكفان والجُرُف
قد وسدوك يميناً غير موسدة | وبذل جود لما أودى بك التلف
كنت الشهاب الذى يرمى العدو به | والبحر منه سِجال الجود تغترف

فرّق مسْمَع بن مالك فى عشيرته بنى قيس بن ثعلبة عطايا كثيرة وقربهم وجفا سائر بطون بكر بن وائل ، فقال أبو كلدة

اذا نلت مالاً قلت قيس عشيرتى | تجور علينا عامداً فى قضائكا
وان كانت الأخرى فبكر بن وائل | بزعمك يخشى داؤها بدوائكا
هنالك لا نمشي الضَّرَّاء[2] اليكم | بنى مِسْمَع انا هناك أولئكا

(١) النطف الرجل المريب (٢) الضراء الاستخفاء

عسى دولة الذُّهلين[1] يوماً ويشكر   تكرّ علينا صبغة من عطائكا

ثم مدح مقاتل بن مسمع طمعاً فى مثل ما كان مسمع يعطيه ، فلم يلتفت اليه وأمر أن يحجب عنه ، فقيل له تعرضت للسان أبي كلدة وخبثه ، فقال ومن هو الكلب ؟ وما عسى أن يقول ؟ قبحه الله وقبح من كان منه فليجهد جهده ، فبلغ ذلك من قوله أبا كلدة ، فقال يهجوه

قَرَى ضيفه الماء القَرَاحَ ابنُ مسمعٍ   وكان لئيماً جاره يتذلل
فلما رأى الضيفُ القِرى غير راهن[2]   لديه تولى هارباً يتململ
ينادى بأعلى الصوت بكرَ بن وائل   ألا كل من يرجو قِرًا كم مضلل
عميدكمُ هرَّ[3] الضيوف فما لكم   ربيعةُ أمسى ضيفكم يتحول
وخفتم بأن تقرُوا الضيوف وكنتمُ   زماناً بكم يحيا الضَّريكُ[4] المُقيَّل
فما بالكم بالله أنتم بخلتمُ   وقصرتمُ والضيف يُقْرَى ويُنْزَل
ويكرم حتى يقترى حين يُقْتَرَى[5]   يقول اذا ولى جميلاً فيجمل
فهلا بنى بكر دعوا آل مسمعٍ   ورأيهم لا يسبق الخيل مُحْثَل[6]
ودونكمُ أضيافكم فتحدبوا   عليهم وواسوهم فذلك أجمل
ولا تصبحوا أُحدوثة مثل قائل   به يضرب الأمثال من يتمثل
اذا ما التقى الركبان يوماً تذاكروا   بنى مسمع حتى يُحَمَّوْا ويثقلوا
فلا تقربوا أبياتهم ان جارهم   وضيفهمُ سيان أنَّى توسلوا
هم القوم غرَّ الضيفَ منهم رُوَاؤهم   وما فيهمُ الا لئيم مُبَخَّل

(١) الذهلان من بكر بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل وبنو ضبيعة بن ربيعة

(٢) رهن الشيء بالمكان ثبت ودام (٣) هر فى وجه السائل تجهمه (٤) الضريك الضرير والفقير السيء الحال والمقيل الضعيف الرأى (٥) يقترى يضاف

(٦) المحثل السيء الغذاء

ولو بنى شيبان حلت ركائبى   لكان قراهم راهناً حين أنزل
أولئك أولى بالمكارم كلها   وأجدر يوماً أن يواسوا ويفضلوا
بنى مِسمَع لا قرب الله داركم   ولا زال واديكم من الماء يُمحل
فلم تردعوا الأبطال بالبيض والقنا   اذا جعلت نار الحروب تأكل

قال رجل للبعيث أى رجل هو أبو كلدة ؟ فقال قتادة بن معرب أعرف به حيث يقول

ان أبا كلدة من سكره   لا يعرف الحق من الباطل
يزداد غياً وانهما كاً ولا   يسمع قول الناصح العاذل
أعيا أبوه وبنو عمه   وكان فى الذروة من وائل
فليته لم يك من يشكر   فبئس خِدْن الرجل العاقل
أعمى عن الحق بصير بما   يعرفه كل فتى جاهل
يصبح سكران ويمسى كما   أصبح لا أُسقيِ من الوابل
شد ركاب الغىّ ثم اغتدى   الى التى تجلب من بابل
فالسجن ان عاش له منزل   والسجن دار العاجز الخامل

وقال أبو كلدة يجيبه

قبحت لو كنت امرأ صالحاً   تعرف ما الحق من الباطل
كففت عن شتمي بلا إحنة   ولم تورط كفّة الحابل
لكن أبت نفسك فعل النُّهَى   والحزم والنجدة والنائل
فتحت لى بالشتم حتى بدا   مكنون غش فى الحَشَى داخل
فاجهد وقل لا تَتَّرِكْ جاهداً   شتم امرىء ذى نجدة عاقل
تعذلنى فى قهوة مُزَّة   درياقة تجلب من بابل

وَلو رآها خرَّ من حبها   يسجد للشيطان بالباطل
يا شر بكرٍ كلها مَخْتِداً   وهُمَزَةَ المختلس الآكل
عرضك وفِّه ودعني وما   أهواه يا أحمق من باقل

ومن قوله يشبب بابنة أحد الدهاقين

ان في القصر ذي الخبا بدرَ تِمٍّ   حسن الدلِّ للفؤاد مصيبا
ولعاً بالخَلوق يأرج منه   ريح رَنْد اذا استقل منيبا
يلبس الخزَّ والمطارف والقزَّ   وعَصْباً من اليماني قشيبا
ورأيت الحبيب يُبْزز كماً   ما رآه المحب الا خضيبا

فبلغ ذلك من قوله الدهقان فأهدى له وبره ، وسأله ألاَّ يذكر ابنته في شعر بعد ذلك

لحق أبا كلدة ضَيْم من بعض الولاة فهتف بقومه فلم يقدروا على منعه منه ولا معونته رهبة للسلطان ، فهتف بأعلى صوته يامِسْمَعَ بن مالك ياأمير بن أحمر[1] ، ثم أنشأ يقول

ولما أن رأيت سَراة قومي   سكوتاً لا يثوب لهم زعيم
هتفت بمِسْمَعٍ وصدَى أمير   وقبر مَعْمَرٍ[2] تلك القروم

فأبكى جميع من حضر وقاموا جميعاً الى الوالي فسألوه في أمره حتى كف عنه

خطب أبو كلدة امرأة من بني عِجْل يقال لها خليعة بنت صعب ، فأبت أن تتزوجه ، وقالت أنت صُعلوك فقير لا تحفظ مالك ولا تُلفِي شيئاً الا أنفقته في الخمر وتزوجت غيره ، فقال

لما خطبت الى خليعة نفسها   قالت خليعة ما أرى لك مالا

(١) رجل من بني يشكر وكان سيداً جواداً وكان والياً على خراسان في أيام معاوية
(٢) هو معمر بن سمير كان أمير خراسان وكان سيداً شريفاً

أودى بمالى يا خليعَ تكرمى ونَخرُّقى وتحملى الأثقالا
انى وجدِّكَ لو شهدت مواقفى بالسفَّح يوم أُجلل الأبطالا
سيفى لسرك أن تكونى خادماً عندى اذا كره الكُماة نزالا

بلغ أبا كلدة أن زياداً الأعجم هجا بنى يشكر ، فقال فيه

لا تهجُ يَشْكُرَ يا زياد ولا تكن غرضاً وأنت عن الأذى فى معزل
واعلم بأنهمُ اذا ما حصلوا خير وأكرم من أبيك الأعزل
لولا زعيم بنى المعلَّى لم تَثُب حتى نصبحكم بجيش جحفل
تمشى الضَّراء رجالهم وكأنهم أسد القرين بكل عضبٍ مفصَل
فاحذر زياد ولا تكن ذا تُدرَإ(١) عند الرجال ونُهزَةً للختَّل

ومن قوله فى الحضين بن المنذر الرَّقاشى وقد سأله شيئاً فلم يعطه إياه ، وقال لا أعطيه ما يشرب به الخمر

لعمرك انى يوم أُسند حاجتى اليك أبا ساسان غير مُسدَّد
فلا عالم بالغيب من أين ضره ولا خائف نثَّ الأحاديث فى غد
فليت المنايا حلَّقت بى صروفها فلم أطلب المعروف عند المُصرَّد(٢)
فلو كنت حراً يا حضين بن منذر لقمت بحاجاتى ولم تتبلد
تجهمتنى خوف القرى واطَّرحتنى وكنت قصير الباع غير المقلد
ولم تعدُ ما قد كنت أهلا لمثله من اللؤم يا ابن المستذلّ المعبَّد

ومن قوله

صحا قلبى وأقصر بعد غىٍّ طويل كان فيه من التوانى
بأن قصد السبيل فباع جهلاً برشد وارتجى عقب الزمان

(١) التدرأ المدافع ذو العز والمنعة (٢) البخيل

وخاف الموت واعتصم ابن حجر ... من الحب المبرح بالجنان
وقدماً كان معتزماً جموحاً ... الى لذاته سلس العنان
وأقلع بعد صبوته وأضحى ... طويل الليل يهرف بالقران
ويدعو الله مجتهداً ليكيا ... ينال الفوز من غرف الجنان

ومن قوله يعتذر الى يزيد بن المهلب من قول بلغه عنه

أبا خالد ركني ومن أنا عبده ... لقد غالني الأعداء عمدا لتغضبا
فان كنتُ قلت الآن أتاك به العدى ... فشلت يدي اليمنى وأصبحت أعضبا
ولا زلت محمولاً عليَّ بليــــة ... وأمسيت شِلْواً للسباع مترّبا
فلا تسمعا قول العدى وتبيناً ... أبا خالد عذراً وان كنت مُغْضَبا

كان أبو كلدة يشرب مع ابن عم له ، فسكر نديمه فعربد عليه وشتمه ، فاحتمله أبو كلدة وقال

أبى لى أن ألحَى نديمي اذا انتشى ... وقال كلاماً سيئاً لى على السكر
وقاري وعلمى بالشراب وأهله ... وما نادم القوم الكرام كذى الحِجر (١)
فلست بلاح لي نديماً بزلة ... ولا هفوة كانت ونحن على الخمر
عركت بجنبى قول خذنى وصاحبى ... ونحن على صهباء طيبة النشر
فلما تمادى قلت خذها عريقة ... فانك من قوم جحاجحة زهر
فما زلت أسقيه وأشرب مثل ما ... سقيت أخى حتى بدا واضح الفجر
وأيقنت أن السكر طار بلبه ... فأغرق فى شتمى وقال وما يدرى
ولاك لساناً كان اذ كان صاحياً ... يقلبه فى كل فن من الشعر

ومن قوله يمدح مالك بن مِسْمَع

يسعى أُناس لكي يدركوك ولو ... خاضوا البحار أوضحضاحها غرقوا (٢)

(١) الحجر العقل (٢) الضحضاح الماء القريب القعر

وأنت فى الحرب لارَثّ القوى بَرِم ... عند اللقاء ولا رِعْدِيدة فَرِق
كل الخلال التى يسعى الكرام لها ... ليمدحوك بها يوماً فقد صدقوا
ساد العراق وحال الناس صالحة ... وسادهم وزمان الناس منخرق
لا خارجى ولا مستحدث شرفاً ... بل مجد آل شهاب كان مذ خلقوا

كان لأبى كلدة بسجستان جار يقال له سيف من بنى سعد ، وكان يشرب الخمر ويعربد على أبى كلدة فقال يهجوه

قل لذوى سيف وسيف ألستمُ ... أقل بني سعد حَصاداً ومزرعا
كأنكمُ جُعلان دار مَضامة ... على عَذِرات الحى أصبحن وُقَّعا
لقد نال سيف فى سجستان نُهزَة ... تطاول منها فوق ما كان أصبعا
أصاب الزنا والخمر حتى لقد نمت ... له مرة تسقى الشراب المشعشَعا
فلولا هوان الخمر ما ذقت طعمها ... ولا سقت ابريقاً بكفك مُتْرَعا
كما لم يذقها أن تكون عزيزة ... أبوك ولم يُعرَض عليها فيطمعا
وكان مكان الكلب أو من ورائه ... اذا ما المغنى للّذاذة أسمعا

وكان أبو كلدة قد استعمله القَعقاع بن شور حين تَولى سجستان على بُسْت والرُّخَّج فأرجف الناس بالقعقاع ، وأرجف به أبو كلدة معهم ، وكتب القعقاع اليه يتهدده ، فكتب اليه أبو كلدة

يهددني القعقاع فى غير كنهه ... فقلت له بكر اذا رُمْتَني تُرْسى
كأنا وإياكم اذا الحرب بيننا ... أُسود عليها الزعفران مع الوَرْس
تُرَى كمصابيح الدَّياجى وجوهنا ... اذا ما لقينا والهِرَقْلِيَّة المُلْس
هناك السعود السانحات جرت لنا ... وتجرى لكم طير البوارح بالنحس
وما أنت ياقعقاع الا كمن مضى ... كأنك يوماً قد نقلت الى الرَّمْس

أظن بغال البُرْد تسرى اليكمُ به غَطَفانياً والا فمن عَبْس
والا فبالبسال يالك ان سرت به غير مغموز القناة ولا نِكْس
فعمالنا أوفى وخير بقيــــةً وعمالكم أهل الخيانة واللبس
وما لبنى عمرو علىّ هوَادة ولا لرَباب غير تعس من التعس

فلما انتهت هذه القصيدة الى القعقاع وجه برسول الى أبى كلدة وقال انظر فان كان كتب هذا الكتاب بالغداة فاعزله ، وان كتبه بالليل فأقره على عمله ولا تعزله ولا تضربه ، وكان أبو كلدة صاحب شراب ، فقال للرسول والله ما كتبته الا بالعشى ، فسأله البينة على ذلك ، فأتاه بأقوام شهدوا له بما قال ، فأقره على عمله وانصرف عنه

زياد الأعجم

هو زياد بن سليمان مولى عبد القيس ، وكان ينزل إصْطَخْر فغلبت العُجْمة على لسانه فقيل له الأعجم ، كان شاعراً جَزْل الشعر فصيح الألفاظ على لُكْنة فى فى لسانه وجريه على لفظ أهل بلده

ومن قوله يرثى المغيرة بن المهلب وهي من نادر الكلام ونقى المعانى ومختار القصائد وهى معدودة من مراثى الشعراء فى عصر زياد ومُقدَّمها

يا من بمَغْدَى الشمس أو بمرَاحها أو من يكون بقرْنها المتنازح
قل للقوافل والغزِىّ اذا غزوا للبـا كرين وللمُجدّ الرائح
ان السماحـة والمروءة ضُمِّنا قبراً بمَرْوَ(١) على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقِر به كُومَ الجِلاَد(٢) وكل طِرْف سابح

(١) أشهر مدن خراسان وقصبتها وتعرف بمرو الشاهجان
(٢) الجلاد الكبار من الابل التى لاصغار فيها وأحدها جلد بفتح الجيم واللام

وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخادم وذبائح
واظهر ببزّته وعقد لوائه ... واهتف بدعوة مصلتين شرامح (١)
آب الجنود معقّلاً أو قافلاً ... وأقام رهن حفيرة وضرائح
وأرى المكارم يوم زيل بنعشه ... زالت بفضل فواضل ومدائح
رجفت لمصرعه البلاد وأصبحت ... منا القلوب لذاك غير صحائح
ألآن لما كنت أكرم من مشى ... وافترّ نابك عن شباة القارح (٢)
وتكاملت فيك المروءة كلها ... وأعنت ذلك بالفعال الصالح
فكفى لنا حزناً ببيت حلّه ... احدى المنون فليس عنه ببارح
فعفت منابره وحطّ سروجه ... عن كل طامحة وطرف طامح
واذا يناح على امرىء فتعلمن ... ان المغيرة فوق نوح النائح
تبكى المغيرة خيلنا ورماحنا ... والباكيات برنّة وتصايح
مات المغيرة بعد طول تعرّض ... للموت بين أسنّة وصفائح
والقتل ليس الى القتال ولا أرى ... موتاً يؤخر للشفيق الناصح
لله درّ منيـــة فاتت به ... فلقد أراه يردّ غرب الجامح
ولقد أراه مجفّفاً (٣) أفراسـه ... يغشى الأسنة فوق نهد قارح
فى جحفل لجب ترى أبطاله ... منه تعضّل (٤) بالفضاء الفاسح
يقص (٥) الحزونة والسهولة اذ غدا ... بزهاء أرعن مثل ليل جانح
ولقد أراه مقدماً أفراســـه ... يذنى مراجح فى الوغى لمراجح
فتيان عادية لدى مرسى الوغى ... سنوا بسنة معلمين جحاجح

---

(١) مصلتين يعنى أنهم أصلتوا سيوفهم وسلوها والشرامخ الطوال (٢) القارح من ذوات الحافر الذى شق نابه وطلع والشباة الفرس العاطية فى العنان (٣) جنف الفرس ألبسه التجفاف وهو آلة للحرب تلبسها الفرس والانسان يتق بها كأنها درع (٤) تعضل تنشب (٥) يدقها

لبسوا السوابغ فى الحروب كأنها غُدُرٌ تحَيَّرُ (١) فى بطون أباطح
واذا الضِّراب عن الطِّعان بدالهم ضربوا بمُرْهَفَة الصدور جوارح
لو عند ذلك قارعته منية قَرَعَ الحواء (٢) وضُمَّ سَرْحُ السارح
كنت الغياث لأرضنا فتركتنا فاليوم نصبر للزمان الكالح
فانْعَ المغيرة للمغيرة اذ غدت شعْواء (٣) مُجْحِرة لنبح النابح
صفان مختلفان حين تلاقيا آبوا بوجه مُطَلِّق أو ناكح
ومُدَجَّج كره الكُماة نزاله شاكي السلاح مُسايف أو رامح
قد زار كبش كتيبة بكتيبة يُودِى لكوكبها برأس طامح
غيْرْ ان دون نسائه وبناته حامى الحقيقة للحروب مُكاوِح (٤)
سبقت يداك له بعاجل طعنة شَهِقت لمنفذها أصول جوانح
والخيل تَضْبَح بالكُماة وقدجرت فوق النحور دماؤها بسرائح (٥)
يا لَهْفَنَا يا لهفتا لك كلما خيف الغرار على المُدرِ (٦) الماسح
تشفى بحلمك لابن عمك جهله وتَذُبّ عنه كِفاح كل مكافح
واذا يصول بك ابن عمك لم يَصُل صِلٌ يموت سليمه قبل الرُّقَى
بِوا كِل وكِل غداة تجالُح (٧)
ومخاتل لعدوه بتصافح
واذا الأمور على الرجال تشابهت وتنوزعت بمَغالق ومفاتح
قتل السَّحيل بمُبْرَم ذى مِرّة دون الرجال بفضل عقل راجح
وأرى الصعالك للمغيرة أصبحت تبكى على طَلْقِ اليدين مسامح
كان الربيع لهم اذا انتجعوا النَّدى وخَبَتْ لوامع كل برق لامح

(١) تحير تدافع (٢) الحواء البيوت المتدانية (٣) غارة شعواء متفرقة وأجحره الجأه الى أن يدخل فى جحره (٤) يمارس (٥) السرائح السيور وهى سيور نعال الابل (٦) المدر من كثر عرقه (٧) التجالح التكاشف والوكل الذى يتكل على غيره

كان المهلب بالمغيرة كالذى ألقى الدِّلاء الى قَليب المائح
فأصاب جُمَّة ما استقى فسقى له فى حوضه بنوازع ومَوائح
أيامَ لو يحتلّ وسط مفازة فاضت معاطشها بشِرْب سائح
ان المهالب لن يزال لها فتى يَمْرى قوادم كل حرب لاقح
بالمُقْرَبات لواحقا آطالها تجتاب سهل سَباسب وصَحاصح
متلببا تهفو الكتائب حوله مُلْحَ المتون من النَّضيح الراشح
مَلِك أغرّ متوج يسمو له طَرْف الصديق بغَضّ طَرْف الكاشح
رَفّاع ألوية الحروب الى العدى بسُعود طير سانح وبوارح

قال أبو العباس ولقد أنشدت لبعض المحدثين فى نحو هذا المعنى أبياتاً حسنة ثم أنشد

أيها الناعيان من تَنْعَيان وعلى من أراكما تبكيان
اندُبا الماجد الكريم أبا اسـحاق رب المعروف والاحسان
واذهبا بى ان لم يكن لكما عَقْـر الى جنب قبره فاعقرانى
وانضحا من دمى عليه فقد كا ن دمى من نداه لو تعلمان

كان المهلب بخراسان فخرج اليه زياد فمدحه ، فأمر له بجائزة ، فأقام عنده أياماً قال فأنا لَعَشيَّةً نشرب مع حبيب بن المهلب فى دار له وفيها حمامة اذ سجعت الحمامة فقال زياد

تغنَّىْ أنت فى ذممى وعهدى وذمة والدى ان لم تطاري
وبيتكِ أصلحيه ولا تخافى على صُغْر مُزَغَّبة صغار
فانك كلما غنيت صوتاً ذكرت أحبتى وذكرت دارى
فاما يقتلوك طلبت ثاراً له نبأ لأنك فى جوارى

فنزع حبيب لها سهماً فقتلها ، فوثب زياد على المهلب فحدثه الحديث ، فقال المهلب لحبيب أعط ابا أمامة دية جارته ألف دينار فأنشأ زياد يقول

فلله عينا من رأى كقضية قضى لي بها قَرْمُ العراق المهلب

رماها حبيب بن المهلب رمية فأثبتها بالسهم والسهم يقرب

فألزمه عقل القتيل ابن حرة وقال حبيب انما كنت ألعب

فقال زياد لا يروع جاره وجارة جاري مثل جاري وأقرب

فحمل حبيب له ألف دينار على كره منه ، فانه ليشرب مع حبيب يوماً اذ عربد عليه حبيب وقد كان حبيب ضَغِن عليه مما جرى فأمر بشق قَباء ديباج كان عليه فقال

لعمرك ما الديباج خرقت وحده ولكنما خرقت جلد المهلب

فبعث المهلب الى حبيب وقال له صدق زياد ما خرقت الا جلدي تبعث عليّ هذا يهجوني ، ثم أبعث اليه فأحضر فاستل سخيمته من صدره وأمر له بمال وصرفه

ومن قوله يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر

سألناه الجزيل فما تأبى فأعطى فوق مُنْيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا فأحسن ثم عدت له فعادا

مراراً ما دنوت اليه الا تبسم ضاحكا وثَنَى الوِسادا

أخ لك لا تراه الدهر الا على العِلاَّت مبتسما جوادا

ومن قوله يمدحه

أبلغ أبا حفص رسالة ناصح أتت من زياد مستبينا كلامها

فانك مثل الشمس لا ستر دونها فكيف أبا حفص عليّ ظلامها

لقد كنت أدعو الله في السر أن أرى أمور مَعَدّ في يديك نظامها

فلما أتاني ما أردت تباشرت بناتي وقلن العام لا شك عامها

فانى وأرضاً أنت فيها ابن معمر ... كمكة لم يَطرَب لأرض حمامها

اذا اخترت أرضاً للمقام رضيتها ... لنفسى ولم يثقل علىّ مقامها

وكنت امنّى النفس عنك ابن معمر ... أمانىّ أرجو أن يتم تمامها

فلاأك كالمُجرِى الى رأس غاية ... يُرجّى سماء لم يُصبه غمامها

فأسنى له جائزته فخرج من عنده حتى قدم على عبد الله بن الحَشرَج وهو بسابور فأنزله وألطفه فقال فى ذلك

ان السماحة والمروءة والندى ... فى قُبّة ضربت على ابن الحَشْرَج

ملك أغرّ متوج ذو نائل ... للمعتفين يمينه لم تَشنَج

ياخير من صعد المنابر بالتقى ... بعد النبى المصطفى المتحرج

لما أتيتك راجياً لنوالكم ... ألفيت باب نوالكم لم يُرتَج

فأمر له بعشرة آلاف درهم

استبطأ زياد عمر بن عبيد الله فى بعض زياراته اياه فقال

أصابت علينا جودك العين ياعمر ... فنحن لها نبغى التمائم والنُشَر (١)

أصابتك عين فى سماحك صُلْبة ... ويارب عين صلبة تفلق الحجر

سنرقيك بالأشعار حتى تملها ... فان لم تفق يوماً رقيناك بالسور

فبلغته الأبيات فأرضاه وسرحه

مر يزيد بن حبناء الضبّى بزياد وهو ينشد شعراً قد هجا به قتادة بن مغرب. فأفحش فيه، فقال له يزيد ألم يأن لك أن ترعوى وتترك تمزيق أعراض قومك. ويحك؟ حتى متى تمادى فى الضلال فكأنك بالموت قد صبحك أو مساك، فقال فيه زياد.

يحذرنى الموت ابن حَبناء والفتى ... الى الموت يغدو جاهداً ويروح

وكل امرئ لا بد للموت صائر ... وان عاش دهراً فى البلاد يسيح

(١) النشر الرقى

فقل ليزيد يا ابن حبناء لا تعظ أخاك وعظ نفساً فأنت جنوح
تركت التقى والدين دين محمد لأهل التقى والمسلمين يلوح
وتابعت مرّاق العراقين سادرا وأنت غليظ القصريين[1] صحيح

فقال له يزيد بن عاصم الليثى قبحك الله أتهجو رجلا وعظك وأمرك بمعروف بمثل هذا الهجاء ؟ هلا كففت اذ لم تقبل، أراه والله سيأتى على نفسك، ثم لا يحيق فيك اذهب ويحك فأته واعتذر اليه لعله يقبل عذرك، فمشى اليه بجماعة من عبد القيس فشفعوا اليه فيه، فقال لا تثريب لست واجداً عليك بعد يومى هذا

أراد الفرزدق أن يهجو عبد القيس فقال له

وما ترك الهاجون لى ان هجوته مصحّاً أراه فى أديم الفرزدق
وما تركوا لحماً يدقون عظمه لآكله ألقوه للمتعرق
سأحطم ما أبقوا له من عظامه فأنكب عظم الساق منه وأنتقى
فانا وما تهدى لنا ان هجوتنا لكالبحر مهما يلق فى البحر يغرق

فقال له الفرزدق حسبك هلم نتشارك: قال ذاك اليك وما عاوده بشئ

دخل أبو قلابة الجرمى مسجد البصرة واذا زياد الأعجم، فقال زياد من هذا ؟ قال أبو قلابة، فقام على رأسه فقال

قم صاغراً يا كهل جرم فانما يقال لكهل الصدق قم غير صاغر
فانك شيخ ميت ومورث قضاعة ميراث البسوس وناشر
قضى الله خلق الناس ثم خلقتم بقية خلق الله آخر آخر
فلم تسمعوا الا بما كان قبلكم ولم تدركوا الا بدق الحوافر
فلو رد أهل الحق من مات منكم الى حقه لم تدفنوا فى المقابر

فقيل له فأين كانوا يدفنون يا أبا أمامة ؟ قال فى النواويس

(١) القصريان ضلعان يليان الترقوتين

شعراء تغلب

الأخطل

هو غياث بن غوث بن الصَّلْتْ من جُشَم بن بكر ثم من تَغْلِبْ ، ويكني أبا مالك ، والأَخطَلَ لقب غلب عليه لأنه هجا رجلاً من قومه فقال له يا غلام انك لأخطل فغلبت عليه ، ومحله فى الشعر أكبر من أن يحتاج الى وصف ، وهو وجرير والفرَزْدَق طبقة واحدة جعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ، ولم يقع اجماع على أحدهم أنه أفضل ولكل واحد منهم طبقة تفضله

جاء رجل الى يونس فقال له من أشعر الثلاثة ؟ قال الأخطل ، قال أبو عبيدة من الثلاثة ؟ قال أى ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم ، قال عمن تروى هذا ؟ قال عن عيسى بن عمر ، وابن أبي اسحق الحضرمى ، وأبي عمرو بن العلاء ، وعَنْبسة الفيل ، وميمون الأقرن الذين ماثوا (١) الكلام وطرّقوه ، لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نحويون ، فسأله الرجل وبأى شيء فضّلوه ؟ قال بأنه كان أكثرهم عدد طوال جياد ليس فيها سَقَط ولا فُحْش وأشدهم تهذيباً للشعر ، وقال الأصمعى ان الأخطل كان يختار تسعين بيتاً ، ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها ، وكان سلَمة بن عياش اذا ذكر الأخطل يقول ومن مثل الأخطل وله فى كل شعر بيتان ؟ ثم ينشد قوله

ولقد علمت اذا الرياح تناوحت ... هُوج الرئال تَكُبُّهن شمالا

أنا نعجل بالغبيط لضيفنا ... قبل العِيال ونضرب الأبطالا

ثم يقول ولو قال

ولقد علمت اذا الريا ... ح تناوحت هُوج الرئال

(١) ماث الشيء ميثاً مرسه بيده وطرق الصائغ الذهب مدده ورققه

كان شعراً ، واذا زدت فيه تسكبهن شمالا كان أيضاً شعراً من روى آخر ، وقال نوح بن جرير لأبيه وكان يأكل وفى فيه لقمة وفى يده أخرى يا أبت أنت أشعر أم الأخطل ؟ فجَرِض باللقمة التى فى فيه ورمى بالتى فى يده وقال يا بنى لقد سررتنى وسؤتنى ، فأما سرورك إياى فتعاهدك مثل هذا وسؤالك عنه ، وأما ما سؤتنى به فلذكرك رجلاً قد مات ، يا بني أدركت الأخطل وله ناب واحد ولو أدركته وله ناب آخر لأكلنى به ولكننى أعانتنى عليه خصلتان كبرسن وخبث دين ، وسئل حماد الراوية عن الأخطل فقال ما تسألونى عن رجل قد حبب شعره الى شعر النصرانية ، وقال أبو عمرو لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من أيام الجاهلية ما قدمت عليه أحداً ، وأنشد بيت شعر فاستجاده وقال لو كان للأخطل مازاد ، وسئل جرير أى الثلاثة أشعر ؟ فقال أما الفرزدق فتكلف منى ما لا يطيق وأما الأخطل فأشدنا اجتزاء بالقليل وأرمانا للفرائص وأنعتنا للحمر والخمر ، وأما أنا فمدينة الشعر ، وقال العلاء ابن جرير اذا لم يجىء الأخطل سابقاً فهو سُكَّيت ، والفرزدق لا سابقاً ولا سُكَّيتاً فهو بمنزلة المصلى ، وجرير يجىء سابقاً وسُكَّيتاً ومصلياً ، وقيل للفرزدق من أمدح أهل الاسلام ؟ فقال الأخطل أمدح العرب ، وكان أبو عبيدة يقول شعراء الاسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق ، وكان أبو عمرو يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره ، وكان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق ، فقال له الفرزدق انما تفضله لانه فاسق مثلك ، فقال لو فضلته بالفسق لفضلتك ، وقال اسحق بن مُرَار الشيبانى الأخطل عندنا أشعر الثلاثة ، فقيل يقال انه أمدحهم ، فقال لا والله ولكن أهجاهم من منهما يحسن أن يقول :

ونحن رفعنا عن سلول رماحنا وعمداً رغبنا عن دماء بنى نصر

وقال الأخطل أشعر الناس قبيلةً بنو قيس بن ثعلبة ، وأشعر الناس بيتاً آل أبي سُلمَى وأشعر الناس رجل فى قميصى

وقال الأخطل لعبد الملك يا أمير المؤمنين زعم ابن المرَاغة (جرير) أنه يبلغ

مدحتك فى ثلاثة أيام وقد أقت فى مدحتك « خف القطين فراحوا منك أو بكروا » سنة فما بلغت كل ما أردت، فقال عبد الملك ما سمعناها يا أخطل، فأنشده إياها، فجعل عبد الملك يتطاول لها، ثم قال له ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال أكتفى بقول أمير المؤمنين، وأمر له بجفنة كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعاً وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول هذا شاعر أمير المؤمنين هذا شاعر العرب

أنشد عبد الملك قول كُثَيِّر فيه

فما تركوها عَنْوَة عن مودة ولكن بحَدِّ المَشْرَفِيِّ استقالها

فأُعْجِبَ به، فقال له الأخطل ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن منه، قال وما قلت ؟ قال قلت

أهَلُّوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالى ملك لا طَرِيف ولا غَصَب

جعلته لك حقاً وجعلك أخذته غصباً، قال صدقت

قال شيخ من قريش رأيت الأخطل خارجاً من عند عبد الملك، فلما انحدر دنوت منه فقلت يا أبا مالك من أشعر العرب ؟ قال هذان الكلبان المتعاقران من بنى تميم (جرير والفرزدق) فقلت أين أنت منهما، قال أنا واللات أشعر منهما، قال فحلف باللات هزؤاً واستخفافاً بدينه

قال رجل شيبانى للأخطل يا أبا مالك انا وان كنا بحيث تعلم من افتراق العشرة واتصال الحرب والعداوة تجمعنا ربيعة وان لك عندى نصحاً، فقال هاته فما كذبت، فقال انك قد هجوت جريراً ودخلت بينه وبين الفرزدق وأنت غنى عن ذلك، ولا سيما أنه يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ويَسُبُّ ربيعة سباً لا تقدر على سب مُضَر بمثله والملك فيهم والنبوة قبله، فلو شئت أمسكت عن مُشارّته ومهارّته، فقال صدقت فى نصحك وعرفت مرادك وصلتك رحم، فوالصليب

والقربان لا تخلص الى كُليب خاصة دون مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره ، ثم اعلم أن العالم بالشعر لايبالي وحق الصليب اذا مرَّ به البيت العائر(١) السائر الجيد أمسلم قاله أم نصراني

أصبح عبد الملك فى غداة باردة ، فتمثل قول الأخطل

اذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشيةً لا شك فيها وأرخى من مآزره الفضولا

ثم قال كأنى أنظر اليه الساعة محلل الازار مستقبل الشمس فى حانوت من حوانيت دِمَشْق ، ثم بعث رجلاً يطلبه فوجد كما ذكره

قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان فنزل على ابن سرحون كاتبه ، فقال عبد الملك على من نزلت ؟ قال على فلان ، قال قاتلك الله ما أعلمك بصالح المنازل فماذا تريد أن يُنْزِلك ؟ قال دَرْمَك(٢) من درمككم هذا ولحم وخمر من بيت رأس ، فضحك عبد الملك ثم قال له ويلك وعلى أى شىء اقتتلنا الا على هذا ؟ ثم قال ألا تُسلم فنفرض لك فى الفيء ونعطيك عشرة آلاف ؟ قال فكيف بالخمر ؟ قال وما تصنع بها ؟ وان أولها لمرّ وان آخرها لسكر ، فقال أما اذ قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلة ماملكك فيها الا كلَعْقة ماء من الفرات بالأصبع ، فضحك ثم قال ألا تزُور الحجاج ؟ فانه كتب يستزيرك ، فقال أطائع أم كاره ؟ قال بل طائع ، قال ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قربه على قربك ، انني إذاً لكما قال الشاعر

كمبتاع ليركبه حماراً تخيره عن الفرس الكبير

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحجاج ، فمدحه بقوله

صرمت حبالك زينب وزَعُوم وبدا المجمجم منهما المكتوم

(١) العائر من السهام ما لا يدرى راميه (٢) الدرمك دقيق الحوارى

ووجّه بالقصيدة مع ابنه اليه وليست من جيد شعره

قال أبو غسّان ذكروا الفرزدق وجريراً فى حلْقة المدائني فقلت لصباح ابن خاقان أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلها ، قال هات ، فأنشدته

ألم يأتها أن الأراقم فَلَّقت جَماجم قيس بين راذان(١) والحَضر
جماجم قوم لم يعافوا ظُلاَمة ولم يعرفوا أين الوفاء من الغدر

فسكت

وللأخطل قصائد طوال جياد ليس فيها فحش ولا سقط ، وقد وجدوا من ذلك عشراً منها

تأبّدَ(٢) الرّبع من سلْمى بأجفار وأقفرت من سليمى دِمْنة الدار
وقد تكون بها سلمى تحدثنى تساقُطَ الحَلْى حاجاتى وأسرارى
ثم استبدَّ بسلْمَى نيَّة قَذَفٌ(٣) وسير منقضب الأقران مِغيار
كأن قلبي غداة البين مقتسَم طارت به عُصَب شتى لأمصار
ولو تَلُفُّ النوى من قد تشوقه إذاً قضيت لُبانَاتى وأوطارى
ظلت ظباء بنى البكّاء ترصده حتى اقتنصْنَ على بعد وإضرار
ومَهْمه طامس(٤) تُخْشَى غوائله قطعته بكلوء العين مِسْهار

وبعد ان وصف ناقته قال

وشارب مُرْبِح بالكأس نادمنى لا بالحصور ولا فيها بسوّار(٥)
نازعته طيّبَ الراح الشَّمول وقد صاح الدجاج وحانت وقفة السارى

(١) راذان كورتان بسواد بغداد (٢) تأبد المنزل اقفر والفته الوحوش (٣) نية قذف تتقاذف بصاحبها (٤) أى ذهبت أعلامه وانمحت (٥) مربح بالكأس يعطى فيها ربحاً والحصور البخيل والسوار من تسور الخمر فى رأسه سريعاً والذى يواثب نديمه اذا شرب

من خمرِ عانةَ[١] ينصاع الفرات لها بجدولٍ صَخِبِ الآذيِّ جرَّار

كُمَيتَ ثلاثة أحوال بطينتها حتى اذا صرحت من بعد تَهْدار

آلت الى النصف من كَلْفاء[٢] أترعها علجٌ ولثمها بالجَفْن والغار

ليست بسوداء من مِيثْاء[٣] مظلمة ولم تعذب بادناء من النار

لها رداءان نَسْجُ العنكبوت وقد حُفَّت بآخر من ليف ومن قار

صهباء قد كَلِفت من طول ما حُبِست فى مُخْدَعٍ بين جنات وأنهار

عذراء لم يَجْتَلِ الخُطَّاب بهجتها حتى اجتلاها عِبادِيٌّ بدينار

فى بيت منخرق السِّربال معتمل ما ان عليه ثياب غير أطمار

اذا أقول تراضينا على ثمن ضنَّت بها نفس خَبِّ البيع مكار

كأنما العِلج اذ أوجبت صفقتها خَليعُ خَصْلٍ[٤] نكيبٌ بين أقمار

لما أتوها بمصباح ومِبْزَلهم سارت اليهم سؤور الأبجلْ الضارى

تدْمَى اذا طعنوا فيها بجائفة[٦] فوق الزجاج عتيق غير مُسْطار

كأنما المسك نُهْبَى بين أرحلنا مما تضوع من ناجودها الجارى

انى حلفت برب الراقصات وما أضحى بمكة من حُجْب وأستار

وبالهَدِىِّ اذا احمرت مذارعها فى يوم نُسُك وتشريق وتَنْحار

وما بزمزم من شُمْطٍ مُحَلَّقة وما بيثرب من عُون وأبكار

لألجأتنى قريش خائفاً وجلا وموَّلتنى قريش بعد اقتار

المنعمون بنو حَرْب وقد حدَقت بى المنية واستبطأت أنصارى

---

(١) عانة بلد بين الرقة وهيت يعد فى أعمال الجزيرة وينصاع ينتقل راجعاً مسرعاً
(٢) الكلفاء التى تشتد حمرتها حتى تضرب الى السواد والجفن شجر طيب الريح وكذلك الغار
(٣) الميثاء الارض السهلة (٤) الخصل فى النضال أن يقع السهم بلزق القرطاس والنكيت المطعون فيه (٥) الابجل عرق فى باطن الذراع (٦) الجائفة الطعنة التى تصل الى الجوف. والمسطار الخمرة الصارعة لشاربها

بهم تَكَشَّفُ عن أحيائها ظلم … حتى تَرفَّعَ عن سمع وأبصار
قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم … دون النساء ولو باتت بأطهار

ومن طواله الجياد

خفَّ القطين فراحوا منك أو بكروا … وأزعجتهم نوًى فى صرفها غِيَرَ
كأنني شارب يوم استُبِدَّ بهم … من قرقف ضَمِنتها حمص أو جدَر (١)
جادت بها من ذوات القار مُتْرَعة … كلفاء يَنْحَتّ عن خرطومها المدر
لَذّ أصابت حُمَياها مقاتله … فلم تكَدْ تنجلي عن قلبه الخُمَر
كأنني ذاك أو ذو لوعة خَبَلَت … أوصاله أو أصابت قلبه النُّشَر (٢)
شوقاً اليهم ووجداً يوم أتبعهم … طَرْفى ومنهم بجَنْبَيْ كوكبي (٣) زُمَر
حثّوا المطى فولتنا مناكبها … وفى الخدور اذا باغمتها (٤) الصُّوَر
يُبْرِقْن (٥) بالقوم حتى يختبلنهمُ … ورأيهن ضعيف حين يختبر
يا قاتل الله وصل الغانيات اذا … أيقنَّ أنك ممن قد زها الكِبَر
أعرضن لما حنى قوسى موتّرُها … وابيض بعد سواد اللِّمَّة الشعر
ما يرعوين الى داع لحاجته … ولا لهن الى ذى شيبة وطر
شرّقن اذ عصر العيدانَ بارحها … وأيبست غير مَجْرى السِّنَّة الخُضَر
فالعين عانية بالماء تسفحه … من نيَّة فى تلاقى أهلها ضرر
منقضبين انقضاب الحبل يتبعهم … من الشهيق وعين القسم الوطر
حتى هبطن من الوادى لغضبته … أرضاً تَحُلّ بها شيْبان أو غُبَر
حتى اذا هن ورَّكن القصيم وقد … أشرفن أو قلن هذا الخندق الحفر
وقعن أُصْلا وعجنا من نجائبنا … وقد تُحُيِّن من ذى حاجة سفر

---

(١) القرقف الخمر وجدر قرية بين حمص وسلمية (٢) النشر جمع نشرة وهى من السحر
(٣) كوكبي موضع (٤) باغمه حادثه بصوت رخيم (٥) أبرق هدد وأوعد

الى امرىء لا تعرّينا نوافله ... أظفره الله فليهنأ له الظفر

الخائض الغَمْرَ والميمون طائره ... خليفة الله يستسقى به المطر

والهمّ بعد نجيّ النفس يبعثه ... بالحزم والأصمعان القلب والحذر

والمستمر به أمر الجميع فما ... يغتره بعد توكيد له غرر

وما الفرات اذا جاشت حوالبه ... فى حافتيه وفي أوساطه العُشَر

وذعذعته[1] رياح الصيف واضطربت ... فوق الجآجئ من آذيّه غُدُر

مُسْحَنْفِراً من جبال الروم يستره ... منها أكافيف [2] فيما دونها زَوَر

يوما بأجود منه حين تسأله ... ولا بأجهر منه حين يجتهر

ولم يزل بك واشيهم ومكرهم ... حتى أشاطوا[3] بغيب لحم من يسروا

فلم يكن طاويا عنا نصيحته ... وفى يديه بدنيا دوننا حصر

فهو فداء أمير المؤمنين اذا ... أبدى النواجذ يوم باسل ذكر

مفترشا كافتراش الليث كلكله ... لوقعة كائن فيها له جزر

مقدّما مائتى الف لمنزله ... ما ان رأى مثلهم جن ولا بشر

يغشى القناطر يبنيها ويهدمها ... مُسَوَّم فوقه الرايات والقتر

حتى يكون لهم بالطفّ[4] ملحمة ... وبالثوية لم ينبض بها وتر

وتستبين لأقوام ضلالتهم ... ويستقيم الذى فى خده صعر

ثم استقل بأثقال العراق وقد ... كانت له نقمة فيهم ومدّخر

في نبعة من قريش يعصبون بها ... ما ان يوازى بأعلى نبتها الشجر

تعلو الهضاب وحلّوا فى أرومتها ... أهل الرياء وأهل الفخر ان فخروا

حُشْدٌ على الحق عيّافو الخنا أُنُف ... اذا ألمّت بهم مكروهة صبروا

---

(١) حركته تحريكا شديداً والجؤجؤ صدر السفينة والآذى الموج (٢) أكافيف الجبل حيوده (٣) أشاط اللحم عن القوم فرقه (١) الطف ارض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية والثوية موضع قريب من الكوفة

وان تدجّت على الآفاق مظلمة   كان لهم مخرج منها ومعتصر
أعطاهم الله جداً ينصرون به   لا جدّ الا صغير بعد محتضر
لم يأشروا فيه اذا كانوا مواليه   ولو يكون لقوم غيرهم أشروا
شُمسُ العداوة حتى يستقاد لهم   وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا
لا يستقل ذوو الأضغان حربهم   ولا يبين فى عيد انهم خَوَرَ
همُ الذين يبارُون الرياح اذا   قل الطعام على العافين أو قتروا
بنى أُميــة نعماكم مُجَلِّلة   تمت فلا مِنّة فيهـا ولا كدر
بنى أمية قد ناضلت دونـكم   أبناء قوم همُ آووا وهمْ نصروا
أفحمت عنكم بنى النجار قد علمت   عليا معدّ وكانوا طالما هدروا
حتى استكانوا وهم منى على مضض   والقول يُنفذ مالا تنفذ الابر
بنى أميـة انى ناصح لـكمُ   فلا يبيتن فيـكم آمنـاً زُفَر
واتخذوه عدوا ان شاهده   وما تغيب من أخلاقه دعر
ان الضغينة تلقاها وان قدمت   كالعرّ يكمن حينا ثم ينتشر
وقد نصرت أمير المؤمنين بنا   لـما أتاك ببطن الغُوطة الخبر

وقد ذكر بعد ذلك فيها حديث عمير بن الحباب وهجا قيساً

وكان السبب فى هجائه الأنصار أنه لما شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية أرسل يزيد الى كعب بن جُعيل فقال اهج الأنصار ، فقال أفرق من أمير المؤمنين ، ولكن أدلك على الشاعر الكافر الماهر ، قال ومن هو ؟ قال الأخطل ، فدعابه فقال اهج الأنصار ، فقال أفرق من أمير المؤمنين ، فقال لا تخف شيئاً أنا لك بذلك ، فهجاهم فقال

واذا نسبت ابن الفُريعة خلته   كالجحش بين حمارة وحمـار
لعن الاله من اليهود عصابة   بالجزع بين صُلَيْصِل وصرار
قوم اذا هدر العصير رأيتهم   حمرا عيونهم من المسطار
خلوا المكارم لستمُ من أهلها   وخـذوا مساحيكم بنى النجـار

ان الفوارس يعلمون ظهوركم أولاد كل مقبح أكار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير ، فدخل على معاوية فحسر عن رأسه عمامته وقال يا أمير المؤمنين أترى لؤماً ؟ قال لا بل أرى كرماً وخيرا ما ذاك ؟ قال زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا ، قال أو فعل ؟ قال نعم ، قال لك لسانه ، وكتب فيه أن يؤتى به ، فلما أتى سأل الرسول ليدخل الى يزيد أولا ، فأدخله عليه ، فقال هذا الذى كنت أخاف ، قال لا تخف شيئاً ودخل على معاوية فقال علام أرسل الى هذا الرجل وهو يرمى من وراء جمرتنا ؟ قال هجا الأنصار ، قال ومن زعم ذلك ؟ قال النعمان بن بشير ، قال لا يقبل عليه وهو يدّعى لنفسه ولكن تدعوه بالبينة فان أثبت شيئاً أخذته به له ، فدعاه بالبينة فلم يأت بها فخلى سبيله فقال الأخطل يمدح يزيد من قصيدة أولها

صحا القلب الامن ظعائن فاتنى بهن أمير مستبد فأصعدا

يقول فيها

وانى غداة استعبرت أُم مالك لراض من السلطان أن يتهددا
ولولا يزيد ابن الملوك وسَيْبُه تجللت رِحدبارا[1] من الشر أنكدا
فكم أنقذتنى من جرور[2] حبالكم وخرساء لو يُرمَى بها الفيل بلّدا
ودافع عنى يوم جلّقَ غمْرة وهمّا ينسينى السُّلاف المهوّدا[3]
وبات نَجيًا فى دِمَشق لحية اذا عض لم يَنْم[4] السّليم وأقصدا
يخفّته طورا وطورا اذا رأى من الوجه اقبالا ألحّ وأجهدا
أبا خالد دافعت عنى عظيمة وأدركت لحمى قبل أن يتبددا

---

(١) الخدبار السنة الجدبة المقحطة ويستعار للامر الصعب (٢) بئر جرور بعيدة القعر والخرساء الداهية (٣) هوده الشراب أسكره (٤) أنمى الصيد غاب عنك ومات بحيث لا تراه والسليم الملدوغ (٥) أغذ أسرع

وأطفأت عنى نار نعمان بعد ما ... أغذّ (١) لأمر عاجز وتجردا
ولما رأى النعمان دونى ابن حرة ... طوى الكشح إذ لم يستطعنى وعرّدا
ولاقى امرأً لا ينقض القوم عهده ... أمرّ القوى دون الوشاة وأحصدا
أخائفة لا يجتويه نويّه ... ولا نائياً عنه اذا ما توردا

ومن طواله يمدح ابن ربعى

لمن الديار بحائل فوعال (١) ... درست وغيرها سنون خوال
درج البوارح فوقها فتنكرت ... بعد الأنيس معارف الأطلال
فكأنما هى من تقادم عهدها ... ورق نشرن من الكتاب بوال
دمن تذعذعها الرياح وتارة ... تسقى بمرتجز (٢) السحاب ثقال
باتت يمانية الرياح تقوده ... حتى استقاد لها بغير حبال
فى مظلم غدق الرباب كأنما ... يسقى الأشق وعالجاً بدوال (٣)
وعلى زبالة بات منه كلكل ... وعلى الكثيب وقلة الأدحال
دار تبدلت النعام بأهلها ... وصوار كل ملمع ذيال (٤)
وعلا البسيطة فالشقيق بريق ... فالضوج بين روية فطحال
أدم مخدمة (٥) السواد كأنها ... خيل هوامل بتن فى أجلال
ترعى بحازجها (٦) خلال رياضها ... وتميس بين سباسب ورمال
ولقد تكون بها الرباب لذيذة ... بفم الضجيع ثقيلة الأوصال
يجرى ذكىّ المسك فى أردانها ... وتصيد بعد تفتل ودلال

---

(١) وعال جبل بسماوة كلب بين الكوفة والشام وحائل من ارض اليمامة (٢) ارتجز الرعد تدارك صوته كارتجاز الراجز (٣) الرباب السحاب الابيض والأشق وعالج موضعان والدالية الساقية وجمعها دوال (٤) الذيال الثور الوحشى والملمع الذى يكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه (٥) خدم الفرس على المجهول قصر بياض تحجيله عن الوظيف فاستدار بأرساغ رجليه دون يديه فوق الأشاعر فهو مخدم (٦) البحزج ولد البقرة الوحشية

قلبَ الغَوِيّ اذا اتنبه بعد ما ... تعمّلَ كل مُدَالة مِتفال
عشنا بذلك حِقبة من عيشنا ... وثَرًا من الشهوات والأموال
ولقد أكون لهن صاحب لذة ... حتى تغير حالهن وحالى
فتنكرت لما علتني كبرَة ... عند المشيب وآذنت بزيال
لما رأت بدل الشباب بكت له ... والشيب أرذل هذه الأبدال
والناس همهم الحياة وما أرى ... طول الحياة يزيد غير خَبال
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ... ذُخرًا يكون كصالح الأعمال
ولئن نجوت من الحوادث سالماً ... والنفس مُشْرِفة على الآجال
لأُغَلْغِلن الى كريم مِدْحة ... ولأُثنينّ بنائل وفعال
ان ابن رِبْعِيّ كفانى سَيْبُه ... ضِغْن العدو ونبوة البُخّال
أغليتَ حين تواكلتي وائل ... ان المكارم عند ذاك غوال
ولقد شفيت مليلتي من معشر ... نزلوا بعقوة (١) حيـة قتال
بَعُدَت قعور دلائهم فرأيتهم ... عند الحَمالة مُغلَقِي الأقفال
ولقد مننْتَ على ربيعةَ كلها ... وكفَيْتَ كل مُواكل خذّال
كزْم (٢) اليدين عن العطية ممسك ... ليست تَبِضّ صفاته ببلال
مثل ابن بَزْعة أو كآخر مثله ... أولى لك ابنَ مُسيمة الأجمال
ان اللئيم اذا سألت بَهَرْته ... وترى الكريم يَرَاح كالمختال
واذا عدلت به رجالا لم تجد ... فيض الفُرات كرائح الأوشال (٣)
واذا تبوّع (٤) للحَمالة لم يكن ... عنها بمنبهر ولا سَعّال
واذا أتى باب الأمير لحاجة ... سَمَت العيون الى أغرّ طُوال

(١) العقوة الساحة والمحلة (٢) لا يبسطها بالمعروف (٣) الوشل الماء القليل يتحلب من صخر او جبل ولا يتصل قطره (٤) تبوع المساعى مد باعه

ضخمٌ سُرادقه يعارض سَيْبُه نفحاتِ كل صباً وكل شمال
واذا المئون تؤوكلت أعناقها فاحمل هناك على فتى حمّال
ليست عطيته اذا ما جئته نزراً وليس سِجاله كسِجال
فهو الجواد لمن تعرض سَيْبُه وابن الجواد وحامل الأثقال
ومسوَّم خرق الحتوف تنوده للطعن يوم كريهة وقتال
أقصدت قائدها بعامل صعْدَة ونزلت عند توا كل الأبطال
والخيل عابسة كأن فروجها ونحورها ينضحن بالجِرْيال (١)
والقوم تختلف الأسنة بينهم يَكبُون بين سوافل وعوال
ولقد ترد الخيل عن أهوائها وتَكُفُّ حد رجالها برجال

ثم وصف الخمر وهجا جريراً وقومه

دخل الأخطل على بشر بن مَرْوان وعنده الراعى ، فقال له بشر أأنت أشعر أم هذا ؟ قال أنا أشعر منه وأكرم ، فقال للراعى ما تقول ؟ قال أما أشعر فعسى ، وأما أكرم فان كان فى أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم ، فلما خرج الأخطل قال له رجل أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك ؟ قال ويلك ان أبا نسطوس وضع في رأسي اكؤساً ثلاثا فو الله ما أعقل معها

دخل على عبد الملك فاستنشده فقال قد يبس حلقى فمر من يسقيني ، فقال اسقوه ماء ، فقال شراب الحمار وهو عندنا كثير ، قال فاسقوه لبنا ، قال عن اللبن فطمت ، قال فاسقوه عسلا ، قال شراب المريض ، قال فتريد ماذا ؟ قال خمراً يا أمير المؤمنين ، قال أو عهدتنى أسقى الخمر لا أم لك ؟ لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت ، فخرج فلقى فراشا لعبد الملك فقال ويلك ان أمير المؤمنين استنشدنى وقد صحل صوتى فاسقنى شربة خمر ، فسقاه ، فقال اعدله بآخر ، فسقاه آخر ،

(١) الجريال صبغ احمر

فقال تركتهما يعتركان في بطني اسقني ثالثاً ، فسقاه ثالثاً ، فقال تركتني أمشي على واحدة اعدل ميلي برابع ، فسقاه رابعاً ، فدخل على عبد الملك فأنشده « خفَّ القَطِين » فقال عبد الملك خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره وأحسن جائزته وقال ان لكل قوم شاعراً وان شاعر بنى أُمية الأَخطل

لما استنزل عبد الملك زُفَر بن الحرث الكلابى من قَرْقيسيا أقعده معه على سريره ، فدخل عليه ابن ذى الكُلاع ، فلما نظر اليه مع عبد الملك على السرير بكى ، فقال له مايُبْكيك ؟ فقال يا أمير المؤمنين وكيف لا أبكي وسيف هذا يقطر من دماء قومى فى طاعتهم لك وخلافه عليك ؟ ثم هو معك على السرير وأنا على الأَرض ، قال انى لم أجلسه معك أن يكون أ كرم عليَّ منك ولكن لسانه لسانى وحديثه يعجبنى ، فبلغت الأَخطل وهو يشرب ، فقال أما والله لأَقومن فى ذلك مقاماً لم يقمه ابن ذى الكُلاع ، ثم خرج حتى دخل على عبد الملك ، فلما ملأَ عينيه منه قال

وكأس مثل عين الديك صِرف — تُنَسِّى الشاربين لها العقولا

اذا شرب الفتى منها ثلاثاً — بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشيــــــة لاشك فيها — وأرخى من ماَزره الفُضُولا

فقال له عبد الملك ما أخرج هـذا منك يا أبا مالك الا خُطَّة فى رأسك ، قال أجَلْ والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأَمس

وقد يَنْبُتُ المرعَى على دِمَن الثرى — وتبقى حَزَازات النفوس كما هيا

فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زُفَر فقلبه عن السرير وقال أذهب الله حزازات تلك الصدور ، فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين والعهد الذى أعطيتنى ، فكان زفر يقول ما أيقنت بالموت قط الا تلك الساعة حين قال الأَخطل ما قال

قال الأخطل فضلت الشعراء فى المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحق بى ، فأما النسيب فقولي

ألا يا اسلمى يا هندُ هندَ بنى بدر	وان كان حَيَّانا عِدًى آخر الدهر

من الخَفِرات البيض أما وِشاحها	فيجرى وأما القُلْبُ[1] منها فلا يجرى

تموت وتحيا بالضجيع وتلتوى	بمَطْرِدِ المتنين منبتر الخصر

وقولي فى المديح

نفسي فداء أمير المؤمنين اذا	أبدى النواجذ يوم عارم ذكر

الخائض الغمر والميمون طائره	خليفة الله يستسقى به المطر

وقولى فى الهجاء

وكنت اذا لقيت عبيد تَيْم	وتيما قلت أيهما العبيد

لئيم العالمين يسود تيما	وسيدهم وان كرهوا مَسود

طلق اعرابى امرأته فتزوجها الأخطل وكان الأخطل قد طلق امرأته قبل ذلك ، فبينا هى معه اذ ذكرت زوجها الأول فتنفست ، فقال الاخطل

كلانا على هم يبيت كأنما	بجنبيه من مَسِّ الفراش قروح

على زوجها الماضى تنوح واننى	على زوجتى الأخرى كذاك أنوح

قال الأخطل لعبد الملك بن المهلب ما نازعتنى نفسى قط الى مدح أحد ما نازعتنى الى مدحكم فأعطنى عطيــة تبسط بها لسانى فوالله لأُرَدِّيَنَّكم أرْدية لا يذهب صِقالها الى يوم القيامة ، فقال أعلم والله يا أبا مالك أنك بذلك ملئ ولكنى أخاف ان يبلغ أمير المؤمنين أنى أسأل فى غُرْم وأعطى الشعراء فأهلك ويظن ذلك منى حيلة ، فلما قدم على اخوته لاموه كل اللوم فيما فعله ، فقال قد أخبرته بعذرى

---

(١) القلب سوار المرأة غير ملوى

نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه ، فجاءه بعشاء ، ثم قال له انى نصرانى وأنت حنيف فأى الشراب أحب اليك ؟ قال شرابك ، ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتاً الا أتم الفرزدق القصيدة ، فقال الأخطل لقد نزل بى الليلة شرمن أنت ؟ قال الفرزدق بن غالب ، فسجد لى وسجدت له ، فقيل للفرزدق فى ذلك فقال كرهت أن يفضلنى ، فنادى الاخطل يا بنى تغلب هذا الفرزدق ، فجمعوا له ابلاً كثيرة ، فلما أصبح فرَّقها ثم شخص .

قال عمر بن شبَّة مما يقدم به الأخطل انه كان أخبثهم هجاء فى عفاف من الفحش وقال الأخطل ما هجوت أحداً قط بما تستحي العذراء أن تنشده أباها

خرج يزيد بن معاوية عام حج بالأخطل فاشتاق يزيد الى أهله فقال

بكى كل ذى شجو من الشام شاقه تهام فأنى يلتقى الشَّجيان

أجز يا أخطل ، فقال

يغور الذى بالشأم أو يُنجد الذى بغور تهامات فيلتقيان

قيل لأبى العباس أمير المؤمنين ان رجلا شاعراً قد مدحك أفتسمع شعره ؟ قال وما عسى أن يقول فىَّ بعد قول ابن النصرانية فى بني أمية

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

قال أبو عبدالملك كانت بكر بن وائل اذا تشاجرت فى شئ رضيت بالأخطل ، وكان يدخل المسجد فيقومون اليه ، قال فرأيته بالجزيرة وقد شكى الى القسّ وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصِي كما يصى الفرخ ، فقلت له أين هذا مما كنت فيه بالكوفة ؟ فقال يا ابن أخى اذا جاء الدين ذللنا ، وقال اسحق بن عبد الله الهاشمى قدمت دمشق وأنا شاب مع أبى فكنت أطوف فى كنائسها ومساجدها ، فدخلت كنيسة دمشق واذا الأخطل فيها محبوس ، فجعلت أنظر اليه ، فسأل عنى فأخبر بنسبي ، فقال يا فتى انك لرجل شريف وانى أسألك حاجة ، فقلت حاجتك

مقضية ، قال ان القسَّ حبسنى هنا فتكلمه ليخلى عنى ، فأتيت القس فانتسبت له فرَحَّب بى وعظّم ، قلت ان لى اليك حاجة ، قال ما حاجتك ؟ قلت الأخطل تخلى عنه ، قال أعيذك بالله من هذا ، مثلك لا يتكلم فيه ، فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم ، فلم أزل أطلب اليــه حتى مضى معى متكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورفع عصاه وقال ياعدو الله أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات ؟ وهو يقول لست بعائد ولا أفعل و يستخذى له ، فقلت له يا أبا مالك ، الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك فى الناس قدرك وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذى له ، فجعل يقول انه الدين انه الدين ، وقال الهيثم بن عدى كانت امرأة الأخطل حاملاً وكان متمسكا بدينه ، فمر به الأسقف يوماً فقال لها الحقيه فتمسحى به ، فعدت فلم تلحق الا ذَنَب حماره فتمسحت به ورجعت ، فقال لها هو وذنب حماره سواء

قال معاوية بن أبى عمرو بن العلاء لمحمد بن سلام أى البيتين عندك أجود ؟ قول جرير

ألستم خير من ركب المطايا　　　وأندى العالمين بطونَ راح

أم قول الأخطل

شمس العداوة حتى يستقاد لهم　　　وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

فقلت بيت جرير أحلى وأسير وبيت الأخطل أجزل وأرزَن ، فقال صدقت وهكذا كانا فى أنفسهما عند الخاصة والعامة.

سمع هشام بن عبد الملك الأخطل يقول

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد　　　ذُخراً يكون كصالح الأعمال

فقال هنيئاً لك أبا مالك ، هذا الاسلام ، فقال له يا أمير المؤمنين مازلت مسلما فى دينى

أتى الأخطل الكوفة فأتى الغضبان بن القبعثرى الشيبانى فسأله فى حمالته ، فقال ان شئت أعطيتك ألفين لم يعطكها الا قليل وان أعطيتك درهمين لم يبق فى الكوفة بكرى الا أعطاك درهمين وكتبنا الى اخواننا بالبصرة فلم يبق بكرى بها الا أعطاك درهمين نخفت عليهم المؤنة وكثر لك النيل ، فقال فهذه اذاً ، قال نقسمها لك على ان ترد علينا ، فكتب بالبصرة الى سويد بن منجوف السدوسى ، فقدم البصرة فأتى سويدا فأخبره بحاجته ، فقال نعم ، وأقبل على قومه فقال هذا أبو مالك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له وهو الذى يقول

اذا ما قلت قد صالحت بكرا ... أبى الأضغان والنسب البعيد
ومُهْراق الدماء بواردات ... تَبيد المخزيات ولا تَبيد
وأيام لنا ولهم طوال ... يعضّ الهامَ فيهن الحديدُ
هما أخوان يصطليان نارا ... رداء الموت بينهما جديد

فقالوا فلا والله لا نعطيه شيئاً ، فقال الأخطل

ألا أبلغ بنى شيبان عنى ... فما بينى وبينكمُ ذُحول
وكنتم اخوتى نخذلتمونى ... غداة تخاطرت تلك الفحول
ثوا كانى بنو العلّات منكم ... وغالت مالكاً ويزيد غول
قريعا وائل هلكا جميعاً ... كأن الأرض بعدهما مُحُول
فان تمنع سدُوس درهميها ... فان الريح طيبة قبُول
متى آتى الأراقم لا يضرنى ... نَبيب الأسعديّ وما يقول
رَوابٍ من بني جشَم بن بكر ... تصدعُ عن مناكبها السيول

وقال فى سويد بن منجوف

وما جِذْعُ سوءٍ خرب السُّوس أصله ... لما حملته وائل بمطيق
تُطيف سدُوس حوله وكأنها ... عِصِيّ أشاء لُوّحت بحريق

جَاد الصفا ما ان يَبِضُّ بقطرَة ولو كان ذا زرَّاعة ورقيق
فان نعف عن حمران بكر بن وائل فما ان لنا سودانهم بصديق

فقال له سويد والله يا أبا مالك ما تحسن تهجو ولا تمدح ، لقد أردت مدح الأسديّ فهجوته ، يعني قوله يمدح سماكاً الهالكيّ من بني عمرو بن أسد وبنو عمرو يلقبون القُيون

نعم المجير سِماك من بني أسد بالقاع اذ قتلت جيرانَها مُضَر
قد كنت أحسِبُهُ قيناً وأُخبره فاليوم طَيَّرَ عن أثوابه الشرر
ان سماكاً بنى مجداً لأُسرته حتى الممات وفعل الخير يُبْتَدَر

فقال سماك يا أخطل أردت مدحي فهجوتني ، كان الناس يقولون قولاً فحققته ، قال سويد وأردت هجائي فمدحتني جعلت وائلاً حملتني أمورها وما طمعت فى بني ثعلبة فضلاً عن بكر فزدتني تَغْلِب ، ولذلك قال محمد بن سلام كان الأخطل مع مهارته وشعره يسقط أحياناً

بينا الأخطل جالس عند امرأة من قومه ، وكان أهل البدو اذ ذاك يتحدث رجالهم الى النساء لا يرون بذلك بأسا وبين يديه باطية شراب والمرأة تحدثه ، اذ دخل رجل فجلس ، فثقل على الأخطل وكره أن يقول له قم استحياء منه ، وأطال الرجل الجلوس الى أن أقبل ذباب فوقع فى الباطية فى شرابه ، فقال الرجل يا أبا مالك الذباب فى شرابك ، فقال

وليس القذَى بالعود يسقط فى الخمر ولا بذباب نزعه أيسر الأمر
ولكن قذاها زائر لا نُحبه رمتنا به الغيطان من حيث لا ندرى

دعا الأخطل شاب من شباب أهل الكوفة الى منزله ، فقال له يا ابن أخى أنت لا تحتمل المؤونة وليس عندك معتمد ، فلم يزل به حتى انتجعه ، فأتى الباب فقال يا شقراء ، فخرجت اليه امرأة ، فقال لأمه هذا أبو مالك قد أتاني ، فباعت

غزلاً لها ، واشترت لحماً ونبيذاً وريحاناً ، فدخل خصاً لها فأكل معه وشرب ، فقال

لعمرك ما لاقيت يوم معيشة ... من الدهر الا يوم شقراء أقصر
حوارية لا يقرب الذم بيتها ... مطهرة يأوي اليها المطهر
وبيت كظهر الفيل أكثر حشوه ... أباريقه والشادن المتقطر (١)
ترى فيه أثلام الأصيص كأنه ... اذا بال فيه الشيخ جفر معور (٢)

اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان ، وكان بشر يغري بين الشعراء ، فقال للأخطل احكم بين الفرزدق وجرير ، فقال أعفني أيها الأمير ، قال احكم بينهما ، فاستعفاه بجهده ، فأبى الا أن يقول ، فقال هذا حكم مشئوم ، ثم قال الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر ، فلم يرض بذلك جرير وكان سبب الهجاء بينهما ، فقال جرير فى حكومته

ياذا الغباوة ان بشراً قد قضى ... ألا تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها ... ان الحكومة فى بني شيبان
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم ... ياخزر تغلب لستم بهجان

فقال الأخطل

ولقد تناسبتم الى أحسابكم ... وجعلتم حكماً من السلطان
فاذا كليب لا تساوى دارماً ... حتى يساوى حزرم بأبان
واذا جعلت أباك فى ميزانهم ... رجحوا وشال أبوك فى الميزان
واذا وردت الماء كان لدارم ... عفواته وسهولة الأعطان

ثم استطار الهجاء بينهما

---

(١) المتقطر المتبخر بالقطر بضم القاف وهو العود (٢) عور عين الركية كبسها بالتراب حتى نضب الماء ، والجفر البئر الواسعة لم تطو والاصيص باطية يبال فيها

أعشى بنى تغلب

هو ربيعة بن يحيى بن معاوية من جشم بن بكر ثم من تغلب

شاعر من شعراء الدولة الأموية وساكنى الشام اذا حضر واذا بدا نزل فى بلاد قومه بنواحى الموصل وديار ربيعة ، وكان نصرانياً وعلى ذلك مات.

كان ينادم الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم ، فشربا يوماً في بستان له بالموصل ودعا الحر بجواريه فدخلن عليه قبته واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة فمانعه الخدم ووافقهم حتى كاد يهجم على الحر مع جواريه ؛ فلطمه خصيّ منهم فخرج الى قومه فقال لهم لطمنى الحر ، فوثب معه رجل من بنى تغلب يقال له ابن أدعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة فاقتحما الحائط وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا فقال الأعشى

كأنى وابن أدعج اذ دخلنا ... على قرشيك الورع (١) الجبان
هزبرا غابة وقصا حمارا ... فظلا حوله يتناوشان
أنا الجُشمى من جُشمِ بن بكر ... عشية رُعْتُ طرفك بالبنان
فما يسطيع ذو مُلْك عقابى ... اذا اجترمت يدى وجنى لسانى

مدح أعشى تغلب مُدْرِك بن عبد الله الكنانى فأساء ثوابه فقال الأعشى

لَعَمْرُكَ انى يوم أمدح مُدْرِكا ... لكالمبتنى حوضاً على غير منهَل
أمر الهوى دونى وفيل مدحتى ... ولو لكريم قلتها لم تَفَيَّل

ومن قوله فى الوليد بن عبد الملك

لعمرى لقد عاش الوليد حياته ... امام هدى لا مستزاد ولا نزر
كأن بنى مروان بعد وفاته ... جلاميد لا تندى وان بلّها القطر

(١) ورع الرجل فهو ورع جبن وصغر

كانت بين بني شيبان وبين تغلب حروب فعاون مالك بن مِسْمَع بني شيبان في بعضها ثم قعد عنهم فقال أعشى تغلب فى ذلك

بني أمنا مهلا فان نفوسنا — تميت عليكم عتبها ومصالها
وترعى بلا جهل قرابة بيننا — وبينكمُ لما قطعتم وصالها
جزى الله شَيْبانا وتيما ملامة — جزاء المسيء سعيها وفعالها
أبا مِسْمَع من تُنكر الحقَّ نفسُه — وتعجزْ عن المعروف يعرِفْ ضلالها
أأوقدتَ نارالحرب حتى اذا بدا — لنفسك ما تجْني الحروبُ فهالها
نزعت وقد جردتها ذات منظرَ — قبيح مهين حيث ألقت حلالها
ألسنا اذا ما الحرب شبَّ سعيرها — وكان سفيحُ المَشْرَفيَّ صلالها
أجارتنا حِلٌّ لكم أن تنازلوا — محارمَها وان تميزوا حلالها
كذبتم يمين الله حتى تعاوروا — صدور العَوالى بيننا ونِصالها
وحتى ترى عين الذى كان شامتاً — مُزاحفُ عقْرَى بيننا ومجالها

ومن قوله وفيه غناء

دار لقانصة الغَرانق (١) ما بها — غير الوحوش خلت له وخلا لها
ظلت تسائل بالمتيم ما به — وهى التى فعلت به أفعالها

القطامى

هو عُمَير بن شُيَيم بن عمرو من بنى غنم بن تَغْلِب ، والقَطامىّ لقب غلب عليه ، وهو أول من لقب صَريع الغَوانى بقوله

صريع غوانٍ راقهن ورُقْنه — لَدُنْ شبَّ حتى شاب سودالذوائب

(١) الغرنوق الشاب الابيض الجميل وجمعه غرانق

نزل فى بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس ، فنسبها ، فقالت أنا من قوم يشتوون القدّ من الجوع ، قال ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت محارب ، ولم تقره ، فبات بأسوأ ليلة ، فقالت فيها قصيدة أولها

نأتك بليلى نيّةٌ لم تقارب (١) — وما حب ليلى من فؤادى بذاهب
منعّمة تجلو بعود أراكة — ذُرى بَرَدٍ عذب شتيت المناصب (٢)
كأن فضيضاً من غريض غمامة — على ظمأ جادت به أُم غالب (٣)
لمستهلك قد كاد من شدة الهوى — يموت ومن طول العدات الكواذب
صريع غوانٍ راقهن ورُقنه — لدن شبّ حتى شاب سود الذوائب

يقول فيها

ولا بد أن الضيف مخبر ما رأى — مخبّر أهل أو مخبّر صاحب
سأُخبر بالانباء عن أُم منزل — تضيّفتها بين العُذيب فراسب
تلفعت فى طلّ وريح تلفُّنى — وفى طرمساء غير ذات كواكب (٤)
الى حيزبون (٥) توقد النار بعد ما — تلفعت الظلماء من كل جانب
تصلّى بها بَرْدَ العشاء ولم تكن — تخال وبيص (٦) النار يبدو لراكب
فما راعها الا بُغام مطيّة — تُريح بمحسور من الصوت لاغب (٧)
تقول وقد قربت كُورى وناقتى — اليك فلا تذعر عليّ ركائبي
وجنّتْ جنوناً من دِلاث مُناخة — ومن رجل عارى الأشاجع شاحب (٨)
سرى فى جليد الليل حتى كأنما — تخزّم بالأطراف شوكُ العقارب (٩)

(١) يريد لم تقارب نيتنا (٢) المناصب مراكز الاسنان (٣) فضيض ماء سائل وغريض طرى (٤) طرمساء ليلة مظلمة (٥) عجوز (٦) ضوء
(٧) محسور ضعيف (٨) دلاث ناقة ماضية وشاحب متغير
(٩) يقول أصاب أطرافه الجليد فكأن شوك العقارب تخزمت أطرافه أو دخلت فيها

فسلمتُ والتسليم ليس يسرها ولكنه حق على كل جَانبَ[١]
فردت سلاماً كارهاً ثم أعرضت كما انحاشت الأفعى مخافة ضارب[٢]
فقلت لها لا تفعلى ذا براكب أتاك مصيبٍ ما أصاب فذاهب
فلما تنازعنا الحديث سألتها مَنِ الحى ؟ قالت معشر من مُحَارب
من المشتوين القِدّ مما تراهم جياعاً وريف الناس ليس بناضب[٣]
فلما بدا حرمانها الضيفَ لم يكن عليّ مُناخ السوء ضربة لازب

قال أبو عمرو بن العلاء أول ما حرك من القَطامى ورفع من ذكره أنه قدم فى خلافة عمر بن عبد العزيز دِمَشْق ليمدحه ، فقيل له ان الشعر لا ينفُق عند هذا ولا يعطى شيئاً وهذا عبد الواحد بن الحارث فامدحه ، فمدحه بقصيدة ، قال

انا مُحَيُّوك فاسلم أيها الطَّلل وان بَليتَ وان طالت بك الطِّيَل[٤]
أنَّى اهتديت لتسليم على دِمَن بالغَمْر غيرهن الأعصر الأول
صافت تَعَمَّج أعناق السيول به من باكرٍ سَبِط أو رائح يبَل[٥]
فهن كالخِلَل[٦] الموشىّ ظاهرها أو كالكتاب الذى قد مسَّه البَلل
كانت منازلَ منا قد نَحُل بها حتى تغير دهر خائن خَبِل[٧]
ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ولا ذو خُلَّة يصل
والعيش لا عيش الا ما تقَرُّ به عين ولا حال الا سوف تنتقل
والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ولأمِّ المخطىء الهَبَل[٨]
قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزَّلل

(١) غريب (٢) انحاشت حاذت وعدلت ومالت (٣) أى ليس لهم من العز ما يوجهون الى لريف فيمتاروا (٤) الطيل الدهور (٥) أصل التعمج للحية تلويها وصافت من الصيف ويبل من الوبل وهو المطر الشديد وسبط كثير الصب
(٦) الخلل النقش الذى يكون على جفن السيف (٧) مفسد (٨) الثكل

أمست عُلَية يرتاح الفؤاد لهــا ... وللرواسم فيما دونهــا عمل
بكل منخرق[1] يجرى السَّراب به ... يُمسى وراكبه من خوفه وَجِل
يُنْضِى الهجان التى كانت تكونُ بها ... عُرُضيةٌ وهِباب حين ترتحل[2]
حتى ترى الحُرَّة الوَجْناء لاغبة ... والأرْحبيَّ الذى فى خطوه خطَلَ[3]
خُوصاً[4] تدبر عيوناً ماؤها سَرِب ... على الخدود اذا ما اغرورق المقل
لواغب الطرف منقوباً حواجبها ... كأنها قُلُب عاديّة مُكُل[5]
يرمى الفِجاج بها الركبان معترضاً ... أعناق بُزَّلها مُرخى لها الجُدُل[6]
يمشين رَهواً[7] فلا الأعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الأعجازِ تتكل
فهن معترضات والحصى رَمِض ... والريح ساكنة والظل معتدل[8]
يتبعن سامية[9] العينين تحسبها ... مجنونة أو ترى ما لا ترى الابل
لما وردن نَبِيّاً واستتب بنــا ... مسحنفر كخطوط السيح منسحل[10]
على مكان غِشاش ما يقيم به ... الا مغيِّرنا والمستقى العَجِل[11]
ثم استمر بها الحادى وجنَّبها ... بطن التى نبتها الحَوْذان والنَّفَل[12]
حتى وردن رَكِيّات[13] العوير وقد ... كاد المُلاء من الكتان يشتعل
وقد تعرجت لما ورَّكتْ أَرِكاً ... ذات الشمال وعن أيماننا الرِّجَل[14]

---

(١) منخرق متسع (٢) ينضى يجعلها انضاء والهجان الكرام وعرضية اعتراض فى سيرها وهباب نشاط (٣) حرة عتيقة كريمة ووجناء غليظه الوجنات كثيرة لحمها ولاغبة معيية وخطل سعة فى الخطو (٤) غائرة الاعين (٥) منقوباً حواجبها غارت عيونها وقلب جمع قليب وعادية قديمة ومكل قليلة الماء (٦) الجدل جمع جديل وهو الزمام (٧) رهواً ساكناً يتبع بعضها بعضاً (٨) معترضات من العرضية وهى المرح (٩) سامية رافعة

(١٠) نبى مكان ومسحنفر ممتد والسيح ضرب من البرود ومنسحل ذاهب

(١١) غشاش عجلة والمغير الذى يغير عن بعيره رحله اذا خاف أن يكون الرحل قد عقره.

(١٢) الحوذان بقلة طيبة الريح والنفل أشبه شىء بها (١٣) الركيات الآبار والعوير بلد.

(١٤) تعرجت تمكثت وورّكت عدلت عنها والرجل مسايل الماء وأرك موضع

على مُنادٍ دعانا دعوة كشفت ... عنا النعاس وفى أعناقنا مَيَلَ
سمعتها ورِعان الطود معرضة ... من دونها وكثيب العينة السَّهِل (١)
فقلت للركب لما أن علا بهم ... من عن يمين الحُبيّا نظرة قَبَلَ (٢)
ألمحة من سنًا برق رأى بصرى ... أم وجه عالية اختالت به الكِلَل
تُهدى لنا كلما كانت عِلاوتنا (٣) ... ريح الخزامى جرى فيها النَّدى الخَضِل
وقد أبيت اذا ما شئت مال معى ... على الفراش الضجيع الأغيد الرَّتِل (٤)
وقد تباكرنى الصهباء يرفعها ... اليّ لينة أعطافها ثَمِل
أقول للحَرْف لما أن شكت أُصُلا ... مَسَّ السِّفار وأفنى نِيّها الرِّحلُ
ان ترجعي من أبي عثمان مُنجحة ... فقد يهون على المستنجح العمل
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم ... اذا تخاطأ عبد الواحد الأجل
أما قريش فلن تلقاهمُ أبدا ... الا وهم خير من يحفى وينتعل
ألا وهم جبل الله الذى قَصُرت ... عنه الجبال فما ساوى به جبل
قوم همُ ثبتوا الاسلام فامتنعوا ... قوم الرسول الذى ما بعده رسل
من صالحوه رأى فى عيشه سعة ... ولا يرى من أرادوا ضره يئِل (٦)
كم نالني منهمُ فضل على عدَم ... اذ لا أكاد من الاقتار أحتمل
وكم من الدهر ما قد ثبتوا قدمى ... اذ لا أزال مع الأعداء أنتضل
فلا همُ صالحوا من يبتغى عَنَتى ... ولا هم كدروا الخير الذى فعلوا
همُ الملوك وأبناء الملوك لهم ... والآخذون به والساسة الأُول

قال أبو عمرو الشيبانى لو قال القطامى بيته

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الأعجاز تتكل

(١) رعان أنوف جبال والطود جبل والعين موضع بالشام (٢) قبل أي مقابلة
(٣) العلاوة الموضع المرتفع (٤) الرتل المتفرق الاسنان التي لم يركب بعضها بعضاً
(٥) الحرف الناقة الضامرة ومت جذب السير ونيها شحمها (٦) يئل ينجو

فى صفة الناس لكان أشعر الناس ، ولو قال كثير قوله

فقلت لها ياعز كل مصيبة — اذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

فى مرثية أو صفة حرب لكان أشعر الناس

حارب عمير بن الحُباب السلمى بني تغلب وأسر القطامى ، فأتى زُفَر بن الحارث الكلابي بقرقيسيا فخلى سبيله ورد عليه مائة ناقة فقال القطامى يمدحه

قفى قبل التفرق ياضُباعا (١) — ولا يك موقف منك الوَداعا
قفى فادى أسيرك ان قومى — وقومك (٢) لا أرى لهم اجتماعا
وكيف تجامع مع ما استحلا — من الحُرَم العظام وما أضاعا
ألم يحزُنك ان جبال قيس — وتَغْلِب قد تباينت انقطاعا
يطيعون الغواة وكان شرا — لمؤتمرِ الغَواية ان يطاعا
ألم يحزُنك ان ابني نزار — أسالا من دمائهما التِّلاعا (٣)
وصارا ما تُغِبُّهما (٤) أمور — تزيد سَنَا حريقهما ارتفاعا
كما العظم الكثير يهاض حتى — يَبِتَ وانما بدأ انصداعا
فأصبح سيل ذلك قد ترقى — الى من كان منزله يفاعا (٥)
وكنت أظن ان لذاك يوماً — يَبُزُّ (٦) عن المخبأة القناعا
ويوم تلاقت الفئتان ضربا — وطعناً يبطح البطل الشجاعا
ترى منه صدور الخيل زُورا — كأن بها نحازا أو دُكاعا (٧)
وظلت تعبِط الايدى كُلوماً — تمجّ عروقها عَلَقا مُتاعا (٨)

(١) ضباعة ابنة زفر (٢) يريد قيساً وتغلب (٣) التلعة مسيل من مكان مشرف الى الوادى (٤) يقال غب وأغب اذا أتى يوماً ولم يأت يوماً يقول تأتيهم كل يوم لا تأتى غباً (٥) أى من كان منه فى مكان بعيد المرتقى (٦) يبز يسلب (٧) النحاز داء يأخذ البعير منه السعال والدكاع السعال (٨) تعبط تخرجه طرياً والعبط أن تذبحه من غير علة

قوارش [1] بالرماح كأن فيها — شوَاطن ينتزعن بها انتزاعا
كأن الناس كلهم لأمٍ — ونحن لعلّة [2] علت ارتفاعا
فكل قبيلة نظروا الينا — وحلوا بيننا كرهوا الوقاعا
فهم يتبينون سنا سيوف — شهرناهن أياماً تباعا
ثبتنا ما من الحيين الا — يظلّ ترى لكوكبه شعاعا
وكنا كالحريق أصاب غابا — فيخبو ساعة ويهبّ ساعا
فلا تبعد دماء ابني نزار — ولا تقرر عيونك يا قضاعا
أمور لو تلافاها حليم — اذا لنهى وهيّب ما استطاعا
ولكن الأديم اذا تفرّى [3] — بلى وتعيباً غلب الصناعا
ومعصية الشفيق عليك مما — يزيدك مرة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلت منه — وليس بأن تتبّعه اتباعا
كذاك وما رأيت الناس الا — الى ما جرّ غاويهم سراعا
تراهم يغمزون [4] من استركّوا — ويجتنبون من صدق المصاعا
وأما يومَ قلت لعبد قيس [5] — كلاماً ما أردت به خداعا
تعلمْ أن بعد الغيّ رشدا — وان لهذه النمر انقشاعا
ولو نستخبر العلماء عنا — ومن شهد الملاحم والوقاعا
بتغلب فى الحروب ألم يكونوا — أشد قبائل العرب امتناعا
زمانَ الجاهلية كلُّ حيّ — أبرْنا من فصيلتهم لماعا [6]

---

(١) القرش صوت الرماح ووقع بعضها على بعض والشاطن الذى يمد الدلو
(٢) بنو العلات لاب واحد وامهات شتى وعلت ارتفاعاً فى العداوة وبعد النسب
(٣) تفرى تقطع والمعنى أن الاديم يدبغ على فساد فيرى فيه مثل العيون
(٤) يغمزون يضيمون واستركوا استضعفوا (٥) عبد قيس أخو القطامى
(٦) لماعا سيداً مشهوراً بمنزلة الشمس لا مع مشهور وأبرنا أهلكنا

أليسوا بالأُلى قسطوا علينا على النعمان وابتدروا السِّطاعا[١]
وهم وردوا الكُلاب على تميم بموج يبلَع النـاس ابتلاعا
فما جَبُنوا ولـكنا أناس نُديم لمن يقارعنـا القِراعا
فأما طيئ فاذا أتاها نذائرُ جيشنا وجَوا القلاعا
وأما الحى من كلب فانا نُحلهمُ السواحل والبقاعا
ومن يكن استلامَ[٢] الى ثَوِىّ فقد أكرمت يازُفَر المتاعا
أكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرِّتاعا[٣]
فلو بِيَدى سواك غداة زلت بى القدمان لم أَرجُ اطلاعا
اذا لهلكت لو كانت صغارا من الأخلاق تبتدع ابتداعا
فلم أر منعمين أقلَّ منّا وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا
من البيض الوجوه بنى نُفَيل أبت أخـلاقهم الا اتساعا
بنى القَرْم الذى علمت مَعَدّ تفرع قومها سَعَـة وباعا

وقال أيضاً

يا ناق خُبّى خببا زِوَرّا[٤] وقَلِّبى مَنْسِمَكِ المغبَرّا
وعارضى الليل اذا ما اخضرا أخبرك البارح حين مرا
سوف تلاقين جواداً حرا سـيد قيس زُفَر الأغرا
ذاك الذى بايع ثم برّا ونقض الأقوامُ واستمرا
قد نفع الله به وضرّا وكان فى الحرب شهاباً مُرّا

(١) السطاع عمود البيت الذى فى وسطه فاذا نزع عموده سقط أراد قتل عمرو بن كلثوم عمرو بن هند (٢) استلام فعل ما يلام عليه والثوى الضيف المقيم (٣) الرتاع التى ترتع وترعى (٤) الزور السير الشديد

وقال أيضاً

قد صبحت قُباقباً (١) صباحا   مَهْرِيَة قد غلبت مِرَاحا
تحمل من قيس فتى وَضَّاحا   سَمْح اليدين بالندى نَفَّاحا
كأن فى الموكب حين لاحا   بدراً يزيد النظر انفساحا
أفلح ساقٍ بيديك امتاحا   وقر عينــاً ورجا الرَّباحا
ألا ترى ما غَشِيَ الأركاحا (٢)   وغَشِيَ الخابور والأملاحا
يصفقون بالأكف الراحا (٣)   لم يدع الثلج بها وَجاحا (٤)
بالله ترجو أو بك النجاحا

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة أولها

ما اعتاد حُبُّ سليمى حين مَعتاد   وما تقضى بواقى دينها الطادى (٥)
الا كما كنت تلقَى من صواحبها   ولا كيومك من غراء وَرّاد (٦)
بيضاء محطوطة المتنين بَهْكَنَة   ريّا الرَّوادف لم تُمْغِل بأولاد (٧)
ما للكواعب وَدَّعن (٨) الحياة كما   ودعنني واتخذن الشيب ميعادى
أبصارهن الى الشبان مائلة   وقد أراهن عني غير صُـدَّاد
اذ باطلي لم تَقَشَّع جاهليتـه   عني ولم يترك الخُلّان تَقْوادى (٩)
كنِيَّة الحى من ذى الغَضَبَة احتملوا   مستحقبين أسيراً ماله فادى (١٠)
بانوا وكانت حياتى فى اجتماعهمُ   وفى تفرقهم قتلى و إقصادى (١١)

(١) ماء لبنى تغلب خلف البشر من أرض الجزيرة (٢) الركح ساحة البيت والجمع أركاح والخابور نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة والاملاح موضع
(٣) أى يفعلون ذلك من الاسف والحزن مما أصاب من القحط (٤) الوجاح السترة أى لم يدع سترة الا هتكها (٥) الطادى الثابت القديم (٦) أراد وراد أبوها أو قيمها
(٧) محطوطة لطيفة وأمغلت الشاة اذا ولدت فى السنة مرتين (٨) يدعو عليهن
(٩) أى تقوادى الى اللهو (١٠) ما للكواعب ودعننى كما ودعنى حى كنت كلفاً بهم فظعنوا واستحقبوا فؤادى وهو الاسير الذى لا يفديه أحد (١١) قتلى

أرمي قصيدَهمُ طرْفي وقد سلكوا ... بطن المجَيْمِرِ فالروحاءِ فالوادي (١)

محدّدِين لبرق صاب في خيَمٍ ... وبالقُرَيَّة رادوه برُوّاد (٢)

يخفَوْن طوراً وأحياناً اذا اطلعوا ... نجداً بدا لي من أجمالهم بادي

وفي الخدور غمامات بَرقْنَ لنا ... حتى تصيدننا من كل مصطاد

يقتلننا بحديث ليس يعلمه ... من يتقين ولا مكتومه بادي

فهن ينبذنِ من قول يُصبْن به ... مواقع الماء من ذي الغُلة الصادي

ثم قال

مالي أرى الناس مُزْوَرّا فحولهمُ ... عني اذا سمعوا صوتي وانشادي

الا أُخيّ بني الجوّال يُوعدني ... ما ذا يريد ابن جوّال (٣) بايعادي

وطال ما ذبّ عني سيْرٌ (٤) شُرُد ... يصبحن فوق لسان الراكب الغادي

واسأل نِزارا وقد كانت تنازلني ... بالنِّصف (٥) من بين اسخان وابراد

واسأل إيادا وكانوا طالما حضروا ... مني مواطن ادناء وابعاد

عني وعن قُرّح كانت تُضَم معي ... حتى تقطعن من مَثْنى وفُرّاد

فلا يُطيقون حملي ان هجوتهمُ ... وان مدحتهم لم يبلغوا آدي (٦)

مَنْ مبلغ زُفَر القيسي مدحته ... من القَطاميّ قولا غير افناد (٧)

اني وان كان قومي ليس بينهمُ ... وبين قومك الا ضربة الهادي

مُثْنٍ عليك بما استبقيت معرفتي ... وقد تعرض مني مقتل بادي

فلن أُثيبك بالنعماء مَشْتمة ... ولن أبدل احساناً بافساد

فان هجوتك ما تمت مكارمتي ... وان مدحت لقد أحسنت إصفادي (٨)

---

(١) قصيدهم ناحيتهم والمجيمر أرض لبني فزارة (٢) محددين قاصدين ورادوه طلبوه، (٣) ابن جوال من تغلب (٤) سير قواف وشرد قد شردت (٥) النصف مكان واسخان وابراد صيف وشتاء، (٦) قوتي (٧) كذب (٨) اعطائي

وما نسيت مقام الوَرْدِ تحبسه   بيني وبين حفيف الغابة (١) الغادى

قتلت بكرا وكلبا واشتليت بنا   وقد أردت (٢) بأن يستجمع الوادى

لولا كتائب من عمرو تصول بها   أُرديتُ يا خير من يندو (٣) له النادى

اذ لا ترى العين الا كل سَلْهَبة   وسابح مثل سيد الرَّدْهة العادى (٤)

اذ الفوارس من قيس بشكّتهم   حولي شهود وما قومى بشهاد

اذ يعتريك رجال يسألون دمى   ولو أطعتهمُ أبكيت عوَّادى

فقد عصيتهمُ والحرب مقبلة   لا بل قدحتَ زنادا غير صَلَّاد (٥)

والصِّيد آل نُفيل خير قومهم   عند الشتاء اذا ما ضُنّ بالزاد

المانعون غداة الروع جارهمُ   بالمَشْرَفيّة من ماض ومنآد (٦)

أيام قومى مكانى مُنْصِبٌ لهمُ   ولا يظنون الا اننى رادى

فاتاشنى (٧) لك من غبراء مظلمة   حبل تضمن اصدارى وايرادى

ولا كردك عني بعد ما كَرَبت   تُبدى الشناة أَعدائى وحسادى

فان قدرتُ على يوم جزيتُ به   والله يجعل أقواماً بمرصاد

فلما سمع زفر هذا البيت قال لا أقدرك الله على ذلك

ويقول فى ختامها

ودعوةٍ قد سمعنا لا يقوم لها   الا الحِفاظ والا المِقْنَب الآدي (٨)

حتى اذا ذكت النيران بينهم   للحرب يُوقَدْن لا يوقَدْن للزاد

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا   كما تعجل فُرَّاط (٩) لوُرَّاد

(١) الغابة الرماح (٢) أى أردت أن يستجمع لك الامر قبلنا واشتليت بنا أى أتبعتنا من قتلت (٣) يندو يجتمعون اليه والنادى متحدث القوم (٤) سهلبة طويلة من الخيل وسيد ذئب والردهة نقرة فى جبل أو صخرة فيها ماء (٥) زند صلاد لا توري ومثله صلد وصالد (٦) ماض مستقيم ومنآد معوج (٧) تداركنى (٨) الآدى الجامع للسلاح (٩) الفراط الذين يتقدمون الواردة فيصلحون الارشية حتى يأتى أولئك بعدهم

تَقْرِيهِمُ لَهْذَميات نَقُدُّ بها ... ما كان خاط عليهم كل زَرَّاد
أبلغ ربيعة أعلاها وأســـفلها ... أنا وقيساً تواعـدنا لميعاد
فكان قومى ولم تَغْدِر لهم ذمم ... كطالب الوتر مستوف ومزداد
ولو تبينتَ قومى ما رأيتهمُ ... فى طالعين من التَّرْثار نُدَّاد (١)

قال عبد الملك بن مروان للأخطل وعنده عامر الشَّعْبي أتحب أن لك قياضاً بشعرك شعر أحد من العرب تحب أنك قلته ، قال لا والله يا أمير المؤمنين الا انى وددت أنى قلت أبياتاً قالها رجل منا مغدف (٢) القِناع قليل السماع قصير الذراع ، قال وما قال ؟ فأنشده قول القطامى « انا محيوك فاسلم أيها الطلل » حتى أتى على آخرها ، قال الشعبي فقلت له قد قال القطامى أفضل من هذا ، قال وما قال؟ فأنشده

طرقت جَنُوب رحالنا من مَطْرَق ... ما كنت أحسبها قريب المُعْنَق (٣)
قطعت اليك بمثل جيد جَدَايَة (٤) ... حسن معلَّقُ تومتيه مطوَّق
هلا طرقت اذ الحياة لذيذة ... واذا الشباب قميصه لم يُخْلِق
طرقت نَواحل حُلِّلَت (٥) بمُعَرَّس ... ونُسُوعها برحالها لم تطلق
ومصرَّعين من الكَلال كأنما ... شربوا الغَبُوق من الطِّلاء المعرَق (٦)
متوســدين ذراع كل نجيبة ... ومفرَّج عَرِق المقَذّ منوَّق (٧)
بركت على رُكَب تَهُدّ بها الصفا ... وعلى كلا كل كالنقيل المُطْرَق (٨)
فاقرِ الهموم قلائصاً عِيدية ... تطوى الفيافى بالوَجيف المُعْنَق
فاذا سمعن هماهما من رفقة ... ومن النجوم غوابر لم تَخْفُق (٩)

(١) متفرقون (٢) أغدفت المرأة القناع على وجهها أرسلته
(٣) المعنق المكان الذى أعنقت منه يعنى لم أظن أنها تقدر على أن تعنق وتسرع من هذا المكان
(٤) الجداية الظبية والتومتان القرطان (٥) حللت أنيخت قدر تحلة اليمين أى قليلا
(٦) المعرق الذى أقل ماؤه (٧) مفرج بائن اليدين والمقذ ما بين الأذنين من خلف والمنوق الذى اختير وتنوق فيه (٨) النقيل رقاع النعال ومطرق بعضه على بعض
(٩) غوابر أى بقية لم تغب

جعلت تُميل خدودَها آذانُها ... طرباً بهن الى حُدَاة السُّوَّق
كالمنصتات الى الحديث سمعنه ... من رائع لقلوبهن مشوِّق
وترى لجيضتهن (١) عند رحيلنا ... وَهَلاً كأن بهن جِنَّة أَوْلق
واذا لحظن الى الطريق رأينه ... لهقاً كشاكلة الحِصان الأبلق (٢)
واذا تخلف بعدهن لحاجة ... حادٍ يُشَسِّع نعله لم يلحق
لُعِن الكواعب بعد يوم صرمنني ... بشَرى (٣) الفرات و بعد يوم الجَوْسق
عدَّين كل تحية يعلمنها ... ونفرن من شَمَط تَغَشَّى مفرِقي
وأبين شيمتهن أول مرة ... وأبى تقلب دهرك المتصفق (٤)
ولقد يروع قلوبهن تكلمى ... وتروعنى مُقَل الصَّوار المُرْشِق (٥)
لئن الهموم عن الفؤاد تفرجت ... وخلا التكلم للِّسان المطلق
لأعلقن على المطيّ قصائداً ... أُذَر الرواة بها طويلى المنطق
انى حلفت برب من عملت له ... بُزْل الجمال بكل خَبْت سَمْلَق (٦)
أُدْم تَصان وكان أصل نِجارها ... من سِرّ قِنْيَة مُنْذِر ومُحَرِّق
لئن الجزيرة أصبحت ممنوعة ... لوددْت أن بَرِيَّة لم تخلق
وبنو أُمية من أرادوا نفعه ... نفعوا ومن نصبوا له لم يَسبق
حلَّتْ جَنوب قُميقماً برَهينها (٧) ... فتى الخلاص لذا الرهين المغلَق
ونأت بحاجتنا ورُبَّت عَنْوَة (٨) ... لك من مواعدها التى لم تصدق
كعناء ليلتنا التى جعلت لنا ... بالقريتين وليلة بالخندق
أو قبل ذاك اذ الحياة لذيذة ... واذ الزَّمان بصفوه لم يَرْنَق (٩)

(١) جيضتهن ميلهن والوهل الفزع وأولق جنون (٢) لهق أبيض وشاكلة خاصرة
(٣) شرى الفرات ما دنا منه (٤) المتصفق المتقلب (٥) أرشق أدام النظر والصوار القطيع من البقر (٦) خبت مستو من الارض وسملق مستو لا نبات فيه
(٧) يريد برهينها قلبه (٨) عنوة أسار عناء (٩) رنق الماء كدر

بخلت عليك فما تجود بنائل ... الا اختلاس حديثها المتسرَّق
طرقت بأطيب ما يحل لمسلم ... بالقريتين وليلةً بالأبرق
مما يفرّغ بالأباطح سيله ... أو بالقِلات(١) من الصفًا لم يُطرق
تُعطى الضجيع اذا تنبه موْهناً ... منها وقد أمنت له من تتقى
عذبَ المذاق مفلّجاً أطرافه ... كالأُقحوان من الرَّشاش المستقى
نَفَضت أعاليه الشمالُ تَهزُّه ... وغدت عليه غداة يوم مشرق
وكأنما جادت بماء غمامة ... خَصِر تنزل من متون العِشْرِق(٢)
فأرى المعيشة انما هي ساعةً ... فرحٌ وساعةُ كربة وتَحَنُّق
وأرى المنية للرجال حبائلاً ... شَرَكاً يعاد به لمن لم يَعلَق
واذا أصابك والحوادث جمة ... حدث حداك الى أخيك الأوثق
فهمُ الرجال وكلّ ذلك منهم ... تجدَنَّ فى رُحْب وفى متضيق
انَ الرجال اذا طلبت نوالهم ... منهم خليل ملاذة وتملق
وأخو مكارمة على علاّته ... فوجدت خيرهمُ خليل المصدق
ولما رُزِقت ليأتينك سَيْبه ... جَلَباً(٣) وليس اليك مالم ترزق

فقال عبد الملك ثكلت القطامى أُمه هذا والله الشعر ، فالتفت الأخطل الى الشعبي فقال له يا شعبى ان لك فنوناً فى الاحاديث وانما لنا فن واحد ، فان رأيت ألاّ تحملني على اكتاف قومك فأدعهم حرباً ، فقال وكرامة لا أعرض لك فى شعر أبداً فأقلنى هذه المرة ، ثم التفت الى عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين أسألك أن تستغفر لي الأخطل فانى لا أعاود ما يكره ، فضحك عبد الملك وقال يا أخطل ان الشعبي فى جواري ، فقال يا أمير المؤمنين قد بدأته بالتحذير واذا تركت ما نكره

---

(١) القلت نقرة فى الجبل فيها ماء والطرق بالفتح الذى بالت فيه الدواب وراثت
(٢) العشرق شجر (٣) عفواً يساق اليك

لم نَعْرِض له الا بما يحب ، فقال عبد الملك للأخطل فعليَّ ألاَّ يعرض لك الا بما تحب أبداً ، فقال له الأخطل أنت تتكفل بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال أنا أكفل به ان شاء الله تعالى

قال علي بن يحيى المنجم أحسن الناس ابتداء قصيد في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول « ألا عِمْ صباحاً أيها الطَّلل البالى » وحيث يقول « قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل » وفى الإسلاميين القَطامىّ حيث يقول « انا محيوك فاسلم أيها الطلل » وفى المحدثين بشار حيث يقول

أبى طَلَل بالجِزْع أن يتكلما　　　وماذا عليه لو أجاب متيما

شعراء قيس

شعراء عدوان

محمد بن بشير

هو محمد بن بشير بن عبد الله الخارجي من بني خارجة بن عَدْوان بن عمرو ابن قيس عَيْلاَن

شاعر فصيح حجازي مطبوع من شعراء الدولة الأموية وكان منقطعاً الى أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشي أحد بني أسد بن عبد العزّى ، ولابن بشير فيه مدائح ومراثٍ مختارة هي عيون شعره ، وكان يبدو في أكثر زمانه ويقيم في بوادي المدينة فلا يكاد يحضر مع الناس

قدم البصرة في طلب ميراث له ، فخطب عائشة بنت يَعْمُرَ الخارجية ، فأبت أن تتزوجه الا بعد أن يقيم معها بالبصرة ويترك الحجاز ويكون أمرها في الفرقة اليها ، فأبى أن يفعل ذلك وقال

أَرِقَ الحزين وعاده سُهُدُه ... لطوارق الهم الذى يَرِدُه
وذكرت من لانت له كبدي ... فأبى فليس تلين لي كبده
وأبى فليس بنازل بلدي ... أبدا وليس بمصلحي بلده
فصُدِعت حين أبى مودته ... صَدْعُ الزجاجة دائم أَبَده
وعرفت أن الطير قد صدقت ... يوم الكدانة شر ما تَعِده
فاصبر فان لكل ذى أجل ... يوماً يجيء فينقضى عدده
ماذا تعاتب من زمانك ان ... ظعن الحبيب وحل بى كَمَدُه

وخاطب أباها يحيى بن يعمُر فى ذلك ، فقال له انها امرأة بَرْزة عاقلة ولا يُفتات على مثلها بأمرها وما عنك من رغبة ولكنها امرأة فى خلقها شدة ولها غيْرَة ، وقد بلغني أن لك زوجتين وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما ، فانظر فى أمرك وشاور فيه ، فاما إن أقمت بالبصرة معها فعففت لك عن صاحبتيك اذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عشرة ، وان شئت مفارقتهما واخراجها معك . فصار الى رحله مغموماً وشاور ابن عم له يقال له وراد بن عمرو فى ذلك ، فقال له ان فى يحيى بن يَعْمُرَ لرغبة لثروته وكثرة ماله وما ذكر من جمال ابنته وما نحب أن تفارق زوجتيك « وكانت احداهما ابنة عمه والأُخرى من أشجع » فتقيم معها السنة بالبصرة وتمضى بخير ، فان رغبت فيها تمسكت بها وأقمت بمكانك وان رغبت فى العودة الى بلدك كتبت الينا فجئناك حتى تنصرف معنا ، ففكر ليلته أجمع ثم غدا عازماً على الرجوع الى الحجاز فقال

لقد أقمت بجنب القَيْض[1] فى رجب — حتى أُهِلّ به من قابل رجبا
وراح فى السَّفْر وَرّاد[2] وهيجني — ان الغريب اذا هيجته طَرِبا
ان الغريب تهيج الحزنُ صبوته — اذا المصاحب حياه وقد ركبا
قد قلت أمسِ لورّاد وصاحبه — عوجا على الخارجيِّ اليوم واحتسبا
وبلغا أم سعد أن عانيَها — أعيا على شفعاء الناس فاجتنبا
لما رأيت نجيّ القوم قلت له — هل يقدرَنَّ نجيُّ القوم ما كتبا
وقلت انى متى أجلب شفاعتكم — أُندَم وان شق الغى ما اجتلبا
وان مثلي متى يسمع مقالتكم — ويعرف العين يندم قبل أن يجبا
انى وما كبر الحجاج يحملهم — بُزْل المطايا الى ذى نخلة عُصَبا
وما أَهَلَّ به الداعي وما وقفت — عُلْيا ربيعةَ ترمى بالحصا الحصبا

(١) القيض نهر بالبصرة (٢) وراد هو ابن عمه

جهداً لمن ظن أني سوف أظعنها عن دفع غانية أخرى لقد كذبا
أأبتغي الحسن في أخرى وأتركها فذاك حين تركت الدين والحسبا
وما انقضى الهم من سُعْدى وما علقت مني الحبائل حتى رمتها حِقَبا
وما خلوت بها يوماً فتعجبني الا غدا أكثر اليومين لي عجبا
بل أيها السائلي ما ليس يدركه مهلاً فانك قد كلفتني تعبا
كم من شفيع أتاني وهو يحسب لي حسناً فأقصره من دون ما حسبا
فان يكن لهواها أو قرابتها حب قديم فما عاني ولا ذهبا
هما عليَّ فان أرضيتها رضيا عني وان غضبت في باطل غضبا
كأن دهيت فرداني بكيدهما عما طلبت وجاءاها بما طلبا
وقد ذهبت فلم أُصبح بمنزلة الا أُنازع من أسبابها سببا
وقلما خلة لو كنت مُسْجِحة أو كنت ترجع من عصريك ما ذهبا
ليت الظعينــة لا ترمى برميتها ولا يعجبها ابن العم ما اصطحبا

قدمَ أعراب من بني سُلَيم أقْحمتهم السَّنة الى الرَّوْحاء فخطب الى بعضهم رجل من الموالي فزوجه ، فركب ابن بشير الى المدينة وواليها يومئذ ابراهيم بن هشام المخزومي فاستعداه على المولى ، فأرسل اليه ابراهيم ففرق بين المولى وزوجته وضربه مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه فقال ابن بشير

شهدت غداة خَصْم بني سليم وجوها من قضائك غير سود
قضيت بسنة وحكمت عدلا ولم تَرِث الحكومة من بعيد
اذا غُمِزَ القَنا وُجِدتْ لعمري قناتك حين تُغْمَز خير عود
حمى حدبا لحوم بنات قوم وهم تحت التراب أبو الوليد
وفي المائتين للمولى نَكال وفي سلب الحواجب والخدود

اذا كافأتهم ببنات كسرى فهل يجد الموالى من مزيد
فأى الحق أنصف للموالى من اصهار العبيد الى العبيد

كان له عبد فكان يتلطف به ويحترمه حتى أعتقه وأعطاه مالا فعمل به وربح فيه ، ثم احتاج ابن بشير بعد ذلك الى معونة أو قرض في نائبة لحقته فبعث الى مولاه فى ذلك فحلف انه لا يملك شيئاً فقال فى ذلك

ويسعى لك المولى ذليلا مُدَقَّعا(١) ويخذُلك المولى اذا اشتد كاهله
فأمسك عليك العبد أول وهلة ولا تنفلت من راحتيك حبائله

وقال أيضاً

اذا افتقر المولى سعى لك جاهدا لترضى وان نال الغنى عنك أدبرا

كان يتحدث الى امرأة من مُزَينة وكان قومها قد جاوروهم ثم جاء الربيع وأخصبت بلاد مزينة فارتحلوا فقال فى ذلك

لو بينت لك قبل يوم فراقها أن التفرق من عشية أو غد
لشكوت إذ علق الفؤاد بهائم غلق حبائل هائم لم يعهد
بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط ليل صيف مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد ان الجمال مَظنة للحسد
لم يُطْرها شرف الشباب ولم تضع منها معاهدة النصيح المرشد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح صَلْتٍ(٢) وأسود فى النصيف معقد
خَوْد اذا كثر الكلام تعوذت بحِمَى الحياء وان تكلم تقصد
وكأن طعم سُلافة مشمولة تنصب في أثر السواك الأغيد(٣)
وترى مدامعها ترقرق مقلة حوراء ترغب عن سواد الإثمد

(١) المدقع الفقير الذليل (٢) جبين صلت أملس براق
(٣) الأغيد من النبات الناعم المثنى

ماذا اذا برزت غداة رحيلها   من حسن تحت رقاق تلك الأَبْرُد
وله بأسعد أنجم فمحلها   ومسيرها ابدا بطَلْق الأسْعُد
الله يسعدها ويسقى دارها   خَضِلِ الرباب سرى ولما يَرْعُد

صحب رفقة من قُضاعة الى مكة وكانت فيهم امرأة جميلة فكان يسايرها ويحادثها ، ثم خطبها الى نفسه فقالت لا سبيل الى ذلك لانك لست لي بعشير ولاجار فى بلدى ولا أنا ممن تطلعه رغبة عن بلده ووطنه ، فلم يزل يحادثها و يسايرها حتى انقضى الحج ففرق بينها نزوعهما الى أوطانهما فقال

أستغفر الله ربى من مُخَدَّرة   يوماً بدا لي منها الكَشْح والكَتَد[1]
من رفقة صاحبونا فى ندائهم   كلٌّ حرام فما ذموا ولا حمدوا
حتي اذا البُدْن قاست فى مناخرها   يعلو المحاسن منها مُزْبِدٌ جَمِدَ
فحلق القوم واعتموا عمائمهم   فحل كل حرام رأسه لبد
أقبلت أسألها ما بالُ رفقتها   وما أبالي أغاب القوم أم شهدوا
تفرقت لي واحلَوْلت مقالتها   وخوفتني وقالت بعضَ ما تجد
أنَّى ينال حجازيّ بحاجته   احدى بني القَيْن اذ ما دارها يرد

مات سليمان بن حُصَين وكان خليلا لابن بشير مصافياً له وصديقاً مخلصاً فجزع عليه وحزن حزناً شديداً فقال يرثيه

يأيها المتمني أن يكون فتى   مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا
ان تَرْحَل العيس كى تسعى مساعيه   يُشْفَق عليك وتعمل دون ما عملا
لو سرت فى الناس أقصاهم وأقربهم   فى شقة الأرض حتى تحسر[2] الابلا
تبغى فتى فوق ظهر الارض ماوجدوا   مثل الذى غيبوا فى بطنها رجلا

(١) الكتد مجمع الكتفين من الانسان والفرس والكشح ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف. وهو أقصر الاضلاع وآخرها وهو من لدن السرة الى المتن   (٢) أحسر البعير ساقه حتى أعياه

اعدد ثلاث خصال قد عرفن له   هل سبَّ من أحد أوسُبَّ أو بخلا

كان يتحدث الى عبدة بنت حسان المزنية ويقيل عندها أحياناً وربما بات عندها ضيفاً لاعجابه بحديثها فنهاها قومها عنه ، فلم تقبله بعد عندها فقال

ظَلِلْتُ لدى أطنابها وكأنني   أسير مُعَنًّى في مخلخلة كَبْل

أعبدة أما جلسة عند كاره   وأما مزاح لا قريب ولا سهل

فانك لو أكرمت ضيفك لم يعب   عليك الذى تأتيه حَمو ولا بعل

وقد كان يَنْميها الى ذروة العلا   أب لا تَخَطَّاه المطية والرحل

فهل أنت الا شعبة كان أصلها   نُضارا فلم يفضحك فرع ولا أصل

صددت أمرأ عن ظل بيتك ماله   بواديك لولا كم صديق ولا أهل

خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان حتى أتيا امرأة من الأنصار من بني ساعدة فبرزت لهما وتحدثا عندها وقالا لها هل لك فى صاحب لنا ظريف شاعر ؟ فقالت من هو ؟ قالا محمد بن بشير الخارجى قالت لا حاجة لي الى لقائه ولا تجيئاني به معكما فانكما ان أتيتما به لم آذن لكما فجاءا به معهما وأخبراه بما قالت لهما وأجلساه فى بعض الطريق وتقدما اليها فخرجت اليهما وجاءهم الخارجى بعد خروجها اليهما فرحبا به وسلما عليه ، فقالت لهما من هذا ؟ قالا هذا الخارجى الذى كنا نخبرك عنه فقالت والله ما أرى فيه من خير وما أشبهه الا بعبدنا أبي الجون، فاستحيا الخارجى وجلس هنيهة ثم قام من عندهما وعلقها قلبه فقال فيها

ألا قد رابنى ويَريب غيري   عشية حكمها حَيف مُريب

وأضحت لي المودة عند ليلى   منازل ليس لي فيها نصيب

ذهبت وقد بدا لي ذاك منها   لأهجرها فيغلبني النسيب

وأنسى غيظ نفسى ان قلبي   لمن واددت تبعته قريب

فدعها لست هاجيها وراجع   حديثك ان شأنكما عجيب

وبلغ الأشجعية زوج ابن بشير ما قاله فعيرته بذلك وكانت اذا أرادت غيظه كنته أبا الجون فقال فى ذلك

وأيدى الهدايا ما رأيت معاتباً ... من الناس الا الساعدية أجمل
وقد أخطأتنى يوم بطحاء منعم ... لها كنف يصطاد فيه وأحبل
وقد قال أهلى خير كسب كسبته ... أبو الجون فاكسب مثلها حين ترحل
وان مات ابضاعى بأمر مسرة ... لكن فما تسخطن فى العيش أطول

اجتمع ابن بشير وسائب بن ذكوان راوية كثير بمكة فوافقا نسوة من بنى غفار يتحدثن فجلسا اليهن وتحدثا معهن حتى تفرقن وبقيت واحدة منهن تحدث ابن بشير وتستنشده شعره حتى أصبحوا ، فقال لهم رجل مر بهم أما تزدجرون نحن حذاء البيت وأنتم حُرُم ولا تدعون انشاد الشعر وقول الزور فى المسجد ، فقالت المرأة كذبت لعمر الله ماقول الشعر بزور ولا الحديث حرام على محرم ولا مُحلّ فانصرف الرجل وقال فيها ابن بشير

فما لك اذ تزور وأنت خِلْو ... صحيح القلب اخت بنى غفار
فما برحت تعيرك مقلتيها ... فتعطيك المنية فى استتار
وتسهو فى حديث القوم حتى ... تبيَّن بعض أهلك ما توارى
فمت ياقلب ما بك من دفاع ... فينجيك الدفاع ولا فرار
فلم أر طالباً بدم كمثلى ... أود وحسن مطلوب بثار
اذا ذكرا بثارى قلت سعياً ... لثارى ذى الخواتم والسوار
وما عرفت دمى فتبوء منه ... برهن فى حبالي أو ضِمار[1]
وقد زعم العواذل ان يومى ... ويومك بالمحصَّب والجمار
من الأعياد ثم زعمت ألا ... وقلت لذى التنازع والتمارى

(١) الضمار كل ما لا تكون منه على ثقة

كذبتم بالسلام وقول زور وما اليوم الحرام بيوم ثار
فلا تسليمنا حُرُماً بإثم ولا الحب الكريم لنا بعار
فان لم نلقكم فسقى الغوادى بلادك والرَّوِيَّات السَّوارى

وفى هذه المرأة يقول وقد رحلوا عن مكة يودعها

يا أحسن الناس لولا ان قائلها قدما لمن يبتغى ميسورها عسِر
وانما دلّها سحر لطالبه وانما قلبها للمشتكي حجر
هل تذكرين كما لم أنس عهدكم وقد يدوم لعهد الخُلّة الذِّكَر
قولي وركبك قد مالت عمائمهم وقد سقاهم بكأس السكرة السفر
ياليت أنى بأثوابى وراحلتي عبد لأهلك هذا العام مؤتجر
فقد أطلت اعتلالا دون حاجتنا بالحج امض فهذا الحلّ والنفر
ما بال رأيك اذ عهدى وعهدكم الفان ليس لنا فى الود مزدجر
فكان حظك منها نظرة طرقت انسان عينك حتى ما بها نظر
أكنت أبخل من كانت مواعده تأتى الى أجل يرجى وينتظر
وما نظرت وما ألفيت من أحد يعتاده الشوق الا بدؤه النظر
أبقت شجى لك لا ينسى وقارحة فى أسود القلب لم يشعر بها أخر
جنية أولها جن يعلمها رمى القلوب بقوس ما لها وتر
تجلو بقادمتى ورقاء عن بَرَد حُمّ المشاعر فى أطرافها أُشُر (١)
خَوْد مبتّلة رَيّاً معاصمها قدر النبات فلا طول ولا قصر
اذا محاسنها اغتالت فواصلها منها روادف فعمات ومؤتزر
ان هبت الريح حنّت فى وشائجها (٢) كما يجاذب عود القينة الوتر
بيضاء تعشوها الابصار ان برزت فى الحج ليلة إحدى عشرة القمر

(١) الأشر حدة ورقة فى أطراف الاسنان (٢) الوشائج عروق الاذنين

ألا رسول اذا بانت يبلغها عناوان تُمَس يؤنف بيننا الزر
تقضي عليّ ولا أقضي عليك كما يقضي المليك على الملوك يقتسر
ان كان ذا قدر يعطيك نافلة منا ويحرمنا، ما أنصف القدر

قدم البصرة فتزوج بها امرأة من عدوان كانت موسرة فأقام عندها بالبصرة مدة ثم توخم البصرة وطلبها بأن ترحل معه الى الحجاز فقالت ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع وأمضي معك الى بلد الجدب والفقر والضيق فاما ان أقمت ههنا أو طلقتني فطلقها وخرج الى الحجاز ثم ندم وتذكرها فقال

دامت لعينك عبْرة وسُجوم وثوت بقلبك زَفْرَة وهموم
طَيْف لزينب ما يزال مؤرقي بعد الهدو فما يكاد يَريم
واذا تعرض في المنام خيالها نكأ الفؤادَ خيالُها المحلوم
أجعلت ذنبك ذنبه وظلمته عند التحاكم والمدِلّ ظلوم
ولئن تُجُنيت الذنوب فانه ذو الداء يعذر والصحيح يلوم
ولقد أراكِ غداة بنتِ وعهدكم فى الوصل لا حرج ولا مذموم
أضحت تحكمك التجارب والنهى عنه ويكفُله بك التحكيم
فترى الأولى علقوا الحبائل قبله فنجوا وأصبح فى الوثاق يهيم
ولقد أردت الصبر عنك فعاقني علق بقلبي من هواكِ قديم
ضَعُفت معاهد حبهن عن الصبا ومع الشباب فبنَّ وهو مقيم
يبقى على حدَث الزمان ورَيْبه وعلى جفائك انه لكريم
وجنيت حين صححت وهو بدائه شتان ذاك مصحح وسقيم
وأذيته زمناً فعاذ بحلمه ان المحب عن الحبيب حليم
وزعمت أنك تبخلين وشفه شوق اليك وان بخلت أليم

ومن قوله يرثي أبا عبيدة بن عبد الله بن ربيعة ، وكان يكفيه مؤنته ويعطيه فى كل سنة ما يغنيه ويغني قومه وعياله من البر والتمر والكسوة فى الشتاء والصيف ويعطيه القطعة بعد القطعة من ابله وغنمه

ألا أيها الناعي ابن زينب غُدْوة ... نعيتَ النَّدَى دارت عليك الدوائر
لعمري لقد أمسى قِرى الضيف غائباً ... بذي العرش لما غيبتك المقادر
اذا شرعوا نادوا صداك ودونه ... صفيح وخوّار من الترب مائر
ينادون من أمسى تقطّع دونه ... من البعد أنفاس الصدور الزوافر
فقومي اضربي عينيك ياهند لن ترَى ... أباً مثله تسمو اليه المفاخر
وكنت اذا فاخرت أنسبت والداً ... يَزِين كما زان اليدين الأساور
فان تُعْوليه يَشْفِ يوماً عويلُه ... غليلك أو يعذرك بالنوح عاذر
ويحزنك ليلات طوال وقد مضت ... بذي العرش ليلات تسر قصائر
فلقّاك رب يغفر الذنب رحمةً ... اذا بليت يوم الحساب السرائر
لقد علم الأقوام أن بناته ... صوادق اذ يندبنه وقواصر

وعد رجل محمد بن بشير بقلوص فمطله فقال فيه يذمه ويمدح زيد بن الحسن ابن علي عليه السلام

لعلك والموعود حق وفاؤه ... بدا لك من تلك القلوص بداء
فان الذى ألقى اذا قال قائل ... من الناس هل للواعدين وفاء
أقول لمن تبدي الشمات وانها ... على واشمات العدو سواء
دعوت وقد أخلفني الوعد دعوة ... بزيد فلم يضلل هناك دعاء

فبلغت الابيات زيد بن الحسن ، فبعث اليه بقلوص من خيار ابله ، فقال

اذا حل آل المصطفى بطن تلعة ... نفى جدبها واخضر بالغيث عودها
وزيد ربيع الناس فى كل شتوة ... اذا أخلفت أنواؤها ورعودها

حمول لأشتات الديات كأنه سراج الدجى اذ قاربته سعودها

نظر ابن بشير الى نعش سليمان بن الحصين وقد أخرج فهتف بهم فقال.

ألم تروا أن فتى سيداً راح على نعش بني مالك

لا أنفس العيش لمن بعده وأنفس الهلك على الهالك.

وقال فيه أيضاً

ألا أيها الباكي أخاه وانما تفرق يوم الفدفد الأخوان.

أخي يوم أحجار الثُّمام بكيته ولو حم يومى قبله لبكانى.

تداعت به أيامه فاخترمنه وأبقين لي شجواً بكل مكان.

فليت الذى ينعى سليمان غدوة دعا عند قبري مثلها ونعانى.

فلو قسمت فى الجن والانس لوعتي عليه بكى من حرها الثقلان

ولو كانت الأيام تطلب فدية وقاه صروف الدهر بى وفدانى.

تزوج جارية من بني ليث شابة وقد أسن وأسنت زوجته العدْوانية فضربت دونه حجاباً ، ودعت نسوة من عشيرتها ، فجلسن عندها يغنين ويضربن بالدفوف وعرف ذلك فقال

لئن عانس قد شاب ما بين قرنها الى كعبها وامتص عنها شبابها

صبت فى طِلاب اللهو يوماً وعلقت حجاباً لقد كانت يسيراً حجابها

لئن منعت فى العين حتى تشعبت من اللهو اذ لا ينكر اللهو بابها

فبيني برَغم ثم طلى فربما نوى الرغم منها حين سرى نقابها

لبيضاء لم تنسب لجد يعيبها هِجان ولم تنبح لئيماً كلابها.

تأوَّدُ فى الممشَى كأن قناعها على قَيْنة أدْماء طاب شبابها

مهفهفة الأعطاف خفَاقة الحشى جميل محياها قليل عيابها

اذا ما دعت بابني نزار وقارعت ذوي المجد لم يردد عليها انتسابها

لما ولي ابراهيم بن هشام دخل اليه ابن بشير وكان له قبل ذلك صديقاً فأعرض عنه ولم يظهر له هشاشة ولا أنساً فاستأذنه فى الانشاد فأعرض عنه وأخرجه الحاجب من داره وكان ابراهيم تياهاً شديد الذهاب بنفسه فوقف له يوم الجمعة على طريقه الى المسجد فلما حاذاه صاح

يا ابن الهشامين طراً حزت مجدهما ... وما تخونه نقض وامرار
لا تُشْمِتن بى الأعداء انهم ... بيني وبينك سُمّاع ونظار
فا كرر بنائلك المحمود من سعة ... عليَّ انك بالمعروف كرار

فقال لحاجبه قل له يرجع إليَّ اذا عدت ، فرجع فأدخله عليه وقضى دينه وكساه ووصله وعاد الى ما عهد

كان لابن بشير أخ يقال له بشار وكان يجالس أعداءه ويعاشر من يعلم انه مباين له وفيه يقول

وانى قد نصحت فلم تصدق ... بنصحى واعتذرت فلم تبال
أو انى قد بدا لي أن نصحى ... لغيبك واعتذارى فى ضلال
فكم هذا أزورك عن قطاع ... لتزويد المخلاة النِّهال
فلا تبغ الذنوب علىَّ واقصد ... لامرك من قطاع أو وصال
فسوف أرى حلالك من تصافى ... اذا فارقتنى وترى حلالى
وانك تستريح اذا تولى ... بأن أعصى وأسكت لا أبالي

وقال فيه

كفانى الذى ضيعت مني وانما ... يضيع الحقوق ظالماً من أضاعها
صنيعة من ولاك سوء صنيعة ... وولى سواك أمرها واصطناعها
أبى لك كسبَ الخير رأى مقصر ... ونفس أضاق الله بالخير باعها
اذا هى حثته على الخير مرة ... عصته وان همت بشر أطاعها

فلولا رجال كاشحون بسرهم أذاك وقربى لا أحب انقطاعها
اذاً كان ان زلت بك النعل زلة عرتك خلال لا تطيق ارتجاعها
وانى متى أحمل على ذاك أطلع اليك عيوباً لا أحب اطلاعها
وان تك أحلام ترد اخاءنا علينا فمن هذا يرد سماعها
سأنهاك نهياً مجملا وقصائداً نواصع تشفى من شؤن صداعها
ومن يجتلب نحو القصائد يجتلب قراه ويتبع من يحب اتباعها
اذا ما الفتى ذو اللب حلت قصائد اليه فحل للقوافى رباعها

ومن قوله يرثى زيد بن الحسن

أعينىّ جودا بالدموع واسعدا بنى رَحِم ما كان زيد يهينها
ولا زيد الا أن يجود بعبرة على القبر شاكي بكية يستكينها
وما كنت تلقى وجه زيد ببلدة من الأرض الا وجه زيد يزينها
لعمر أبى الناعى لعمت مصيبة على الناس فابيضت قصيا رصينها
وأنى لنا أمثال زيد وجده مبلغ آيات الهدى وأمينها
وكان حليفيه السماحة والندى فقد فارق الدنيا نداها ولينها
غدت غدوة ترمى لؤى بن غالب بجهد الثرى فوق امرىء مايشينها
أغرُّ بطاحى بكى من فراقه عُكاظ فبطحاء الصفا فحَجُونها
فقل للتى يعلو على الناس صوتها به لا أعان الله من لا يعينها
ولو فهمت ما تفقه الناس أصبحت خواشعَ أعلامُ الفلاة وعينها
نعاه لنا الناعي فظلنا كأننا نرى الأرض فينا أنه حان حينها
وزلت بنا أقدامنا وتقلبت ظهور روابيها بنا وبطونها
وآب ذوو الألباب منا كأنما يرون شمالا فارقتها يمينها
سقى الله سقيا رحمة ترب حفرة مقيم على زيد ثراها وطينها
فما رؤى باكياً أكثر من يومئذ

شعراء غطفان

عويف القوافى

هو عُوَيف بن معاوية بن عقبة من بني حذيفة بن بدر من فزارة ، ثم من غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة ، وبيته أحد البيوتات القدمة الفاخرة فى العرب وهى بعد بيت هاشم بن عبد مناف ثلاثة أولها بيت آل حذيفة بن بدر الفزاري بيت قيس ، وبيت آل زُرَارة بن عُدَس الدارميين بيت تميم ، وبيت آل ذي الجَدَّين بن عبد الله بن همام بيت شيبان ، وبيت بني الدَّيَّان من بني الحرث بن كعب بيت اليمن ، وأما كندة فلا يعدون من أهل البيوتات انما كانوا ملوكاً

قال كسرى للنعمان هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال بأى شئ ؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع والبيت من قبيلته فيه ، قال فاطلب لى ذلك ، فطلب فلم يصبه إلا فى آل حذيفة بن بدر بيت قيس عيلان وآل حاجب بن زُرارة بيت تميم وآل ذى الجدين بيت شيبان وآل الأشعث بن قيس بيت كندة ، فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم فأقعد لهم الحكام العدول ، فأقبل من كل قوم منهم شاعرهم وقال لهم ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه وفعالهم وليقل شاعرهم فيصدق ، فقام حذيفة بن بدر وكان أسن القوم وأجرأهم مقدماً فقال لقد علمت معَدّ أن منـا الشرفَ الأقدم والعز الأعظم ومأثرة الصنيع الأكرم ، فقال من حوله ولم ذاك يا أخا فزارة ؟ فقال ألسنا الدعائم التى لا ترام والعز الذى لا يضام ؟ قيل له صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال

فَزارة بيت العز والعز فيهمُ ... فزارة قيس حسب قيس نِضالها
لها العزة القعساء والحسب الذى ... بناه لقيس فى القديم رجالها
فمن ذا اذا مد الأكف الى العلا ... يمد بأخرى مثلها فينالها
فهيهات قد أعيا القرون التى مضت ... مآثر قيس مجدها وفَعالها
وهل أحد ان مد يوماً بكفه ... الى الشمس فى مجرى النجوم ينالها
وان يصلحوا يصلح لذاك جميعنا ... وان يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس ، وانما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته بالنعمان ، فقال لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر وقديم زحفها الأكبر وأنا غياث اللَّزَبات(١) ، فقالوا لم يا أخا كندة ؟ قال لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم وتوسطنا بحبوحه الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال

اذا قست أبيات الرجال ببيتنا ... وجدت له فضلا على من يفاخر
فمن قال كلا أو أتانا بخطة ... ينافرنا يوماً فنحن نخاطر
تعالَوْا فعُدُّوا يعلم الناس أيّنا ... له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بِسطام بن قيس فقال لقد علمت ربيعة أنا بناة بيتها الذى لا يزول ومَغْرِس عزها الذى لا ينقل ، قالوا ولم يا أخا شيبان ؟ قال لأنا أدركهم للثار وأقتلهم للملك الجبار وأقولهم للحق وألَدُّهم للخصم ، ثم قام شاعرهم فقال

لعمري لبسطام أحق بفضلها ... وأولى ببيت العز عز القبائل
فسائل أبيت اللعن عن عز قومنا ... اذا جد يوم الفخر كل مناضل
ألسنا أعز الناس قوماً وأسرة ... وأضربهم للكبش بين القبائل
فيخبرك الأقوام عنها فانها ... وقائع ليست نُهْزَة للقبائل
وقائع عز كلها ربَعِيَّة ... تذل لهم فيها رقاب المحافل

(١) جمع لزبة وهى الشدة

اذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها　　اذا نزلت بالناس احدى الزلازل

ثم قام حاجب بن زُرَارة فقال لقد علمت معدّ أنا فرع دِعامتها وقادة زحفها ، فقيل له بمَ ذاك يا أخا بنى تميم ؟ قال لأنا أكثر الناس اذا نسبنا عدداً وأنجبهم ولداً وأنا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل ، ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت أبناء خِنْدِفَ أننا　　لنا العز قِدْمًا فى الخطوب الأوائل

وأنا هِجان أهل مجد وثروة　　وعز قديم ليس بالمتضائل

فكم فيهمُ من سيد وابن سيد　　أغرّ نجيب ذى فعال ونائل

فسائل أبيت اللعن عنا فاننا　　دعائم هذا الناس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم فقال لقد علم هؤلاء انا أرفعهم فى المكرمات دعائم وأثبتهم فى النائبات مقاوم ، قالوا ولم ذاك يا أخا بنى سعد ؟ قال لأنا أمنعهم للجار وأدركهم للثار وانا لا ننكُل اذا حملنا ولا نرام اذا حللنا ، ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت قيس وخِنْدِف كلها　　وجل تميم والجموع التى ترى

بأنا عماد فى الامور وأننا　　لنا الشرف الضخم المركب فى الندى

وانا ليوث الناس فى كل مأزِق　　اذا اجتز بالبيض الجماجم والطُلَى

وانا اذا داع دعانا لنجدة　　أجبنا سراعاً فى العلائم من دعا

فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصماً　　وقيساً اذا مد الأكف الى العلا

فهيهات قد أعيا الجميع فَعالهم　　وفاتوا بيوم الفخر مسعاة من سعى

فلما سمع كسرى ذلك منهم قال ليس منهم الاسيد يصلح لموضعه ، فأسنى حباءهم

وانما قيل لعويف عُوَيف القوافي ببيت قاله

سأكذب من قد كان يزعم أننى　　اذا قلت قولاً لا أجيد القوافيا

لم يكن رجل من ولاة أولاد عبد الملك كان أنفس على قومه ولا أحسد لهم

من الوليد بن عبد الملك ، فأذن يوماً للناس فدخلوا عليه وأذن للشعراء ، فكان أول من بدر بين يديه عُوَيف ، فاستأذنه في الانشاد ، فقال ماأبقيت لي بعد ما قلت لأخي بني زهرة ، قال وما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين ؟ قال ألست الذى يقول فيه ؟

يا طلح أنت أخو الندى وحليفه ان الندى من بعد طلحة ماتا
ان الفَعال اليك أطلق رحله فبحيث بت من المنازل باتا

أو لست الذى يقول ؟

اذا ماجاء يومك يا ابن عوف فلا مطرت على الأرض السماء
ولا سار البشير بغنم جيش ولا حملت على الطهر النساء
تساق الناس بعدك يا ابن عوف ذريع الموت ليس له شفاء

ألم تقم علينا الساعة يوم قامت عليه ؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً ولا أنفعك بنافعة أبداً أخرج عني

اعترض عويف عمر بن عبد العزيز وقد انصرف من جنازة ، فصاح به

أجبني أبا حفص لقيت محمداً على حوضه مستبشراً ورآكا

فقال له عمر لبيك ، ثم قال فمه ؟ فقال

فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة شمالك خير من يمين سواكا

قال ثم مه ؟ فقال

بلغت مدى المُجْرِين قبلك اذجروا ولم يبلغ المجرون بعد مدَاكا
فجداك لا جدين أكرم منهما هناك تناهى المجد ثم هناكا

فقال له عمر ألا أراك شاعراً ؟ مالك عندي من حق ، قال لا ولكني سائل وابن سبيل وذو سهم ، فالتفت عمر الى قهرمانه ، فقال إعطه فضل نفقتي

ووفد اليه لما ولي الخلافة فأنشده

لاح سحاب فرأينا برقه ... ثم تدانى فسمعنا صعْقه
وراحت الريح تزجّي بُلْقه (١) ... ودُهْمه ثم تزجّي وُرْقه (٢)
ذاك سقى ودقاً فروّى وَدْقه (٣) ... قبر امرىء أعظم ربى حقه
قبر سليمان الذى من عقه ... وجحد الخير الذى قد بقّه (٤)
فى المسلمين جلّه ودِقّه ... فارق فى الجحود منه صدقه
لما ابتلى الله بخير خلقه ... وكادت النفس تساوي حلْقه
ألقى الى خير قريش وَسْقه (٥) ... يا عمر الخير الملقّى وَفْقه (٦)
سميت بالفاروق فافْرُق فرْقه ... وارزق عيال المسلمين رِزْقه
واقصدْ الى الجود ولا توقه ... بحرك عذب الماء ما أعقّه (٧)

ربك والمحروم من لم يُسْقه

فقال له عمر لسنا من الشعر فى شىء ومالك فى بيت المال حق ، فألحّ عويف. فقال يا مزاحم انظر ما بقى من أرزاقنا فشاطره إياه

كانت أخت عويف عند عيينة بن أسماء بن خارجة فطلقها فكان عويف مراغماً لعيينة ، وقال الحرة لا تطلق بغير ما بأس فلما حبس الحجاج عيينة وقيده قال عويف

منَع الرقادَ فما يحسّ رقاد ... خبر أتاك ونامت العواد
خبر أتانى عن عيينة موجع ... ولمثله تتصدع الأكباد
بلغ النفوس بلاؤها فكأننا ... موتى وفينا الروح والأجساد

(١) تسوقه وتستحثه (٢) الاورق الذى بين الخضرة والسواد (٣) الودق المطر
(٤) يقال بق فلان فى الناس خيراً كثيراً (٥) الوسق الحمل يريد قلده أمره
(٦) يقال لقى فلان خيراً أى جعل يلقاه والوفق التوفيق (٧) هذا من المقلوب وانما هو ما أقعه ربك يقال ماء قعاع بالضم وهو الشديد الملوحة أى ما أملحه ربك

ساء الأقارب يوم ذاك فأصبحوا بَهِجين قد سروا به الحساد
يرجون عثرة جدنا ولو آنهم لا يدفعون بنا المكارم بادوا
لما أتاني من عيينة أنه عانٍ تَظاهرُ فوقه الأقياد
نخلت له نفسي النصيحة انه عند الشدائد تذهب الأحقاد
وذكرت أي فتى يسد مكانه بالرفد حين تقاصر الأرفاد
أو من يهين لنا كرائم ماله ولنا اذا عدنا اليه معاد
لو كان من حَضَن تضاءل ركنه أو من نَضادَ بكت عليه نَضاد

سأل عويف في حَمالة فمر به عبد الرحمن بن محمد بن مَرْوَان وهو حديث السن فقال له لا تسأل أحدا وصر إلى أكفِك فأتاه فاحتملها جمعاء، فقال عويف يمدحه

غلام رماه الله بالخير يافعاً له سيمياء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت فى جبينه وفى خده الشِّعْرى وفى جيده القمر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى رداء واسع الذيل واتَّزر
اذا قيلت العوراء ولى كأنه ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر
رآني فآساني ولو صد لم يُلَم على حين لا بادٍ يُرجَّى ولا حضَر

وقيل ان هذه الأبيات لابن عنقاء الفزارى يقولها فى ابن أخ له وأولها

رآني على ما بي عُميلة فاشتكى الى ماله حالي أسرٍ كما جهر

ومن شعره وفيه غناء

ألمت خُنَاسِ وإلمامها أحاديث نفس وأسقامها
يمانية من بنى مالك تطاولَ فى المجد أعمامها
وإن لنا أصل جرثومة ترد الحوادث أيامها
ترد الكتيبة مفلولة بها أفنها وبها ذامها

وهى أبيات يقولها يوم مَرْج راهط وهى الحرب التي كانت بين قيس وكلب

وكان من قصته أن مروان بن الحكم قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس يموجون ، وكان سعيد بن بَحْدَل الكلبي على قِنَّسرين فوثب عليه زفر بن الحرث فأخرجه منها وبايع لابن الزبير ، وكان النعمان بن بشير على حمص فبايع لابن الزبير ، وكان حسان بن بحدل على فِلَسْطين والأُرْدُنّ فاستعمل على فلسطين رَوْح بن زِنْباع الجذامى ونزل هو الأردن فوثب نابل بن قيس الجذامى على رَوْح فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير ، وكان الضحاك بن قيس الفِهرى عاملاً ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك فجعل يقدم رِجلاً ويؤخر أخرى ، اذا جاءته اليمانية وشيعة بني أُمية أخبرهم أنه أموي واذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو الى ابن الزبير ، فلما قدم مروان قال له الضحاك هل لك أن تَقْدَم على ابن الزبير ببيعة أهل الشام ؟ قال نعم ، وخرج من عنده فلقيه عمرو بن سعيد بن العاصى ومالك بن هبيرة وحصين ابن نمير السكنديان وعبيد الله بن زياد ، فسألوه عما أخبره به الضحاك ، فأخبرهم ، فقالوا له أنت شيخ بنى أُمية وأنت عم الخليفة هلم نبايعك ، فلما فشا ذلك أرسل الضحاك الى بنى أُمية يعتذر اليهم ويذكر حسن بلائه عندهم وأنه لم يرد شيئاً يكرهونه ، فاجتمع مروان وعمرو بن سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية وقال لهم اكتبوا الى حسان بن بحدل فليسر من الأُردُنّ حتى ينزل الجابية ونسير من هنا حتى نلقاه فنستخلف رجلاً ترضونه ، فكتبوا الى حسان فأقبل فى أهل الأردن ، وسار الضحاك بن قيس وبنو أُمية فى أهل دمشق ، فلما استقلت الرايات من جهة دمشق قالت القيسية للضحاك دعوتنا لبيعة ابن الزبير وهو رجل هذه الأمة ، فلما تابعناك خرجت تابعاً لهذا الأعرابى من كلب تبايع لابن أخته تابعاً له ، قال فتقولون ماذا ؟ قالوا نقول أن تنصرف وتظهر بيعة ابن الزبير ونظهرها معك ، فأجابهم الى ذلك وسار حتى نزل مَرْج راهط وأقبل حسان حتى لقى مروان فسار حتى دخل دمشق ، فأتته اليمانية تشكر بلاء بنى أُمية فساروا مع مروان حتى نزلوا

المرج على الضحاك وهم نحو سبعة آلاف والضحاك فى نحو ثلاثين الفاً ، فلقوا الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه أشراف من قيس ، فأقبل زفر هارباً حتى دخل قرقيسيا وأقام عمير بن الحباب شيئاً على طاعة مروان ثم أقبل حتى دخل قرقيسيا على زفر فأقام معه ، وأقبل زفر يبكي قتلى المرج ويقول

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ··· لمروان صدعا بينا متنائيا
أريني سلاحى لا أبالك اننى ··· أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا ··· ومقتل همّام أُمَنَّى الأمانيا
وتذهب كلب لم تنلها رماحنا ··· وتترك قتلى راهط هى ماهيا
فلم تُرَ منى نَبْوَة قبل هذه ··· فراري وتركي صاحبى ورائيا
عشية أُجزى بالقَرِينين لا أرى ··· من الناس الا من علىّ ولاليا
أيذهب يوم واحد ان أسأته ··· بصالح أيامى وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تَنْحَط الخيل بالقنا ··· وتثأر من نسوان كلب نسائيا
فقد ينبت المرعى على دِمَن الثرى ··· وتبقى حَزازات النفوس كما هيا

فقال ابن المخلاة الكلبي يجيبه

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ··· على زُفَر داء من الداء باقيا
تبكى على قتلى سُلَيم وعامر ··· وذُبيان مغرورا وتبكى البواكيا

فأقبل عمير بن الحباب يغير على بوادي كلب ، فلما رأت كلب مالقى أصحابهم وأنهم لا يمتنعون من خيل الحاضرة اجتمعوا الى حميد بن حريث بن بحدل فسار بهم حتى نزل تَدْمُر وبه بنو نُمير ، وقد كان بين النميريين خاصة وبين الكلبيين الذين بتدمر عقد ، فأرسلت بنو نمير رسلا الى حميد يناشدونه الحرمة فوثب عليهم ابن بعاج الكلبي فذبحهم وأرسلوا اليهم انا قد قطعنا الذى بيننا وبينكم فالحقوا بما يسعكم من الأرض ، فالتقوا فقتل ابن بعاج وظفر بالنميريين فقتلوا قتلا ذريعاً

وأسروا ، ثم خرج حميد يريد عميرا فقتل من قيس كثيراً وعاد عمير جريحاً الى قرقيسيا ، وبلغ خبر ذلك عبد الملك بن مروان وعنده حسان بن مالك بن بحدل وعبد الله بن مسعدة بن حكم الفزارى وجئ بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدة ادن ، فقال لا والله لقد أوقع حميد بسليم وعامر وقعة لا ينفعنى بعدها طعام حتى يكون لها غيرَ،فقال له حسان أجزعت ان كان بينى وبينكم فى الحاضرة على الطاعة والمعصية فأصبنا منكم يوم المرج وأغار أهل قرقيسيا على البادية بغير ذنب ، فلما رأى حميد ذلك وطلب بثار قومه فأصاب بعض ما أصابهم فجزعت من ذلك ؟ وبلغ حميداً قول ابن مسعدة فقال والله لأشغلنه بمن هو أقرب اليه من سليم وعامر فخرج فى نحو من مائتى فارس ومعه رجلان من كلب دليلان حتى انتهى الى بني فزارة فقال ان عبد الملك بعثنى مصدقا فابعثوا لى كل من يطيق أن يلقانا ففعلوا فقتلهم وأخذ أموالهم فبلغ قتلاهم نحواً من مائة ونيف فقال عويف القوافى

منى الله أن ألقى حميد بن بَحْدَل ... بمنزلة فيها الى النصف معلما
لكيما نعاطيه ونبلو بيننا ... سُرَيجية يعجمن فى الهام معجما
ألا ليت أنى صادفتنى منيتى ... ولم أر قتلى العام يأم أسلما
ولم أر قتلى لم تدع لى بعدها ... يدين فما أرجو من العيش أجذما
وأقسم ماليث بخِفان خادر ... بأشجع من جعد[1] جنانا ومقدما

فلما رجع عبد الملك من الكوفة وقتل مصعباً لحقه أسماء بن خارجة الفزاري بالنُّخيلة فكلمه فيما أتى حميد به الى فزارة وقال حدثنا أنه مصدقك وعاملك فأجبناك وبك عذنا فعليك وفى ذمتك ما على الحر فى ذمته ، فأقدنا من قضاعىّ سكير، فأبى عبد الملك وقال أنظر فى ذلك وحميد يجحد وليست لهم بينة فوداهم ألف ألف ومائتي ألف وقال انى حاسبها في أعطيات قضاعة

(١) يعنى الجعد بن عمران بن عيينة وقتل يومئذ

فلما أخذوا الدية انطلقت فزارة فاشترت خيلاً وسلاحاً ثم استتبعت سائر قبائل قيس ، ثم أغارت على ماء يدعى بنات قَيْن يجمع بطوناً من بطون كلب كثيرة وأكثر من عليه بنو عبدوَدّ وبنو عُليم بن جَناب فقتلوا من العبديين تسعة عشر رجلاً ، ثم مالوا على العليميين فقتلوا منهم خمسين رجلاً وساقوا أموالاً وبلغ الخبر عبد الملك فأمهل حتى اذا ولى الحجاج العراق كتب اليه أن يبعث اليه سعيد بن عينية وحلحلة بن قيس معهما نفر من الحرس ، فلما قدم بهما عليه قذفهما فى السجن وعرض الدية على العبديين وجعل خالد بن يزيد بن معاوية ومن ولدته كلب يقولون القتل ومن كانت أمه قيسية من بنى أمية يقولون لا بل الدية كما فعل بالقوم حتى ارتفع الكلام بينهم بالمقصورة ، فأخرجهم عبد الملك ودفع حلحلة الى بعض بنى عبد وَدّ ودفع سعيد بن عُيينة الى بعض بنى عليم ، وأقبل عليهما عبد الملك فقال ألم تأتياني تستعدياني فأعديتكما وأعطيتكما الدية ثم انطلقتما فأخفرتما ذمتي وصنعتما ما صنعتما ؟ فكلمه سعيد بكلام يستعطفه به ويرققه فضرب حلحلة فى صدره وقال أترى خضوعك لابن الزرقاء نافعك عنده ؟ فغضب عبد الملك وقال اصبر حلحلة فقال « أصبر من عَوْد بجنبيه جلب » فقتلا وشق ذلك على قيس وأعظمه أهل البادية منهم والحاضرة

مالك بن أسماء

هو مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري

كان الحجاج قد حبسه حبساً طويلا فى خيانة ظهرت عليه ثم خلاه بعد ذلك ، وذلك أنه اختلف الحجاج وهند بنت أسماء زوجته فى وقعة بنات قَيْن ، فبعث الى مالك بن أسماء ، فأخرجه من السجن ، فسأله عن الحديث فحدثه به ، ثم أقبل على هند فقال قومي الى أخيك ، فقالت لا أقوم اليه وأنت ساخط عليه ، فأقبل الحجاج عليه فقال انك والله ما علمت لَلْخائن أمانته اللئيم حسبه ، فقال ان أذن لي

الأمير تكلمت ، قال قل ، قال أما قول الأمير « اللئيم حسبه » فوالله لو علم الأمير مكان رجل أشرف مني لم يصاهرني ، وأما قوله أني خؤون فلقد ائتمنني فوفرت فأخذني بما أخذني به ، فبعت ما كان وراء ظهري ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام ، فنهض الحجاج وقال شأنك ياهند بأخيك ، فوثبت هند الى مالك فأكبّت عليه ودعت بالجوارى فنزعن عنه حديده وأمرت به الى الحمام وكسته وانصرف ، فلبث أياماً ثم دخل على الحجاج وبين يديه عهود وفيها عهده على أصبهان ، قال خذ هذا العهد وامض الى عملك فأخذه ونهض ، وطالت أيامه بأصبهان فظهرت عليه خيانة أخرى فحبسه وناله بكل مكروه حتى كان يشاب له الماء الذى يشرب به بالرماد والملح ، فاشتاق الحجاج الى حديثه يوماً ، فأرسل اليه فأحضر ، فبينا هو يحدثه اذ استسقى ماء فأتى به ، فلما نظر اليه الحجاج قال لا هات ماء السجن ، فأتى به وقد خلط بالملح والرماد فسقيه ويقال انه هرب من الحبس فلم يزل متوارياً حتى مات الحجاج ، وكتب اليه بعض أهله أن يمضى الى الشام فيستجير ببعض بنى أمية حتى يأمن ثم يعود الى مصره

فكتب مالك الى أبيه يسأله أن يدخل الى الحجاج ويسأله فى أمره ، فقال أسماء في ذلك

أبنى فزارة لا تعنُّوا شيخكم ... مالي وما لزيارة الحجاج
شبهته شبلاً غداة لقيتهُ ... يُلقى الرؤوس شواخب الأوداج (١)
تجرى الدماء على النِّطاع كأنها ... راح شمول غير ذات مزاج
لا تطلبوا حاجاً اليه فانه ... بئس المؤمَّل فى طِلاب الحاج
ياليت هنداً أصبحت مرموسة ... أو ليتها جلست عن الأزواج

ومالك هو الذى يقول

(١) الودج عرق فى العنق وهما ودجان وشخب الاوداج قطعها فسالت

وحديث ألذه هو مما   تشتهيه النفوس يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيا   نًا وأحلى الحديث ما كان لحنا

ومن قوله للحجاج

لكل جواد عثرة يستقيلها   وعثرة مثلي لا تقال مدى الدهر
فهبني يا حجاج أخطأت مرة   وجرت عن المُثْلَى وغنيت بالشعر
فهل لي اذا ما تبت عندك توبة   تدارك ما قدفات في سالف العمر

فقال له الحجاج بلى والله لئن تبت لأقبلن توبتك ولأعفين على ما كان من ذنبك ومن لي بذلك يا مالك ؟ قال لك الله ؟ ، قال حسبي الله ونعم الوكيل ، فانظر ما تقول ، قال الحق أصلحك الله لا يخفى على أحد ، فترك مالك الشراب ووفى بعهده وأظهر النسك ثم طما به الشعر وطال عليه ترك اللذات والشراب فقال

وندمان صدق قال لي بعد هُدْأة   من الليل قم نشرب فقلت له مهلا
فقال أبخلاً يا ابن أسماء ها كها   كميتاً كريح المسك تزدهف (١) العقلا
فتابعته فيما أراد ولم أكن   بخيلاً على الندمان أوشكِساً وَغْلا (٢)
ولكنني جلد القوى أبذل الندى   وأشرب ما أعطى ولا أقبل العذلا
ضحوك اذا مادبت الكأس في الفتى   وغيّره سكر وان أكثر الجهلا

فبلغ الحجاج أن مالكاً قد راجع الشراب ، فقال لا يأتي مالك بخير سجيس (٣) الأوجس

رأى عمر بن أبي ربيعة مالكاً وهو يطوف بالبيت وقدبهر الناس جماله وكماله ، فأعجب عمر ما رأى منه ، فسأل عنه فعرفه ، فعانقه وسلم عليه وقال أنت أخي حقاً ، فقال له مالك ومن أنا ؟ ومن أنت ؟ فقال أما أنا فستعرفني ، وأما أنت فالذي يقول

(١) تذهب به (٢) الوغل النذل الساقط المقصر في الاشياء (٣) أبداً

ان لي عند كل نفحة بستانًا من الورد أو من اليما سمينا
نظراً والتفاتة أتمنى أن تكوني حللت فيما يلينا

مازلت أحبك مذ سمعت هذا الشعر لك ، فقال له مالك أأنت عمر بن أبي ربيعة ؟ قال نعم

عقيل بن علفة

هو عقيل بن عُلَّفَةَ المرى من مرة بن سعد بن ذُبيان ، يكني أبا العُمَيس وأبا الجرباء شاعر مجيد مُقِلّ من شعراء الدولة الأموية وكان أعرج جافياً شديد الهوج والعجْرفية والبَذَخ بنسبه في بني مرة لا يرى أن له كُفئاً ، وهو في بيت شرف من قومه في كلا طرفيه ، وكانت قريش ترغب في مصاهرته ، تزوج اليه خلفاؤها وأشرافها منهم يزيد بن عبدالملك تزوج ابنته الجرباء ، وتزوج بنته عَمْرة سلَمة بن عبد الله بن المغيرة ، وتزوج أم عمرو بنته ثلاثة نفر من بنى الحكم بن أبي العاصي يحيى والحارث وخالد

وخطب اليه رجل من مرة كثير المال يُغمز في نسبه فقال

لعمري لئن زوجتُ من أجل ماله هجينا لقد حُبّت الى الدراهم
أأنكح عبداً بعد يحيي وخالد أولئك أكفائي الرجال الأكارم
أبى لي أن أرضى الدنية أنني أمُدّ عِناناً لم تخنه الشكائم

اقتتل بنو سَهْم بن مرة رهط عقيل واخوتهم بنى جوشن بن مرة في أمر يهودى خمار كان جاراً لهم وعقيل بالشام فكتب الى قومه يحرضهم

إمّا هلكت ولم آتكم فأبلغ أماثل سَهْم رسولا
بأن التى سامكم قومكم لقد جعلوها عليكم عدولا
هوان الحياة وضيم الممات وكل أراه طعاما وَبيلا

فان لم يكن غير إحداهما فسيروا الى الموت سيراً جميلا
ولا تقعـدوا وبكم مُنّة كفى بالحوادث للشر غولا

فلما وردت الأبيات عليهم تكفل بالحرب الحصين بن الحُمام المرى أحد بني سهم وقال الي كتب وبي نوه خاطب أماثل سهم وأنا من أماثلهم فأبْلَى فى تلك الحروب بلاء شديداً وقال فى ذلك قصيدته الميمية (انظر ص ٣ من الجزء الثانى)

عدت بنو جعفر بن كِلاب على جار لعقيل فأطردت ابله وضربوه فعدا عقيل على جارلهم فضربه وأخذ إبله فأطردها فلم يردها حتى ردوا إبلُ جاره وقال فى ذلك

ان يَشْرَق الكلبيّ فيكم بريقه بنى جعفر يعجل لجاركم القتل
فلا تحسبوا الاسلام غيَّر بعدكم رماح مواليكم فذاك بكم جهل
بنى جعفر ان تَرجع الحرب بيننا نُذِقكم كما كنا نذيقكمُ قبل
بدأتم بجاري فاثنيت بجاركم وما منهما الا له عندنا حَبْل

مات ابنه علفة بالشام فقال يرثيه

لعمرى لقد جاءت قوافل خبَّرت بأمرٍ من الدنيا علىّ ثقيـل
وقالوا ألا تبـكى لمصرع فارس نعته جنود الشام غير ضئيـل
فأقسمت لا أبكي على هلك هالك أصاب سبيل الله خير سبيـل
كأن المنـــايا تبتغى فى خيارنا لها نسباً وتهتـدى بدليـــل
تحل المنايا حيث شاءت فانها محللة بعد الفتى ابن عقيـل
فتى كان مولاه يحل برَبْوة فحلّ الموالى بعـده بمَسيل

خرج عقيل وابناه عُلَّفة وجثّامة وابنتـه الجرباء حتى أتوا بنتاً له ناكحاً فى بني مرْوان بالشام فآمت ، ثم انهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق فقال عقيل

قضت وَطَرا من دير سعد[1] وطالما على عرض ناطحنـه بالجماجم

(١) بين بلاد غطفان والشام

اذا هبطت أرضاً يموت غرابها بها عطشاً أعطيتهم بالخزائم

ثم قال أنفذ ياعُلَّفة ، فقال علفة

فأصبحن بالمَوْماة (١) يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميل العمائم

اذا عَلَم غادرنه بتَنُوفة (٢) تذارعْنَ بالأيدى لآخر طاسم

ثم قال أنفذي ياجرباء فقالت

كأن الكَرَى سقاهم صرْخَدِيَّة (٣) عُقارا تَمَشَّى فى المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة ، لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قُرْطك ، أما وجدت من الكلام غير هذا ؟ فقال جثامة وهل أساءت انما أجازت وليس غيرى وغيرك ، فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرحل ، ثم شد على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيراً مع ناقته الجرباء ، ثم قال لولا أن تسبني بنو مرة ما ذقت الحياة ، ثم خرج متوجهاً الى أهله وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أو قلت لهم انه أصابه غير الطاعون لأقتلنك ، فلما قدموا على أهل أُبَير (٤) وهم بنو القَيْن ندم عقيل على فعله بجثامة فقال لهم هل لكم فى جزور انكسرت ؟ قالوا نعم ، قال فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور ، فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، فاحتملوه وتقسموا الجزور وأنزلوه عليهم وعالجوه حتى برَأ واحتملوه ليلحقوه بقومه حتى اذا كانوا قريباً منهم تغنى جثامة

أيعذر لاحينا ويُلْحَيْنَ فى الصبا وما هن والفتيان الا شقائق

فقال له القوم انما أُفلتَّ من الجراحة التي جرحك أبوك آنفاً وقد عاودت

(١) المومأة الفلاة التى لا ماء بها ولا أنيس (٢) التنوفة كالمومأة وطاسم لا علم به
(٣) الصرخدية الخمر منسوب الى صرخد وهى بلد بالشام والمطا الظهر
(٤) موضع فى بلاد غطفان وقيل ماء لبنى القين بن جسر

ما يكرهه فأمسك عن هـذا أو نحوه اذا لقيته لا يلحقك منه شر وعرّ ، فقال انما هى خطرة خطرت والراكب اذا سار تغنى

غدا عقيل على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع فاذا بنوه مع بناته وأمهم مجتمعون فشد على عَمَلّس فحاد عنه وتغنى علفة فقال

قفى يا ابنة المُرّىّ أسألك ما الذي — تريدين فيما كنتِ منيتنا قبل

يخبرك إن لم تُنجزى الوعد أننا — ذوو خُلّة لم يبق بينهما وصل

فان شئت كان الصَّرم ماهبت الصَّبا — وان شئت لا يغنى التكارم والبذل

فقال عقيل متى منتك نفسك هذا وشد عليه بالسيف ، وكان عَمَلّس أخاه لأمه ، فحال بينه وبينه ، فشد على عملس بالسيف وترك علفة لا يلتفت اليه ، فرماه بسهم فأصاب ركبته فسقط عقيل وجعل يتمعك في دمه ويقول

ان بنىّ سربلونى بالدم — من يلق أبطال الرجال يُكلَم

ومن يكن ذا أَوَد يُقَوَّم — شِنْشِنَةَ أعرفها من أَخزم (١)

وأقسم لا يساكن بنيه فاحتمل وخرج الى الشام ، فلما استوى على ناقته المسماة أطلال بكت ابنته الجرباء وحنت ناقته فقال

ألم تريا أطلالَ حنت وشاقها — تفرقُنا يوم الحبيب على ظهر

وأسبل من جرْباء دمع كأنه — جُمان أضاع السلك اجرت فى سطر

لعمرك انى يوم أغدو عَمَلَّساً — لكالمتربى حتفه وهو لا يدرى

وانى لأسقيه غبوقى واننى — لغرّثان منهوك الذراعين والنحر

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل انك تخرج الى أقاصى البلاد وتدع بناتك فى الصحراء لا كالئ لهن والناس ينسبونك الى الغيْرة وتأبى أن تزوجهن الا

(١) أخزم فحل كان لرجل من العرب وكان منجباً فضرب فى ابل رجل آخر ولم يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله فقال شنشنة أعرفها من أخزم

الأكفاء ، قال انى أستعين عليهن بخلتين تكلآنهن وأستغني عن سواهما ، قال وما هما ؟ قال العُرْى والجوع

ومضى علفة أيضاً فافترض بالشام وكتب الى أبيه

ألا أبلغا عنى عقَيلا رسالة ... فانك من حرب على كريم
أما تذكر الأيام اذ أنت واحد ... واذ كل ذي قربى اليك ذميم
واذ لا يقيك الناس شيئاً تخافه ... بأنفسهم الا الذين تَضيم
تناول شأواً الا بعدين ولم يقم ... لشأوك بين الأقربين أديم
فأما اذا عضت بك الحرب عضة ... فانك معطوف عليك رحيم
وأما اذا آنست أمنا ورخوة ... فانك للقربى ألدُّ ظلوم

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضى عنه وبعث اليه فقدم عليه

عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش أمه أخت عقيل فقال له قبّحك الله أشبهت خالك فى الجفاء ، فبلغت عقيلا فجاء حتى دخل على عمر فقال له ما وجدت لابن عمك شيئاً تعيره به الا خؤلتى فقبح الله شركما خالا ، فقال له عمر انك لأعرابى جلف جاف أما لو كنت تقدمت اليك لأدبتك والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً ، قال بلى انى لأقرأ ، قال فاقرأ ، فقرأ « اذا زلزلت الأرض زلزالها » حتى بلغ الى آخرها فقرأ « فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » فقال له عمر ألم أقل لك انك لا تحسن أن تقرأ ؟ قال أولم أقرأ ؟ قال لا لأن الله جل وعز قدم الخير وانك قدمت الشر ، فقال

خذا بطن هرشى أو قفاها فانه ... كلا جانبى هرشى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفيته

قدم عقيل المدينة فدخل المسجد وعليه خفان غليظان فجعل يضرب برجليه ، فضحكوا منه ، فقال ما يضحككم ؟ فقال له يحيى بن الحكم « وكانت ابنة عقيل تحته »

يضحكون من خفيك وضربك برجليك وشدة جفائك ، قال لا ولكن يضحكون من امارتك فانها أعجب من خفي ، فجعل يحيى يضحك

دخل عقيل على يحيى بن الحكم وهو يومئذ أمير المدينة فقال له يحيى أنكح ابن خالي (يعني ابن أوفى) فلانة ابنتك ، فقال ان ابن خالك ليرضى مني بدون ذلك ، قال وما هو ؟ قال ان أكفّ عنه سنن الخيل اذا غشيت سوامه ، فقال يحيى لحرسيين بين يديه أخرجاه ، فأخرجاه ، فلما ولى قال أعيداه اليّ ، فأعاداه ، فقال له عقيل مالك تكرّني إكرار الناضح ؟ قال أما والله اني لأكرّك أعرج جافياً فقال عقيل كذلك قلت

تعجبت اذ رأت رأسي تجلّله من الروائع شيب ليس من كبر
ومن أديم تولى بعد جدّته والجفن يخلق فيه الصارم الذكر

فقال له يحيى أنشدني قصيدتك هذه كلها ، قال ما انتهيت الا الى ما سمعت فقال أما والله انك لتقول فتقصر ، فقال انما يكفي من القلادة ما أحاط بالرقبة ، قال فأنكحني أنا احدى بناتك ، قال أما أنت فنعم ، قال أما والله لأملأنك مالا وشرفا ، قال أما الشرف فقد حملت ركائبي منه ما أطاقت وكلفتها تجشيم مالم تطق ولكن عليك بهذا المال فان فيه صلاح الأيّم ورضا الأبيّ ، فزوجه ثم خرج فأهداها اليه ، فلما قدمت عليه بعث اليها مولاة له لتنظر اليها ، فجاءتها فجعلت تغمز عضدها فرفعت يدها فدقت أنفها ، فرجعت الى يحيى وقالت بعثتني الى أعرابية مجنونة صنعت بي ما ترى ، فنهض اليها يحيى فقال لها مالك ؟ قالت ما أردت أن بعثت الى أمة تنظر اليّ ؟ ما أردتُ بما فعلت الا أن يكون نظرك الى قبل كل ناظر فان رأيت حسناً كنت قد سبقت الى بهجته وان رأيت قبيحاً كنت أحق من ستره ، فسر بقولها وحظيت عنده

خطب يزيد بن عبد الملك الى عقيل ابنته الجرباء ، فقال له عقيل قد زوجتكها

على ألاّ يَزُفها اليك أعلاجك ، أكون أنا الذى أجىء بها اليك ، قال ذلك لك ، فتزوجها ومكثوا ما شاء الله ، ثم دخل الحاجب على يزيد فقال له بالباب أعرابى على بعير معه امرأة فى هودج ، قال أراه والله عقيلا ، فجاء بها حتى أناخ بعيرها على بابه ثم أخذ بيدها فأذعنت فدخل بها على الخليفة فقال له ان أنتما ودّن بينكما فبارك الله لكما وان كرهت شيئاً فضع يدها فى يدى كما وضعت يدها فى يدك فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله وأعطاه ثم مات الصبي فورثت أمه منه الثلث ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب اليه ان ابنك وابنتك هلكا وقد حسبت ميراثك منها فوجدته عشرة آلاف دينار فهلم فاقبضه ، فقال ان مصيبتي بابنى وابنتى تشغلني عن المال وطلبه فلا حاجة لي فى ميراثهما ، وقد رأيت عندك فرساً سبقت عليه الناس فأعطنيه أجعله فحلا لخيلى ، وأبى أن يأخذ المال ، فبعث اليه يزيد بالفرس

أرطاة ابن سهية

هو أرطاة بن زُفَر المرّي وسُهَيَّة أُمه

شاعر فصيح معدود فى طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الاسلام فى دولة بني أُمية لم يسبقها ولم يتأخر عنها ، وكان امرأ صدق شريفاً فى قومه جواداً ، وكان يهاجى شَبيب ابن البرصاء

دخل على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شبيباً فأنشده

أبى كان خيراً من أبيك ولم يزل جنيباً لآبائى وأنت جنيب

فقال عبد الملك كذبت ، شبيب خير منك أباً ، ثم أنشده

ومازلت خيراً منك مذ عضّ كارهاً برأسك عاديُّ النِّجاد رَكوب

فقال عبد الملك صدقت ، أنت فى نفسك خير من شبيب ، فعجب من عبد الملك من حضر ومن معرفته مقادير الناس على بعدهم منه فى بواديهم ، وكان الأمر

على ما قال ، كان شبيب أشرف أباً من أرطاة وكان أرطاة أشرف فعلاً ونفساً من شبيب ، ودخل عليه مرة أخرى فقال له كيف حالك يا أرطاة ؟ وكان قد أسن ، فقال ضعفت أوصالي وضاع مالي وقلَّ مني ما كنت أحب كثرته ، وكثر مني ما كنت أحب قلته قال فكيف أنت فى شعرك ؟ قال يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرهب ، وما يكون الشعر الا من نتائج هذه الأربع ومع أني القائل

رأيت المرء تأكله الليالي … كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغي المنيـة حين تأتي … على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكرّ حتى … توفي نذرها بأبى الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال بل توفي نذرها بك ويلك ، فقال لا ترُع يا أمير المؤمنين فانما عنيت نفسي ، وكان أرطاة يكني بأبي الوليد ، فسكن عبد الملك ثم استعبر باكياً وقال أما والله على ذلك لتلمَّنَّ بي

دخل على مروان بن الحكم لما اجتمع له أمر الخلافة وفرغ من الحرب التى كان بها متشاغلاً فهنأه ، وكان خاصاً به وبأخيه يحيى بن الحكم ، ثم أنشده

تشكّى قلوصى الى الوجى (١) … تجر السَّريح وتُبلي الخِداما
تَزور كريماً له عندها … يدٌ لا تُعدّ وتُهدى السلاما
وقل ثواباً له أنهـــا … تُجيد القوافي عاماً فعاما
وسادت معدّا على رغمها … قريش وسُدْتَ قريشاً غلاما
جُعِلت على الأمر فيه صغا (٢) … فما زال غمزك حتى استقاما

(١) الوجى الحفا وهو أن يرق القدم أو الفرسن أو الحافر وينسحج والخدام جمع خدمة بفتحتين وهى السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشد الى رسغ البعير ثم يشد اليها سرائح نعلها والسرائح جمع سريح وهو السير يخصف به (٢) الصغى الميل

لَقِيتَ الزُّحوفَ فقاتلتها فجردت فيهن عضباً حُساما
تشق القَوانس حتى ينا لَ ماتحتها ثم تبْرى العظاما
نزعت على مَهَل سابقاً فما زادك النزع الا تماما
فزاد لك الله سلطانه وزاد لك الخير منه فداما

بلغه أن شبيباً سبه وتمنى لقاءه فى يوم قتال ليشفى منه غيظه فقال له

أن تلقَني لاترى غيري بناظرة تنس السلاح وتعرفْ جبهة الأَسد
ماذا أظنك تُغْني فى أخى رصد من أُسْد خَفَّان جابي[1] العين ذى لِبَد
أبى ضَراغمة غُبْرٍ يعوِّدها أ كلَ الرجال متى يبدأ لها يعُد
يأيها المتمني أن يلاقيني ان تَنْأَ آتك أوان تَبْغِني تجِد
تفض اللُبانة من مُرٍّ شرائعهُ صعب القادة تخشاه فلا تعُد
متى ترِدْنِيَ لا تَصدُر لمصدرة فيها نجاة وان أُصدرك لاترد
لاتحسبني كفقعِ القاع ينقرُه جانٍ بأصبعه أو بَيْضة البلد
أنا ابن عقفان معروفاً له نسبى الا بما شاركت أم على ولد
لاقى الملوك فأثأى[2] فى دمائهم ثم استقر بلا عقْل ولا قوَد
من عصبة يطعنون الخيل ضاحية حتى تبدَّدَ كالمزؤودة[3] الشُّرُد
ويمنعون نساء الحي ان علمت ويكشفون قتام الغارة العمد
أنا ابن صِرْمة ان تسأل خيارهم أضربْ برجلى فى ساداتهم ويدى
وفى بني مالك أم وزافرة لا يدفع المجد من قيس الى أحد
ضربت فيهم بأعراق كما ضربت عروق ناعمة فى أبطح ثَئِد
جدى قُضاعة معروف ويعرفني حيًّا رُفيدَة أهل السَّرْو والعدد

---

(١) جابى العين وجابىء العين شديد النظر (٢) أثأى فى القوم جرح فيهم
(٣) المزؤودة المذعورة

وكان ينسب بوجزة إحدى نساء غني ومن قوله فيها

ودَاوِيَّةٍ نازعتها الليـل زائرا ... لوَجزَةَ تَهديني النجوم الطوامس
أعوج بأصحابي عن القصد تعتلي ... بنا عرُض كَنَريها المطى العرامس
فقد تركتني لا أعيج بمشرب ... فأرْوَى ولا ألهو الى من أجالس
ومن عجب الأيام أن كلّ منزل ... لوجزة من أكناف زِمّان دارس
وقدجاورت قصر العذّيب فمابرى ... بزِمّان الا ساخط العيش بائس
طلاب بعيد واختلاف من النوى ... اذا ما أتى من دون وَجزة قادس[1]
لئن أنجح الواشون بيني وبينها ... وطال التنائى والنفوس النفائس
لقد طال ما عشنا جميعاً ودنا ... جميع اذا ما يبتغى الأنس آنس
كذلك صرف الدهر ليس بتارك ... حبيباً ويبقى عمره المتقاعس

ومن قوله فيها

مررت على حدثى بزِمّان بعدما ... تقطع أقران الصبا والوسائل
فكنت كظبي مفلت ثم لم يزل ... به الحين حتى أعلقته الحبائل

وكان بينه وبين حيان الأسدى مهاجاة فاعترض بينهما حُباشة الاسدى فهجا أرطاة فقال فيه أرطاة

أبلغ حُباشة أنى غير تاركه ... حتى أُذلله اذ كان ما كانا
الباعث القول يُسْديه ويُلْحمه ... كالمجتدى الثكل اذ حاورت حيانا
أن تدع خندِف بغياً أو مكاثرة ... أُدعُ القبائل من قيس بن عيلانا
قد نحبس الحق حتى ما يجاوزنا ... والحق يحبسنا فى حيث يلقانا
نبنى لآخرنا مجداً نشيده ... انا كذاك ورثنا المجد أولانا

(١) القادس السفينة العظيمة

وفد على عبد الملك بن مروان عام الجماعة وقد هنأه بالظفر ومدحه فأطال المقام عنده وأرجف أعداؤه بموته فلما قدم بالجوائز وقد ملأ يديه بلغه ما كان منهم فقال

اذا ما طلعنا من ثَنِيّة لَفْلَف [1] نخبر رجالا يكرهون إيابي
وخبرهمُ أنى رجعت بغبطة أُحدد أظفارى ويَصْرف نابي
وأنى ابن حرب لا تزال تَهِرُّني كلاب عدوى أو تهر كلابي

وقع بينه وبين زُمَيل قاتل ابن دارة لحاء فتوعده زميل وقال انى لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن دارة فقال أرطاة

يا زمل انى ان أكن لك سائقا تركض برجليك النَّجاة وأَلحق
لا تحسبنى كامرئ صادفته بمضيعة تخدشه بالمرفق
انى امرؤ أُوفى اذا قارعتكم قصَبَ الرِّهان وما أشأ أتعرق

فقال له زميل

يا أرْطَ إن تك فاعلا ما قلته والمرء يستحيي اذا لم يصدق
فافعل كما فعل ابن دارة سالم ثم امش هوْنك سادرا لا تتقى
واذا جعلتك بين لحيي شابك الـ أنياب فارعُد ما بدا لك وابرُق

وقال أرطاة يرثى ابنه عمراً

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكن وقوفى عليه غير مَبْكًى ومَجْزع
هل أنت ابن سَلمى ان نظرتك رائح مع الركب أو غاد غداة غدٍ معى
أأنسى ابن سلمى وهو لم يأت دونه من الدهر الا بعضُ صيف ومَرْبع
وقفت على جُشْمان عمرٍو فلم أجد سوى جدَث عافٍ ببيداء بَلْقَع
ضربت عمودى بانة شمرا معا فخزت ولم أتبع قلوصى بدعدع

(١) جبل بين تيماء وجبلى طيء

ولو أنها حادت عن الرَّمْس نلتها ... بيادرة من سيف أشهب موقع
تركتك ان تحيَيْ تكوسى[١] وان تنؤ ... على الجهد تخذلها توالٍ فتُصْرَع
فدع ذكر من قد حالت الارض دونه ... وفى غير من قد وارت الارض فاطمع

ومنها

وكائن ترى من ذات بَثّ وعولة ... بكت شجوها بعد الحنين المرجَّع
فكانت كذات البَوِّ[٢] لما تعطفت ... على قطع من شِلْوه المتمزع
متى لا تجدْها تنصرف لطياتها ... من الارض أو تعمِد لالف فتربَع

خاصمت امرأة من بنى مرة سُهَيَّة أم أرطاة وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه فاستطالت عليها المرأة وسبتها فخرج أرطاة اليهما فسبها وضربها ، فلامه قومه وقالوا له مالك تدخل نفسك فى خصومات النساء ؟ فقال

يعيرنى قومى المجاهل والخَنا ... عليهم وقالوا أنت غير حليم
هل الجهل فيكم أن أعاقَب بعدما ... تجوز سبيّ[٣] واستُحِل حريمى
اذا أنا لم أمنع عجوزىَ منكمُ ... فكانت كأخرى فى النساء عقيم
وقد علمت أبناء مُرَّة أننا ... اذا ما اجتدانا الشر كل حميم
حُماة لأحساب العشيرة كلها ... اذا ذُمَّ يوم الروع كل مُليم

ومن قوله فى قتلى من قومه قتلوا يوم بنات قين[٤]

أعاذلتى ألا لا تعذُلينا ... أقلى اللوم ان لم تنفعينا
فقد أكثرت لو أغنيت شيئاً ... ولست بقابل ما تأمرينا

---

(١) كاس البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب (٢) البو جلد الحوار يحشى ثماماً أو تبناً أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر (٣) سبك من يسابك

(٤) بنات قين موضع بالشام فى بادية كلب بن وبرة كانت فيه وقعة لبنى فزارة على بنى كلب فى أيام عبد الملك بن مروان ، فأصابت فيهم على غرة وذلك بعد وقعة أوقعتها بهم كلب يوم العاه وهو جبل بأرض فزارة (أنظره فى ترجمة عويف القوافى ص ٧٨)

فلا وأبيك لا ننفك نبكي   على قتلى هنالك ما بقينا
على قتلى هنالك أوجعتنا   وأنستنا رجالا آخرينا
سنبكي بالرماح اذا التقينا   على اخواننا وعلى بنينا
بطعن تَرْعُد الاحشاء منه   يرد البيض والابدان جُونا
كأن الخيل اذ آنسن كلباً   يَرَيْن وراءهم ما يبتغينا

شبيب ابن البرصاء

هو شبيب بن يزيد المرى والبَرْصاء أُمه واسمها قرصافة بنت الحرث بن عوف ابن أبى حارثة لقبت بذلك لبياضها

شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الأموية بدوي لم يحضر الا وافداً أو منتجعاً وكان يهاجى عقيل بن عُلَّفَة ويعاديه لشراسة كانت فى عقيل وشر عظيم وكلاهما كان شريفاً سيداً فى قومه فى بيتُ شرفهم وسوددهم ، وكان شبيب أعور أصاب عينه رجل من طيء في حرب كانت بينهم ، ومما قاله لعقيل

ألسنا بفرع قد علمتم دِعامة   ورابية تنشق عنها سيولها
وقد علمت سعد بن ذُبيان أننا   رحاها التى تأْوِي اليها وجُولها[1]
اذا لم نَسُسْكم فى الأُمور ولم تكن   لحرب عوَانٍ لاقح من يؤلها[2]
فلستم بأهدى فى البلاد من التى   تَرَدَّدُ حيْرَى حين غاب دليلها
دعت جل يَرْبوع عقيلا لحادث   من الأمر فاستخفى وأعيا عقيلها
فقلت له أهلا أجبت عشيرة   لطارق ليل حين جاء رسولها
وكائن لنا من رَبوَة لا تنالها   مَرَاقيك أو جرْثومة لا تطولها
نخرت بأيام لغيرك فخرها   وغرَّتهــا معروفة وحُجُولها

(١) الجول جدار البئر وجمعه أجوال   (٢) آله يؤله ساسه

اذا الناس هابوا سوءة عمدت لها ... بنو جابر شبانها وكهولها
فهلا بني سعد صبحت بغارة ... مُسوَّمة قد طار عنها نَسيلها
فتدرك وترا عند آلم واتر ... وتدرك قتلى لم تتمم عقولها

وقال له

ألا أبلغ أبا الجرباء عني ... بآيات التباغض والتقالى
فلا تذكر أباك العبدَ وافخر ... بأم لست مكرمها وخال
وهبها مُهرَة لَقِحت ببغل ... فكان جنينها شر البغال
اذا طارت نفوسهم شَعاعاً ... حمينا المحصَنات لدى الحِجال
بطعن تعثُر الأبطال منه ... وضرب حيث تقتصُّ العوالى
أبى لي أن آبائى كرام ... بنوْا لي فوق أشراف طوال
بيوتَ المجد ثم وثبت منها ... الى علياء مشرفة القذَال
تزِلّ حجارة الرامين عنها ... وتقصر دونها نبل النِّضال

خطب شبيب الى يزيد بن هاشم المرى ابنته ، فقال هى صغيرة ، فقال شبيب لا ولكنك تبغي أن تردنى ، فقال له يزيد ما أردت ذاك ولكن أنظرنى هذا العام فاذا انصرم فعليَّ أن أزوجك ، فرحل شبيب من عنده مغضباً ، فلام يزيدَ بعض أهله ، فبعث الى شبيب ارجع فقد زوجتك ، فأبى شبيب أن يرجع وقال

لعمرى لقد أشرفت يوم عُنَيْزَة ... على رغبة لو شد نفسى مَرِيرها(١)
ولكنَّ ضعف الأمر ألاَّ تُمِرَّه ... ولا خير فى ذى مِرَّة(٢) لا يغيرها
تبيَّنُ أدبار الأمور اذا مضت ... وتُقبل أشباهاً عليك صدورها
تُرَجِّي النفوس الشيء لا تستطيعه ... وتخشى من الأشياء ما لا يَضيرها
ألا انما يكفى النفوسَ اذا اتقت ... تُقَى الله مما حاذرت فيجيرها

(١) المرير عزة النفس والعزيمة (٢) المرة قوة الخلق وشدته

ولا خير في العيدان الا صلابها ... ولا ناهضات الطير الا صقُورها
ومستنبح يدعو وقد حال دونه ... من الليل سَجْفا ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى بها ... زجرت كلابى أن يهِرَّ عقورها
فبات وقد أسرى من الليل عقبة ... بليلة صدق غاب عنها شرورها
وقد علم الأضياف أن قِراهم ... شِوَاء المتالي(١) عندنا وقدورها
اذا افتخرت سعد بن ذُبيان لم تجد ... سوى ما بنينا ما يعد فخورها
واني لترّاك الضغينة قد أرى ... ثَرَاها من المولى فلا أستثيرها
مخافة أن يجني عليَّ وانما ... يهيج كبيرات الأمور صغيرها
اذا قيلت العوراء وليتُ سمعها ... سواى ولم أسمع بها ما دَبِيرها
وحاجة نفس قد بلغت وحاجة ... تركت اذا ما النفس شح ضميرها
حياء وصبراً في المواطن انني ... حَيّ لدى أمثال تلك ستيرها
وأحبس في الحق الكريمةَ انما ... يقوم بحق النائبات صبُورها
احابى بها الحى الذى لا تهمه ... وأحساب أموات تعد قبورها
ألم تر أنا نور قوم وانما ... يبين في الظلماء للناس نورها

ومن فخره

ولقد وقفت النفس عن حاجاتها ... والنفس حاضرة الشعاع تَطلّع
وغرِمت في الحسب الرفيع غرامة ... يَعْيا بها الحَصِر الشحيح ويَظْلَع
أنى فتى حر لقدري عارف ... أعطى به وعليه مما أمنع

ومن قوله يرثي جماعة من بني عمه

تخرم الدهر اخواني وغادرني ... كما يغادر نور الطارد القأْد(٢)
اني لباق قليلا ثم تابعهم ... ووارِدٌ منهلَ القوم الذى وردوا

(١) ناقة متلية تبعها ولدها والجمع متالى (٢) القأد اصابة الفؤاد

وشكاه رهط أَرْطَاة ابن سُهَيَّة الى عثمان بن حيان المرى وقالوا يعمنا بالهجاء ويشتم أعراضنا فأمر باشخاصه اليه ، ولما قدم قال له أقسم قسماً حقاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعن لسانك ، فقال شبيب

سجنت لسانى يا ابن حيان بعدما ... تولى شبابى ان عقدك محكم
وعيدك أبقى من لسانى قُذاذة (١) ... هيوبا وصمتاً بعد لا يتكلم
رأيتك تَحْلَوْلي اذا شئت لامرئ ... ومُرًّا مُراراً فيه صاب وعلقم
وكل طريد هالك متحير ... كما هلك الحيران والليل مظلم
يداك يدا خير وشر فمنهما ... تضر وللأخرى نوال وأنعم

وقد وصف نفسه شبيب فأحسن

وانى لسهل الوجه يعرف مجلسي ... اذا أحزن القاذورةُ المتعبس
يضئ سنا جودى لمن يبتغى القِرَى ... وليل بخيل القوم ظلماء حِنْدِس
ألين لذى القربى مراراً وتلتوى ... بأعناق أعدائى حبال فتمْرَس (٢)

وكان عبد الملك يتمثل بقول شبيب فى بذل النفس عند اللقاء ويُعْجَب به

دعانى حصْن للفِرار فساءنى ... مواطن أن تثني علىَّ فأشتما
فقلت لحصن نَحِّ نفسك انما ... يذود الفتى عن حوضه أن يهدما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما
سيكفيك أطرافَ الأسنة فارس ... اذا رِيعَ نادى بالجواد وبالحمى
اذا المرء لم يغش المكاره أوشكت ... حبال الهُوَيْنَى بالفتى أن تجذما

ومما يغنى فيه من شعره

سلا أم عمرو فيم بات أسيرها ... تفادى الأسارى حوله وهو موثق
فلا هو مقتول ففى القتل راحة ... ولا منعم يوماً عليه فمطلق

(١) القذاذة ما سقط من قذ الريش ونحوه (٢) مرست حبال فلان أى ارتبكت أموره

ابن ميادة

هو الرَّمَّاح بن أَبْرَد بن ثَوْبان المرى ، ويكنى أبا شرحبيل ، وميّادة أمه وهى أم ولد بربرية وروى أنها كانت صقُلبية وكان ابن ميادة يزعم أنها فارسية وذكر ذلك فى شعره فقال

أليس غلام بين كسرى وظالم ... بأكرم من نيطت عليه التمائم
لو أن جميع الناس كانوا بتَلْعة ... وجئت بجدى ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

وقال يفتخر بها

أنا ابن ميادة تهْوِى نُجُبي ... صَلْت الجبين حسن مُرَكَّبي
ترفعنى أمى وينميـــني أبى ... فوق السحاب ودوين الكوكب

وهو شاعر مقدم مخضرم من شعراء الدولتين وجعله ابن سلام فى الطبقة السابعة وقرن به عمرو بن لَجَأ والعجيف العقيلي والعُجَير السَّلولى ، وقال ابن الأعرابى كان عرِّيضا للشر طالباً مهاجاة الشعراء ومسابّة الناس ، وقال شيخ من غطفان كان الرماح بن أبرد أشعر غطفان في الجاهلية والاسلام وكان خيراً لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس وكان النابغة انما يَهْذِى باليمن مضللا حتى مات ، وقال القاسم بن جُنْدَب الفزارى ، وكان عالماً لابن ميادة والله لو أصلحت شعرك لذكرت به فانى لأراه كثير السقط ، فقال له ابن ميادة يا ابن جندب انما الشعر كنبل فى جفيرك ترمى به الغرض (١) فطالع وواقع وعاضد وقاصر ، وقال يحيى بن على كان

(١) الطالع من السهام الذى يجاوز الهدف ويعلوه لم يزغ عنه يميناً ولا شمالا وهو يستحب والواقع الذى يقع بالغرض والعاضد الذى يقع عن يمين الغرض وشماله وهو شرها والقاصر الذى يقصر دونه فلا يبلغه وهو قاصد

ابن ميادة فصيحاً يحتج بشعره وقد مدح بني أمية و بني هاشم ومدح من بني أمية الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان.

وكان ابن ميادة أحمر سبطا عظيم الخلق طويل اللحية وكان لباساً عطراً ما دنوت من رجل كان أطيب عرفاً منه

قال موسى بن زهير كان الرماح ينسب بأم جحدر بنت حسان المرية فحلف أبوها ليخرجنها الى رجل من غير عشيرته ولا يزوجها بنجد ، فقدم عليه رجل من الشام فزوجه اياها فلقى عليها ابن ميادة شدة فرأيته وما لقى عليها ، فأتاها نساؤها ينظرن اليها عند خروج الشامي بها فوالله ما ذكرن منها جمالاً بارعاً ولا حسناً مشهوراً ولكنها كانت أكسب الناس لعجب ، فلما خرج بها زوجها الى بلاده. اندفع ابن ميادة يقول

ألا حييا رسما بذى العشّ مقفرا ... وربعا بذى المدور مستعجماً قفرا
فأعجب دار دارُها غير أنني ... اذا ما أتيت الدار تَرجعني صِفرا
عشية أثني بالرداء على الحشى ... كأن الحشى من دونه أُسعرت جمرا
فبهرا لقومي اذ يبيعون مهجتي ... بغانية بهرًا لهم بعدها بهرا
يميل بنا شحط النوى ثم نلتقي ... عداد الثريا صادفت ليلة بدرا
وبالغمر قد جازت وجاز مطيها ... فأسقى الغوادى بطن تبان فالغمرا
خليليّ من غيظ بن مرة بلغا ... رسائل مني لا تزيدكما وقرا
ألا ليت شعرى هل الى أم جحدر ... سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا
فان يك نذر راجعا أم جحدر ... عليّ لقد أوجبت فى عنقى نذرا
وانى لأستثني الحديث من اجلها ... لأسمع منها وهى نازحة ذكرا
وانى لأستحيي من الله أن أرى ... اذا غدر الخلان أنوى لها غدرا

قال ابن ميادة كانت أم جحدر من عشيرتي فأعجبتني ، وكانت بيني و بينها خلة ، ثم انى عتبت عليها في شئ بلغني عنها فأتيتها فقلت يا أم جحدر ان الوصل عليك مردود ، فقالت ما قضى الله فهو خير ، فلبثت على تلك الحال سنة ، وذهبت بهم نجعة فتباعدوا واشتقت اليها شوقاً شديداً فقلت لامرأة أخ لى والله ان دنت دارنا من أم جحدر لآتينها ولأطلبن اليها أن ترد الوصل بيني و بينها ولئن ردته لانقضته أبداً ، ولم يكن يومان حتى رجعوا فلما أصبحت غدوت عليهم فاذا أنا ببيتين نازلين الى سَنَد أبرق طويل واذا امرأتان جالستان فى كساء واحد بين البيتين ، فجئت فسلمت فردت إحداهما ولم ترد الاخرى ، فقالت ما جاء بك يا رماح الينا ؟ ما كنا حسبنا الا أنه قد انقطع ما بيننا و بينك ، فقلت انى جعلت عليّ نذراً لئن دنت بأم جحدر دار لآتينها ولأطلبن منها أن ترد الوصل بيني وبينها ولئن هى فعلت لانقضته أبداً ، واذا التي تكلمني امرأة أخيها واذا الساكتة أم جحدر ، فقالت امرأة أخيها فادخل مقدم البيت ، فدخلت وجاءت فدخلت من مؤخره ، فدنت قليلا ثم اذا هى قد برزت ، فساعة برزت جاء غراب فنعب على رأس الأبرق ، فنظرت اليه وشهقت وتغير وجهها ، فقلت ما شأنك ؟ قالت لا شئ ، قلت بالله ألا أخبرتنى ، قالت أرى هذا الغراب يخبرنى انا لا نجتمع بعد هذا اليوم الا ببلد غير هذا البلد ، فتقبضت نفسى ثم قالت جارية والله ما هى فى بيت عِيافة ولا قيافة ، فأقمت عندها ثم تروحت الى أهلى فمكثت عندهم يومين ثم أصبحت غادياً اليها فقالت لي امرأة أخيها ويحك يا رماح أين تذهب ؟ فقلت اليكم ، فقالت وما تريد ؟ قد والله زوجت أم جحدر البارحة ، فقلت بمن ويحك؟ قالت برجل من أهل الشام من أهل بيتها جاءهم من الشام فخطبها فزوجها وقد حملت اليه ، فمضيت اليهم فاذا هو قد ضرب سرادقات ، فجلست اليه فأنشدته وحدثته وعدت اليه أياماً ، ثم انه احتملها فذهب بها فقلت

أجارتنا[1] ان الخطوب تنوب   علينا وبعض الآمنين تصيب
أجارتنا لست الغداة ببارح   ولـكن مقيم ما أقام عَسيب
فان تسأليني هل صبرت فانني   صبور على ريب الزمان صليب
جرى بانبتات الحبل من أم جحدر   ظباء وطير بالفراق نعوب
نظرت فلم أعتَفْ وعافت فبينت   لها الطير قبلي واللبيب لبيب
فقالت حرام أن نرى بعد هذه   جميعين الا أن يُلِمّ غريب
أجارتنا صبراً فيارب هالك   تَقَطَّعُ من وجد عليه قلوب

ثم انحدرت فى طلبها وطمعت فى كلمتها «الا ان نجتمع فى بلد غير هذا البلد» فجئت فدرت الشام زماناً فتلقانى زوجها فقال مالك لا تغسل ثيابك هذه ؟ أرسل بها الى الدار تغسل ، فأرسلت بها ، ثم انى وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب ، فقالت أم جحدر لجاريتها اذا جاء فأعلميني ، فلما جئت اذا أم جحدر وراء الباب ، فقالت ويحك يا رَمّاح قد كنت أحسب أن لك عقلا ، أما ترى أمراً قد حيل دونه ؟ انصرف الى عشيرتك فانى أستحي لك من هذا المقام ، فانصرفت وأنا أقول

عسى أن حججنا أن نرى أم جحدر   ويجمعنا من نخلتين طريق
وتصطك أعضاد المطىّ وبيننا   حديث مُسَرّ دون كل رفيق

قال اسحق الموصلي أنشدني أبو داود لابن ميادة وهو يضحك منذ أنشدنى الى أن سكت

ألم تر أن الصاردية جاورت   ليالي بالممدور[2] غير كثير

---

(١) هذه الابيات الثلاثة أغار عليها ابن ميادة أعيانها أما البيتان الاولان فهما لامرىء القيس قالهما لما احتضر بأنقرة فى بيت واحد والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية وتمثل به أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى رسالة كتب بها الى أخيه عقيل

(٢) الممدور موضع فى ديار غطفان

ثلاثاً فلما أن أصابت فؤاده بسهمين من كحل دعت بهجير
بأصهب [١] يرمى للزمام برأسه كأن على ذِفْرَاه نضحَ عبير
جلت اذ جلت عن أهل نجد جيدة جلَاء غني لا جلاء فقير
وقالت وما زادت على أن تبسمت عذيرَك من ذي شيبة وعذيرى
عدمت الهوى ما يبرح الدهر مُقْصِداً لقلبي بسهم في اليدين طرير [٢]
وقد كان قلبي مات للوجد موته فقد همَّ قلبي بعدها بنشور

فقلت ما أضحكك ؟ فقال كذب ابن ميادة والله ما جلت الا على حمار وهو يذكر بعيراً ويصفه وأنها جلت جلاء غني لا جلاء فقير ، فأنطقه الشيطان بهذا كله كما سمعت

ومن قوله فيها

ألا يالقومى للهوى والتذكر وعين قذى انسانها أم جحدر
فلم تر عينى مثل قلبي لم يطر ولا كضلوع فوقه لم تكسر

ومن نسيبه بأم جحدر

يمنونني منك اللقاء وانني لأعلم لا ألقاك من دون قابل
الى ذاك ماحارت أمورك وانجلت غَيابة حبيك انجلاء المَخايل [٣]
اذا حل أهلى بالجناب وأهلها بحيث التقى الفلان من ذى أرايل
أقل خُلّة بانت وأدبر وصلها تقطع منها باقيات الحبائل
وحالت شهور الصيف بينى وبينها ورفع الأعادى كل حق وباطل
أقول لعذَّالِيَّ لما تقابلا على بلوم مثل طعن المعاول
ألا تكثرا عنها السؤال فانها مُصَلْصِلَةٌ [٤] من بعض تلك الصلاصل

---

(١) يريد بعيراً لونه الصهبة والذفرى العظم خلف الاذن (٢) طرير محدد وأقصده السهم أصابه فقتله مكانه (٣) جمع مخيلة بالضم والنتح السحابة التى تحسبها ماطرة
(٤) صلصل فلاناً أوعده وتهدده.

من الصفر لاورهاء سمج دلالها ... وليست من السود القصار الحوائل (١)
ولكنها ريحانة طاب نشرها ... وردت عليها بالضحى والأصائل
فياليت رثَّ الوصل من أم جحدر ... لنا بجديد من أولاك البدائل
ولم يبق مما كان بيني وبينها ... من الود الا مخفيات الرسائل
وأني اذا استنبهت من حلو رقدة ... رميت بحبيها كرمى المناضل
فما أنس م الاشياء لا أنس قولها ... وأدمعها يُذرين حشو المكاحل
تمتع بذا اليوم القصير فانه ... رهين بأيام الدهور الأطاول
وكنت أمرأ أرمى الزوائل (٢) مرة ... فأصبحت قد ودعت رمى الزوائل
وعطلت قوس اللهو من شُرعاتها (٣) ... وعادت سهامى بين رث وناصل
اذا حل بيتى بين بدر (٤) ومازن ... ومرة نلت الشمس واشتد كاهلى

لما ماتت أم جحدر ونعيت اليه لم يصدق حتى أتاه رجل من بني زُحْل يقال له عمار فنعاها له فقال

ما كنت أحسب ان القوم قد صدقوا ... حتى نعاها لى الزحلى عمار

وقال يرثيها

خلت شعب المحدور لست بواجد ... به غير بال من عِضاه وحَرمل
تمنيت أن تلقي به أم جحدر ... وماذا تمني من صدًى تحت جندل
فلَلْموت خير من حياة ذميمة ... وللبخل خير من عناء مطول

وشبب ابن ميادة بزينب احدى نساء حُمَيس بن عامر من قضاعة ومن قوله فيها

(١) الحائل المتغير اللون وهى حائلة (٢) الزوائل جمع زائلة وهى كل شيء يتحرك
(٣) الشراع الوتر مادام مشدوداً على القوس جمعه شرع ونصل السهم فهو ناصل خرج من النصل (٤) يعنى بدر بن عمرو من عدى بن فزارة ومزنا ومرة ابنى فزارة

نظرنا فهاجتنا على الشوق والهوى ⁂ لزينب نار أوقدت بجُبار [1]
كأن سناها لاح لى من خصاصة [2] ⁂ على غير قصد والمطى سوار
حُمَيْسيه بالرملتين محلها ⁂ تَمُتّ بحِلف بيننا وجوار
تجاور من سهم بن مرة نسوة ⁂ بمجتمع النصفين غير عوار
نواعم أبكاراً كأن عيونها ⁂ عيون ظباء أو عيون صُوار [3]
كأنا نراها وهى منا قريبة ⁂ على متن عصاء اليدين نوار
تتبع من حجر ذُرا متمنع ⁂ لها معقل فى رأس كل طمار [4]
يدور بها ذو أسهم لا ينالها ⁂ وذو كلبات كالقسِىّ ضوار
كأن على المتنين منها وَدِيّة [5] ⁂ سقتها السواقى من وَدِىّ دوار
يظلّ سحيق المسك يقطر حولها ⁂ اذا الماشطات احتفنه بمدارى [6]
وما روضة خضراء يضربها الندى ⁂ بها قُنّة [7] من حَنْوة وعرار
بأطيب من ريح القرنفُل ساطعاً ⁂ بما التف من دِرْع لها وخمار
وما ظبية ساقت لها الريح نَغْمة ⁂ على غفلة فاستسمعت لحوار
بأحسن منها يوم قامت فأتلعت [8] ⁂ على شَرَك من روعة ونفار
فليتك يا حسناء يابنة مالك ⁂ يبيع لنا منك المودة شار

رأى ابن ميادة امرأة من بنى جشم بن معاوية ثم من بنى حرام يقال لها أم الوليد وكانوا ساروا عليه فأعجب بها وقال فيها

ألا حبذا أم الوليد ومَرْبع ⁂ لنا ولها نشتو به ونصيف

---

(١) ماء لبنى حميس بن عامر (٢) الخصاص كل خلل وخرق فى باب ومنخل وبرقع ونحوه وفى السحاب الواحدة خصاصة (٣) الصوار بالضم ويكسر القطيع من البقر
(٤) الطمار المكان المرتفع (٥) الودية صغار الفسيل الواحدة ودية سمى به لانه يخرج من النخل ثم يقطع منه فيغرس (٦) المدرى المشط جمعه مدار (٧) القنة الجبل الصغير والعرار بهار ناعم أصفر طيب الريح (٨) أتلع عنقه مده متطاولا

حرامية أما ملاث ازارها فوعث وأما خصرها فلطيف
كأن القرون السود فوق مقذّها[١] اذا زل عنها برقع ونَصيف
بها زرَجُونات[٢] بقفر تنسمت لهـا الريح حتى بينهن زَفيف

فلما سمع زوجها هذه الأبيات أتاها فحلف بطلاقها لئن وجد ابن ميادة عندها ليدُقَّنَّ فخذها . ثم أعرض عنها واعتزلها حتى وجده يوماً عندها فدق فخذها واحتمل فرحل ورحل بها معه فقال ابن ميادة

أتانا عام سار بنو كلاب حراميون ليس لهم حزام
كأن بيوتهم شجر صغار بقِيعان تقيل بهـا النعام
حراميون لا يقرون ضيفاً ولا يدرون ماخلق الكرام

ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب فأعجب بامرأة منهم يقال لها أم البَختَرِى وكان يتحدث اليها مدة مقامهم ثم ارتحلوا فقال فيها

أرِقت لبرق لا يُفتِّر لامعه بشهب الرُّبا والليل قد نام هاجعه
أرِقت له من بعد مانام صحبتى وأعجبنى ايماضه وتتابعـه
يضىء صَبيراً[٢] من سحاب كأنه هِجان أرَنَّت للحنين نوازعه
هنيئاً لأم البخترى الرَّوى[٣] به وان أنهج الحبل الذى النأى قاطعه
لقد جعل المستبضع الغش بيننا ليصرِم حبلينا تجوز بضائعه
فما سَرْحة تجرى الجداول تحتها بمطرد القِيعان عذب ينابعه
بأحسن منها يوم قالت بذى الغضَى أترعى جديد الحبل أم أنت قطعه

خطب ابن ميادة امرأة من بنى سلمى بن مالك بن جعفر فأبوا أن يزوجوه وقالوا أنت هجين ونحن أشرف منك فقال

---

(١) المقذ ما بين الاذنين من خلف (٢) الزرجون شجر العنب وزف النبات اهتز واضطربت أغصانه (٣) الصبير السحابة البيضاء أو السحاب الابيض الذى يصبر بعضه فوق بعض درجا وأرن صوت (٤) الروى الماء الكثير المروى

فلو طاوعتني آل سلمى بن مالك لأعطيت مهراً من مسرة عاليا
وسِرْب كسرب العِين من آل جعفر يغادين بالكحل العيون السواجيا
إذا ما هبطن النيل أو كن دونه بسَرْو الحمَى لقين أثم المراسيا

ومن نسيبه

يا خليليَّ هجِّرا كى تروحا هيجِا للرواح قلباً قريحا
أن تَرِيغا لتعلما سر سُعْدَى تجداني بسر سعدى شحيحا
ان سعدى لمنية المتمني جمعت عفة ووجهاً صبيحا
كلمتني وذاك ما نلت منها ان سعدى ترى الكلام ربيحا

تهاجى ابن ميادة وحكم بن معمر الخُضْرِيّ ، وأول ما بدأ الهجاء بينهما أن ابن ميادة مرَّ بالحكم وهو ينشد فى مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من الناس قوله

لمن الديار كأنها لم تعمر بين الكناس وبين برق مُحَجَّر

حتى انتهى الى قوله

يا صاحبي ألم تشيما بارقاً نُصِح الصُّراد به فهضب المنحر
قد بت أرْقبُه وبات مصعِّدا نهض المقيد فى الدَّهاس(١) الموقر

فقال ابن ميادة ارفع إليَّ رأسك أيها المنشد ، فرفع حكم اليه رأسه ، فقال له من أنت ؟ قال أنا حكم بن معمر الخضرى ، قال فوالله ما أنت فى بيت حسب ولا في أرومة شعر ، فقال له حكم وماذا عبت من شعري ؟ قال عبت أنك أدهست وأوقرت ، قال له حكم ومن أنت ؟ قال أنا ابن ميادة ، قال ويحك فلم رغبت عن أبيك وانتسبت الى أمك ؟ قبح الله والدين خيرهما ميادة ، أما والله لو وجدت فى أبيك خيراً ما انتسبت الى أمك راعية الضأن ، وأما ادهاسى وايقارى فانى لم آت

(١) الدهاس ما لا ينبت شجراً وتغيب فيه القوائم والموقر وصف للمقيد

خير الا ممتاراً لا متحاملا وما عدوت ان حكيت حالك وحال قومك فلو سكت عن هذا كان خيراً لك وأبقى عليك ، فلم يفترقا الا عن هجاء

تواعد ابن ميادة وحكم المدينة ليتواقفا بها ، فتواقفا بها ، وجاء نفر من قريش أمهاتهم من مرة الى ابن ميادة فمنعوه من مواقفة حكم وقالوا أتتعرض له رلست بكفئه فيشتم أمهاتنا وأخوالنا وخالاتنا وهو رجل خبيث اللسان ؟ وكان حكم يسجع سجعاً كثيراً ، فقال والله لئن واقفته لأسجعن به قبل المقارضة سجعاً أفضحه به فلم يلقه ، ورجز به ابن ميادة فقال

يا معدن اللؤم وأنت جبله   وآخر اللؤم وأنت أوله
جاريت سباقاً بعيداً مهله   كان اذا جارى أباك يفشله
فكيف ترجوه وأنت تأمله   فأنت شر رجل وأنذله
ألأمه فى مأزق وأجهله   أدخله بيت المخازى مُدخله
فاللؤم سربال له يُسربَلُه   ثوباً اذا أنهجه يبدله

فأجابه حكم

يا ابن التى جيرانها كانت تضر   وتتبع الشَوْل وكانت تحتضر
كيف اذا مارست حراً تنتصر

ولها مناقضات كثيرة وأراجيز طوال طويت ذكر أكثرها وألغيته وذكرت منها لمعاً من جيد ما قالاه لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائره فيطول ، فما قاله حكم فى ابن ميادة قوله

خليليَّ عوجا حيِّيا الدار بالجَفْر   وقولا لها سقيا لعصرك من عصر
وماذا تحيى من رسوم تلاعبت   بها حَرْجَف تذرى بأذيالها الكدر

فمن جيد قوله فيها يفتخر

اذا يبست عيدان قوم وجدتنا   وعيداننا تغشى على الورق الخضر

اذا الناس ناءوا بالقروم أتيتهم بقَرْم يساوى رأســه غُرّة البدر
لنا الغوْر والأنجاد والخيل والقنا عليكم وأيام المكارم والفخر

ومن جيد هجائه فيها

فيامُرّ قد أخزاكَ فى كل موطن من اللؤم خلات يزدن على العشر
فمنهن أن العبد حامى ذماركم وبئس المحامى العبد عن حَوْزة الثغر
ومنهن أن لم تمسحوا وجه سابق جواد ولم تأتوا حصاناً على طهر
ومنهن أن الميت يدفن منكم فيفسو على دَفّانه وهو فى القبر
ومنهن أن الجار يسكن وسطكم بريئاً فيلقى بالخيانة والغدر
ومنهن أن عُذْتم بأرقط كوْدن(١) وبئس المحامى أنت ياضرِط الجفر
ومنهن أن الشيخ يوجد منسكم يَدِبّ الى الجارات محدودب الظهر
يبيت ضباب الضغن يخشى احتراشها(٢) وان هى أمست دونها ساحل البحر

فأجابه ابن ميادة بقصيدة طويلة منها قوله مجيباً له عن هذه الخصال التى سبهم بها

لقد سـبقت بالمخزيات محارب وفازت بمخلات على قومها عشر
فمنهن أن لم تعقروا ذات ذروة لحق اذا ما احتيج يوماً الى العقرْ
ومنهن أن لم تمسحوا عربية من الخيل يوماً تحت جُلّ على مهر
ومنهن أن لم تضربوا بسيوفكم جماجم الا فيشــل القرحُ الحمر
ومنهن أن كانت شيوخ محارب كما قد علمتم لاتَريش ولا تبْرِى
ومنهن أخرى سوءة لو ذكرتها لـكنتم عبيداً تخدُمون بنى وَبْر
ومنهن أن الضأن كانت نساءكم اذا الخضر أطراف الثُمام من القطر

---

(١) الـكودن الهجين (٢) احترش الضب صاده

ومنهن أن كانت عجوز محارب   تريع الصبى تحت الصفيح من القبر
ومنهن أن لو كان فى البحر بعضكم   لخبث ضاحى جلده حومة البحر

ومن جيد قول ابن ميادة فى حكم قصيدته التى أولها

لقد سبقتك اليوم عيناك سبقة   وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه
فوالله ما أدري أيغلبني الهوى   اذا جد جد البين أم أنا غالبه
فان أستطع أغلب وان يغلب الهوى   فمثل الذى لاقيت يغلب صاحبه

يقول فيها فى هجاء حكم

لقد طال حبس الوفد وفد محارب   عن المجد لم يأذن له بعد حاجبه
وقال لهم كُرُّوا فلست بآذن   لكم أبداً أو يحصى الترب حاسبه

اجتمع ابن ميادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد ، وكان عقال شديد الرأى فى اليمن ، فغمز عقال ابن ميادة واعتلاه ، فقال ابن ميادة

فجرنا ينابيع الكلام وبحره   فأصبح فيه ذو الرواية يسبح
وما الشعر الا شعر قيس وخندف   وقول سواهم كُلفة وتملح

فقال عقال يجيبه

ألا أبلغ الرماح نقض مقالة   بها خطِل الرماح أو كان يمزح
لئن كان في قيس وخندِف ألسن   طوال وشعر سائر ليس يقدح
لقد خرق الحى اليمانون قبلهم   بحور الكلام تستقى وهى تطفح
وهم علموا من بعدهم فتعلموا   وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا
فللسابقين الفضل لا يجحدونه   وليس لمخلوق عليهم تبجح

ومن جيد شعره قوله يمتدح الوليد بن يزيد

هل تعرف الدار بالعلياء غيرها   سافى الرياح ومستنّ له طنب

دار لبيضاء مسودّ مسائحها (١) كأنها ظبية ترعى وتنتصب
تحنو لأكحَلَ ألقته بمَضيعة فقلبها شفقاً من حوله يجِب

يقول فيها

يا أطيب الناس ريقاً بعد هجعتها وأملح الناس عيناً حين تنتقب
ليست نجود بنَيْل حين أسألها ولست عند خلاء اللهو أغتصب
في مِرْفقيها اذا ماعونقت جَمَم (٢) على الضجيع وفى أنيابها شَنَب
وليلة ذات أهوال كواكبها مثل القناديل فيها الزيت والعُطُب (٣)
قدجُبْتها جوب ذي المقراض ممطرةً اذا استوى مُغْفلات البيد والحدب
بعَنْتَريس (٤) كأن الدَّبْر يلسعها اذا ترنم حاد خلفها طرب
الي الوليد ابي العباس ماعجلت ودونه المُعْط (٥) من لُبنان والكُثُب
أعطيتني مائة صفرا مدامعها كالنخل زين أعلى نبته الشرب
يسوقها يافع جعْد مفارقه مثل الغراب غذاه الصَرّ والحَلَب
وذا سبيب صهَيْبيا له عرف وهامة ذات فرق نابُها صَخِب
لما أتيتك من نجد وساكنه نفحتَ لى نفحة طارت بها العرب
انى امرؤ أعتفى الحاجات أطلبها كما اعتفى سَنِق (٦) يُلقَى له العُشُب
ولا أُلح على الخلان أسألهم كما يُلح بعظم الغارب القَتَب
ولا أخادع ندمانى لأخدعه عن ماله حين يسترخي به اللَّبَب
وأنت وابناك لم يوجد لكم مثل ثلاثة كلهم بالتاج معتصب
الطيبون اذا طابت نفوسهم شُوسُ الحواجب والأبصار ان غضبوا

(١) المسائح ما بين الاذن الى الحاجب من الشعر وتنتصب تقف اذا ارتاعت منتصبة تتوحش
(٢) الجمم كثرة اللحم (٣) العطب القطن (٤) العنتريس الناقه الغليظه الصلبة الوثيقه الشديدة الكثيرة اللحم (٥) المعط جمع المعطاء وهى أرض لا نبات بها (٦) السنق للحيوان كالتخم للانسان

قسني الى شعراء الناس كلهمُ　　وادع الرواة اذا ماغب ما احتلبوا
انى وان قال أقوام مديحهمُ　　فأحسنوه وما خابوا وما كذبوا
أجرى أمامهم جرى امرىء فلِج　　عنانه حين يجرى ليس يضطرب

وكان مع الوليد بأبان وهو موضع كان الوليد ينزله فى الربيع فقال

لعمرك إنى نازل بأبان　　لصوءٍ مشتاق وان كنت مكرما
أبيت كأنى أرمد العين ساهر　　اذا بات أصحابى من الليل نوَّما

فقال له الوليد كأنك غرِضت (١) من قربنا فقال مامثلك يا أمير المؤمنين يُغرَض من قربه ولكن

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة　　بحَرَّةِ ليلى حيث ربَّتنى (٢) أهلى
وهل أسمعن الدهر أصوات هَجْمة　　تطالع من هَجْلٍ (٣) خصيب الي هجل
بلاد بها نيطت علىّ تمائمى　　وقطعن عنى حين أدركني عقلى
فان كنت عن تلك المواطن حابسى　　فأيسر على الرزق واجمع اذاً شملى

فأعطاه الهجمة وهي مائة ناقة وأجازه جوائز سنية ولما مات الوليد قال يرثيه

ألا يالهفتيّ على وليد　　غداة أصابه القدَرُ المتاح
ألا يبكى الوليد فتى قريش　　وأسمحها اذا عد السماح
وأجبرها لذى عظم مَهيض　　اذا درّت بدرّتها اللِّقاح
لقد فعلت بنو مروان فعلا　　وأمراً ما يسوغ به القراح

ومدح ابن ميادة أبا جعفر المنصور بقصيدة من جيد شعره أولها

وكواعب قد قلن يوم تواعدوا　　قول المجدّ وهن كالمُزّاح
يا ليتنا فى غير أمر بأثر　　طلعت علينا العيس بالرُّماح

(١) غرض ضجر ومل　(٢) ربته رباه　(٣) الهجل المطمئن من الارض

بينا كذاك رأيتني متعصباً بالخز فوق جلالة سِرْداح [1]
فيهن صفراء المعاصم طفلة بيضاء مثل غريضة التفاح
فنظرن من خلل الحجال بأعين مرضى مخالطها السَّقام صحاح
وارتشن حين أردن أن يرمينني نَبلا بلا ريش ولا بِقداح

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم

فلئن بقيت لألحقن بأبحر ينمين لا قطع ولا أزاح [2]
ولآتين بني علي انهم من يأتيهمُ يتلق بالأفلاح
قوم اذا جلب الثناء اليهم بيع الثناء هناك بالأرباح
ولأجلسن الى الخليفة انه رَحْب الفِناء بواسع بَحْباح

وهي قصيدة طويلة

وقال يصف الغيث

سحائب لا من صَيِّب ذى صواعق ولا محرقات ماؤهن حميم
اذا ماهبطن الأرض قدمات عودها بكين بها حتى يعيش هَشيم

ومما مدح به عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أمير المدينة

من كان أخطأه الربيع فانما نصر الحجاز بغيث عبد الواحد
ان المدينة أصبحت معمورة بمتوج حُلْو الشمائل ماجد
ولقد بلغت بغير أمر تكلف أعلى الحظوظ برغم أنف الحاسد
وملكت مابين العراق ويثرب ملكا أجار لمسلم ومعاهد
ماليهما ودميهما من بعد ما غشي الضعيفَ شعاع سيف المارد

ومدح جعفر بن سليمان بن علي، وكان على المدينة

لعمرك ماسيوف بني علي بنابية الظُّبات ولا كِلال

(١) السرداح الناقة الكريمة (٢) النزح بالفتح البئر نزح أكثر مائها وجمعه أنزاح

هم القوم الأولى ورثوا أباهم … تراث محمد غير انتحال
وهم تركوا المقال لهم رفيعاً … وما تركوا عليهم من مقال
حذوتم قومكم ما قد حذوتم … كما يُحذى المثال على المثال
فردوا في جراحكم أساكم … فقد أبلغتم مر النكال

يشير عليه بالعفو عن بني أمية ويذكره بأرحامهم

وله من قصيدة يهجو بها بني أسد وبني تميم

بني أسد أن تغضبوا ثم تغضبوا … وتعدل قريش تحم قيسا غضابها
وأحقر محقور تميم أخوكم … وان غضبت يربوعها و ربابها
ألا ما أبالي أن تخندف خندف … ولست أبالي أن يطن ذبابها
ولو أن قيساً قيس عيلان أقسمت … على الشمس لم يطلع عليكم حجابها
ولو حاربتنا الجن لم نرفع القنا … عن الجن حتى لا تهر كلابها
لنا الملك الا أن شيئاً تعده … قريش ولو شئنا لذلت رقابها
وان غضبت من ذا قريش فقل لها … معاذ الاله أن أكون أهابها
وانى لقوال الجواب وانني … لمفتخر أشياء يعيا جوابها
اذا غضبت قيس عليك تقاصرت … يداك وفات الرجل منك ركابها

ومن قوله

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن … لآباء سوء يلقهم حيث سيرا
فما العود الا نابت في أرومة … أبى شجر العيدان أن يتغيرا

ضاف ابن ميادة أيوب بن سلمة فلم يقره وابن ميادة من أخوال أيوب فقال فيه

ظللنا وقوفاً عند باب ابن أختنا … وظل عن المعروف والمجد في شغل
صفا صلد عند الندى ونعامة … اذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل

مات ابن ميادة في صدر خلافة المنصور

عبد الله بن الحجاج

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن الثَّعْلبي من ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، ويكنى أبا الأقرع

شاعر فاتك من معدودي فرسان مُضَر ذوي البأس والنجدة فيهم ، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك عمراً خرج مع نَجْدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزُّبير فكان معه الى أن قتل ، ثم جاء الى عبد الملك متنكراً واحتال عليه حتى أمنه ، دخل عليه وهو يطعم الناس فدخل حُجْرَة ، فقال مالك ياهذا لا تأكل ؟ قال لا أستحل ان آكل حتى تأذن لي ، قال إني قد أذنت للناس جميعاً ، قال لم أعلم أفآكل بأمرك ؟ قال كل ، فأكل وعبد الملك ينظر اليه ويعْجَبُ من مقاله ، فلما أكل الناس جلس عبد الملك فى مجلسه وجلس خواصه بين يديه وتفرق الناس ، فجاء الحجاج فوقف بين يديه ، ثم استأذنه فى الانشاد فأذن له ، فأنشده

أبلغ أمير المؤمنين فانني ... مما لقيت من الحوادث مُوجَع
منع القرار فجئت نحوك هارباً ... جيش يُجَرّ ومِقْنَبٌ (١) يتلمع

فقال عبد الملك وما خوفك لا أُم لك لولا انك مُرِيب ؟ فقال عبد الله

ان البلاد علي وهى عريضة ... وَعِرَت مذاهبها وسُدَّ المطلع

فقال عبد الملك ذلك بما كسبت يداك وما الله بظلام للعبيد ، فقال عبد الله

كنا تنحلنا البصائر مرة ... واليك اذ عَمِيَ البصائر ترجع
ان الذى يعصيك منا بعدها ... من دينه وحياته متودع

(١) المقنب جماعة من الخيل تجتمع للغارة ويتلمع يضيء

آتى رضاك ولا أعود لمثلها وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع

أعطى نصيحتك الخليفة ناجماً وخزامة الأنف المقود فأتبع

فقال عبد الملك هذا لا نقبله منك الا بعد المعرفة بك وبذنبك فاذا عرفت الحَوْبة قبلنا التوبة ، فقال عبد الله

ولقد وطئت بني سعيد وطأة وابن الزبير فعرشه متضعضع

فقال عبد الملك لله الحمد والمنة على ذلك ، فقال عبد الله

ما زلت تضرب مَنْكِباً عن منكب تعلو ويَسفُل غيركم ما يرفع

ووطئتهم فى الحرب حتى أصبحوا حَدَثاً يؤس وغابر يتجعجع (١)

نحوى خلافتهم ولم يظلم بها القَرْم قَرْم بنى قُصَى الأنزع

لا يستوى خاوى(٢) نجوم آفل والبدر منبلجاً اذا ما يطلع

وُصِفت أُمَيَّة واسطين لقومهم وَوُصِفت وَسطهم فنعم الموضع

بيت أبو العاصى بناه برَبوة عالي المشارف عزه ما يدفع

فقال عبد الملك ان توريتك عن نفسك لتَرِيبنى ، فأى الفَسَقة أنت ؟ وماذا تريد ؟ فقال

حَرَبَت(٣) أُصيبتى يد أرسلتها واليك بعد مَعادها ما ترجع

وأرى الذى يرجو تُراث محمد أَفَلَتْ نجومهم ونجمك يسطع

فقال عبد الملك ذلك جزاء أعداء الله ، فقال عبد الله

فانعش أُصيبتى الأولاء كأنهم حَجَل(٤) تدرج بالشربَّة جُوَّع

---

(١) تجعجع الرجل ضرب بنفسه الارض من وجع أصابه (٢) خوت النجوم أمحلت فلم تمطر (٣) حربه أخذ ماله وتركه بلا شيء (٤) الحجل صغار أولاد الابل وحشوها، والشربة موضع بنجد

فقال عبد الملك لا أنعشهم الله وأجاع أكبادهم ولا أبقى وليداً من نسلهم فانهم نسل كافر فاجر لا يبالي ما صنع ، فقال عبد الله

مال لهم مما يُضَنّ جمعته   يوم القَلِيب فحِيزَ عنهم أجمع

فقال عبد الملك لعلك أخذته من غير حله وأنفقته فى غير حقه وأرصدته لمشاقة أولياء الله وأعددته لمعاونة أعدائه فنزعه منك اذ استظهرت به على معصية الله ، فقال عبد الله

أدنو لترحمني وتجبر فاقتي   فأراك تدفعني فأين المدفع

فتبسم عبد الملك وقال له الى النار فمن أنت الآن ؟ قال أنا عبد الله بن الحجاج الثعلبي وقد وطئت دارك وأكلت طعامك ، فان قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه وأنت بما عليك فى هذا عارف ، ثم عاد الى إنشاده فقال

ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم   عنى فألبسني فثوبك أوسع

فنبذ عبد الملك اليه رداء كان على كتفه وقال البسه لا لَبِست ، فالتحف به ثم قال له عبد الملك أولى لك والله لقد طاولتك طمعاً فى أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك فأبى الله ذلك فلا تجاورنى فى بلد وانصرف آمناً وأقم حيث شئت

ومن قوله لما ضاقت عليه الأرض من شدة الطلب

رأيت بلاد الله وهى عريضة   على الخائض المطرود كفة حابل

تؤدى اليه أن كل ثَنِيَّة   تيممها ترمى اليه بقاتل

ولي كثير بن شهاب الحارثى على ثغر الرَّيّ ولاه إياه المغيرة بن شُعْبَة ، وكان ابن الحجاج معه ، فأغار الناس على الدَّيلم ، فأصاب ابن الحجاج رجلاً منهم فأخذ سلبه فانتزعه منه كثير وأمر بضربه فضرب مائة سوط وحبس ، فقال فى ذلك وهو محبوس

تسائل سلمى عن أبيها صِحابه   وقد علِقته من كثير حبائل

فلا تسألي عني الرفاق فانه ... بأبهر [1] لا غاز ولا هو قافل
ألست ضربت الديلمي أمامهم ... فجدلته فيه سنان وعامل

فمكث فى الحبس مدة ثم خلي سبيله فقال

سأترك ثغر الرىّ ما كنتَ والياً ... عليه لأمر غالني وشجانى
فان أنا لم أدرك بثأري واتئد ... فلا تَدْعُني للصَّيد من غَطَفان
تمنيتني يا ابن الحصين سفاهة ... ومالك بى يا ابن الحصين يدان
فانى زعيم أن أُجلل عاجلا ... بسيفى كِفاحاً هامة ابن كنان

فلما عزل كثير وقدم الكوفة كمن له ابن الحجاج فضربه بعمود على وجهه فهتم مقاديم أسنانه كلها وقال

من مبلغٌ قيساً وخِنْدِف أننى ... ضربت كثيراً مضرب الظَّرِبان
فأقسم لا ينفك ضربة وجهه ... بذل ويُخزى الدهر كل يمان
فان تلقنى تلق امرأً قد لقيته ... سريعاً الى الهيجاء غير جبان
وتلق امرأً لم تلق أمك بره ... على سابح غَوْجٍ [2] اللَّبان حَصان
وحولي من قيس وخِنْدِف عصبة ... كرام على البأساء والحدثان
وان تك للشيخ الذى غصَّ بالحصى ... فانى لقرْم يا كثير هِجان
أنا ابن بني قيس عليَّ تعطفت ... بغَيض بن رَيْث بعد آل دجان

وقال فى ذلك أيضاً

من مبلغٌ قيساً وَخِنْدِفَ أنني ... أدركت مظلمتى مِنِ ابن شهاب
أدركته أجرى على محبوكة [3] ... مَرِح الجِراء طويلة الأقراب

(١) أبهر مدينة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحى الجبل
(٢) غوج اللبان واسع جلد الصدر ولا يكون كذلك الا وهو سهل المعطف
(٣) المحبوكة الشديدة الخلق من الفرس وغيره والاقراب جمع قرب وهو الخاصرة

جرداء سُرْحوب(١) كأن هُبوبها   تعلو بجؤجؤها هُوِىّ عُقاب
خضت الظلام وقد بدت لي عورة   منه فأضربه على الأنياب
فتركته يكبو لفيه وأنفه   ذهل الجنان مُضَرَّج الأثواب
هلا خشيت وأنت عادٍ ظالم   بقصور أبْهَر ثُؤْرَتي(٢) وعقابى
اذ تستحل وكان ذاك محرماً   جلدى وتنزع ظالماً أثوابى
باءت عَرارِ(٣) بكَحْلَ فيما بيننا   والحق يعرفه أولو الألباب

فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة الى معاوية ان سيدنا ضربه خسيس من غَطَفان فان رأيت أن تُقيدنا من أسماء بن خارجة ، فلما قرأ معاوية الكتاب قال ما رأيت كاليوم كتاب قوم أحمق من هؤلاء وحبس عبد الله بن الحجاج وكتب اليهم ان القود ممن لم يَجْنِ محظور والجانى محبوس فليقتص منه المجني عليه ، فقال كثير بن شهاب لا أستقيدها الا من سيد مضر ، فبلغ قوله معاوية فغضب وقال أنا سيد مضر فليستقدها مني وأمن عبد الله بن الحجاج وأطلقه وبطل ما فعله بابن شهاب فلم يقتص ولا أخذ له عقلا

مات جُنْدَب بن عبد الله فدفنه بظهر الكوفة فمرّ أخوه عُوَين بحراث الى جانب قبر جندب فنهاه أن يقربه وحذره ذلك ، فلما كان من الغد وجده قد حرث جانبه وقد نبشه وأخربه ، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدّانه وقال

أقول لحراث حريى جَنّبا   فديتكما لا تحرثا قبر جُنْدَب
فانكما ان تحرثاه تُشَرَّدا   ويذهبَ كل منكما كل مذهب

فأخذ عوين فاعتقله السجان فضربه حتى شغله بنفسه ثم هرب ، فوفد أبوه

(١) فرس سرحوب طويلة توصف به الاناث دون الذكور والجؤجؤ الصدر
(٢) الثؤرة الذحل وهو طلب المكافأة بجناية جنيت عليك
(٣) عرار وكحل بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً فضرب بهما المثل

الى عبد الملك ، فاستوهبه جرمه ، فوهبه وأمر ألَّا يتعقَّب ، ولما مثَلَ بين يدي عبد الملك أنشده

يا ابن أبي العاصى ويا خير فتى   أنت النجيب والخِيار المصطفى
أنت الذى لم تدَع الأمر سُدَى   حين كشفت الظلمات بالهدى
ما زلت ان نازٍ على الأمر انتزى   قضيته ان القضاء قد مضى
كما أذقت ابن سعيد اذ عصى   وابن الزُّبير اذ تسَمَّى وطغى
وأنت ان عُدَّ قديم وبنى   من عبد شمس فى الشَّماريخ العلى
حِيزتْ قريش عنكم حَوْبَ الرحا   هل أنت عافٍ عن طريد قد غوَى
أهوى على مَهْوَاة بئر فهوى   رمى به جُول الى جُول الرَّجا(١)
فتجبر اليوم به شيخاً ذَوَى   يَعْوِى مع الذئب اذا الذئب عوى
وان أراد النوم لم يقض الكرى   من هول ما لاقى وأهوال الردى
يشكر ذاك ما نفت عين قذَى   نفسي وآبائي لك اليوم فدى

فأمر عبد الملك بتحمل ما يلزم ابنه من غرم وعقل وأمنه

وفد ابن الحجاج الى عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجزل صلته وأمره بأن يقيم عنده ، ففعل ، فلما طال مقامه اشتاق الى الكوفة والى أهله ، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له ، فخرج من عنده عاصياً ، فكتب عبد العزيز الى أخيه بشر أن يمنعه عطاءه ، فمنعه ورجع عبد الله لما أضر به ذلك الى عبد العزيز وقال

تركت ابن ليلى ضِلَّةً وحريمه   وعند ابن ليلى مَعْقِل ومُعَوَّل
ألم يهدني أن المراغم واسع   وأن الديار بالمقيم تنقل
سأحكم أمري أو بدا لي رشده   وأختار أهل الخير ان كنت أعقل
وأترك أوطاري وألحق بامرىء   تحلب كفاه النَّدى حين يسأل

(١) الرجا ناحية البئر والجول جدار البئر

أبت لك يا عبد العزيز مآثر ... وجرى شأى جرىَ الجياد وأول
أبى لك اذ أكدَوْا وقل عطاؤهم ... مواهبُ فياض ومجد مؤَثَّل
أبوك الذى يَنْميك مَرْوَان للعلى ... وسعد القناة الخال لا من يخول

فقال له عبد العزيز أما اذا عرفت موضع خطئك واعترفت به فقد صفحت عنك، وأمر باطلاق عطائه ووصله، وقال له أقم ما شئت عندنا وانصرف ما أذونًا لك اذا شئت

ومن شعر ابن الحجاج

نأتك ولم تخش الفراق جَنُوب ... وشطَّتْ نوى بالظاعنين شَعُوب
طربت الى الحى الذين تحملوا ... ببُرْقة أحواذ (١) وأنت طروب
فظَلْتَ كأنى ساورتني مُدامة ... لها فى عظام الشاربين دبيب
تمر وتستحلى على ذاك شربها ... لوجه أخيها فى الإناء قُطُوب
كُمَيت اذا صبت وفى الكأس وردة ... لها فى عظام الشاربين دبيب
تذكرت ذكرى من جَنُوب مصيبة ... ومالك من ذكرى جنوبَ نصيب
وأنَّى ترجى الوصل منها وقد نأت ... وتبخل بالموجود وهى قريب
فمافوق وجدي اذ نأت وجدواحد ... من الناس لو كانت بذاك تثيب
بَرَهْرَهة (٢) خَوْد كأن ثيابها ... على الشمس تبدو تارة وتغيب

كتب الحجاج الى عبد الملك بن مَرْوَان يعرفه آثار عبد الله بن الحجاج وبلاءه من محاربته وأنه بلغه أنه أمنه ويحرضه ويسأله أن يوفده اليه ليتولى قتله، وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك ثم أنشده

أعوذ بثوبيك اللذين ارتداهما ... كريم الثنا من جيبه المسك ينضح
فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى ... وان كنت مذبوحا فكن أنت تذبح

(١) الاحواذ جمع حاذ وهو شجر تألفه بقر الوحش (٢) امرأة برهرهة بيضاء

فقال عبد الملك ماصنعت شيئاً ، فقال عبدالله

لأنت وخير الظافرين كرامهم ... عن المذنب الخاشى العقاب صفوح
ولو زلقت من قبل عفوك نعله ... ترامى به دَحْض (١) المقام بريح
نمى بك ان خانت رجالا عقولهم ... أروم (٢) ودين لم يخنك صحيح
وعُرف سرى لم يسر فى الناس مثله ... وشأو على شأو الرجال منوح
تداركني عفو ابن مروان بعد ما ... جرى لى من بعد الحياة سنيح
رفعت مريحاً ناظريّ ولم أكد ... من الهم والكرب الشديد أريح

فكتب عبد الملك الى الحجاج ، انى قد عرفت من خبث عبدالله وفسقه مالا يزيدنى علماً به الا أنه اغتفلنى متنكراً فدخل دارى وتحرم بطعامى واستكسانى فكسوته ثوباً من ثيابى وأعاذنى فأعذته وفى دون هذا ما حظر على دمه ، وعبدالله أقل وأذل من أن يوقع أمراً أو ينكث عهد فى قتله خوفاً من شره ، فان شكر النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيل عليه وان كفر ما أوتى وشاق الله ورسوله وأولياءه فالله قاتله بسيف البغي الذي قتل به نظراؤه ومن هو أشد بأساً وشكيمة منه من الملحدين فلا تعرض له ولا لأحد من أهله بسيئة والسلام

ابن دارة

هو عبد الرحمن بن مسافع بن شريح بن يربوع الملقب بدارة من عبدالله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان شاعر اسلامى .

لما أخذ السَّمْهَرِى العُكْلى وحبس وقتل وكانت بنو أسد أخذته و بعثت به الى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن فقتل بعد طول حبس فقال عبد الرحمن يهجو بني أسد ويحرض عليهم عُكْلا

(١) الدحض الزلق والبريح التعب (٢) الاروم جمع الارومة بالفتح أصل الشجرة ويستعار للحب

أن يُمْسِ بالعينين سقْمٌ فقد أتى   لعينيك من طول البكاء على جُمْل
تهيم بها لا الدهر فانٍ ولا المنى   سواها ولا تَسْلَى بنأى ولا شغل
كبيضة أُدْحى بِمَيْث[1] خميلة   يُحَفِّفُها جَوْنٌ بجُؤْجُئِه الصَّعْل
وما الشمس تبدو يوم غيم فأشرقت   على الشامة العنقاء فالنِّير فالذبل
بدا حاجب منها وضَنَّت بحاجب   بأحسن منها يوم زالت على الحمل
يقولون أزْل[2] حب جمل وقربها   وقد كذبوا مافى المودة من أزْل
اذا شَحَطت عنى وجدت حرارة   على كبدى كادت بها كمداً تَغْلى
ولم أر محزونين أجملَ لوعة   على نائبات الدهر مني ومن جمل
كلانا يذود النفس وهى حزينة   ويُضْمر وجداً كالنوافذ بالنَّبْل
وانى لَمبْلِي اليأس من حب غيرها   فأما على جمل فانى لا أُبْلى
وان شفاء النفس لو تسعف المنى   ذوات الثنايا الغُر والحدق النُّجْل
أولئك ان يمنعن فالمنع شيمة   لهن وان يُعطين يُحمدن بالبذل
سامسك بالوصل الذى كان بيننا   وهل ترك الواشون والنأى من وصل
ألا فاسقيانى قهوة فارسية   من الأول المختوم ليس من الفضل
تُنَسِّى ذوى الاحلام واللب حلمهم   اذا ان بدت فى دنها زبد الفحل
ويارا كباً إما عرضت فبلغن   على نأيهم مني القبائل من عُكْل
بأن الذي أمست تُجمجم فقعس   إسار بلا أسر وقتل بلا قتل
وكيف تنام الليل عُكْل ولم تنل   رضى قَوَد بالسمهرى ولا عقْل
فلا صلح حتى تنحط الخيل فى القنا   وتوقد نار الحرب بالحطب الجزْل
وجُرْد تعادَى بالكماة كأنها   تلاحظ من غيظ بأعينها القُبْل[3]

(١) الميثاء الرملة السهلة جمعه ميث والخميلة الشجر الكثير الملتف ويحففها يحدق بها والجون الابيض والاسود والصعل النعامة الدقيقة الرأس (٢) الازل الضيق
(٣) رجل أقبل كأنه ينظر الى طرف أنفه وهى قبلاء والجمع قبل

عليها رجال جالدوا يوم منعج ذوى التاج ضرابو الملوك على الوَهَل
بضرب يزيل الهام عن مستقره وطعن كأفواه المفرّجة الهُدْل (١)
علامَ تمشى فَقْعَس بدمائكم وما هى بالفرع المنيف ولا الأصل
وكنا حسبنا فَقْعَسا قبل هذه أذل على وقع الهوان من النعل
فقد نظرت نحو السماء وسلمت على الناس واعتاضت بخِصْب من المَحْل
رمى الله فى أكبادهم ان نجت بها شِعاب القَنان من ضعيف ومن وَغْل
وان أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ فكونوا نساء للخَلوق وللكحل
وبيعوا الرُّدَيْنيات بالحَلْي واقعدوا على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل
ألا حبذا من عنده القلب فى كَبْل ومن حبه داء وخَبْل من الخبل
ومن هو لا ينسى ومن كلُّ قوله لدينا كطعم الراح أو كجَنَى النحل
ومن ان نأى لم يُحدث النأى بغضه ومن ان دنا فى الدار أرصد بالبذل

فلما بلغ مالكا أخا السمهرى بخراسان انحطّ من خراسان حتى قدم بلاد عُكْل فاستجاش نفراً من قومه فعاقوا فى أرض بنى أسد يطلبون الغِرّة فوجدوا بيادق (٢) رجلا من فقعس يعرف بابن سعدة وامرأة هى أمه فقتلوه وحزوا رأسه وذهبوا بالرأس وتركوا جسده وقتلوها أيضاً فقال عبد الرحمن فى ذلك

ما لقتيل فَقْعَس لا رأس له هلا سألت فَقْعَسا من جدّله
لا يتبعن فَقْعَسىّ جمله فردا اذا ما الفقعسى أعمله
لا يلقيَنّ قاتلا فيقتلَه بسيفه قد سَمّه وصقله

وقال أيضاً

لما تمالى القوم فى رأد الضحى نظراً وقد لمع السراب تخالا

(١) الاهدل الجمل المسترخى المشفر والجمع هدل
(٢) واد بنجد أسفله لبنى عبس وأعلاه لبنى أسد

نظر ابن سعد نظرة و بلا بها　　كانت لصحبك والمطى خبالا
لما رأى من فوق طوْد يافع　　بعض المداة وجنة وظلالا
عيرتنى طلب الحمول وقد أرى　　طَبًا بهن مكلفاً بطالا
فانظر لنفسك يا ابن سعدة هل ترى　　ضَبُعا تجر بثادق أوصالا
أوصال سعدة والكميت وانما　　كان الكميت على الكميت عيالا

وقال

أصبحتم تَكْلَى لثاماً وأصبحت　　شياطين عُكْل قد عراهن فقعس
قضى مالك ماقد قضى ثم قلصت　　به فى سواد الليل وَجْناء عِرْمس
فأضحت بأعلى ثادق وكأنها　　مَحالة غرْب تستمر وتَمْرَس

وقد ظفرت بنو أسد بعبد الرحمن بالجزيرة بعد ما أكثر من سبهم وهجائهم وتآمروا فى قتله فقال بعضهم لاتقتلوه ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونحسن اليه فيمحو بمدحه ماسلف من هجائه ، فعزموا على ذلك ثم ان رجلا منهم قد عضه بهجائه اغتفله فضربه بسيفه فقتله وقيل فى ذلك

فلا تكثروا فيه الضجاج فانه　　محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

جبيها

هو يزيد بن عبيد بن عقيلة الأشجعى من أشجع بن ريث بن غطفان وجبيها لقب له وقد يقال جبيها ، شاعر بدوى من مَخاليف الحجاز ، نشأ وتوفى فى أيام بني أمية ، وليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ومدحهم فاشتهر ، وهو مقل وليس من معدودى الفحول ، ومما يغني فيه من شعره

ألا لا أبالي بعد ريّا أوافقت　　نوانا نوى الجيران أم لم توافق
هجان المحيّا حرة الوجه سُربلت　　من الحسن سربالا عتيق البنائق (١)

---

(١) جمع بنيقة وهى لبنة القميص أى زيقه الذى ينفتح على النحر

ومن قوله من قصيدة أولها

أمن الجميع بذى البقاع ربوع هاجت فؤادك والربوع تروع
من بعد ما نـكرت وغير آيها قطر ومسبلة الدموع خريع (١)
يا صاحبي ألا ارفعا لي آية نشفى الصداع فيذهل المرفوع
ألواح ناجية كأن تليلها (٢) صدع تطيف به الرقاة منيع

قالت له زوجته لو هاجرت بنا الى المدينة وبعت ابلك وافترضت فى العطاء كان خيراً لك ، قال أفعل ، فأقبل بها وبابله حتى اذا كان بحرة واقم من شرق المدينة شرعها بحوض وأقسم ليسقينها فحنت ناقة منها ثم نزعت وتبعتها الابل ، وطلبها ففاتته ، فقال لزوجته هذه ابل لاتعقل تحن الى أوطانها ونحن أحق بالحنين منها أنت طالق ان لم ترجعى وفعل الله بك ، وردها وقال

قالت أنيسة دع بلادك والتمس دارا بطيبة ربة الآطام
تكتب عيالك في العطاء وتفترض وكذاك يفعل حازم الأقوام
فهممت ثم ذكرت ليل لقاحنا بذوى عنيزة أو بقف بشام
اذ هن عن حسبى مذاود كلما نزل الظلام بعصبة أغتام
ان المدينة لا مدينة فالزمى حقف السناد وقبة الأرحام
يجلب لك اللبن الغريض وينتزع بالعيس من يمن اليك وشام
وتجاورى النفر الذين بنبلهم أرمي العدو اذا نهضت مرام
الباذلين اذا طلبت بلادهم والمانعى ظهرى من الغرام

استطرق جبها موسى بن زياد الأشجعى فوعده ثم مطله فقال جبها

واعدنى الكبش موسى ثم أخلفني وما لمثلى تعتل الأكاذيب
ياليت كبشك ياموسي يصادفه بين الكراع وبين الوجنة الذيب
أمسى بذى الغصن أو أمسى بذي سلم نقحمته الى أبياتك اللوب (٣)

---

(١) الذاهبة العقل شبه السحابة بها لانها لا تمالك من المطر (٢) التليل العنق (٣) العطش.

شعراء محارب

ابن أرطاة

هو عبد الرحمن بن أرطاة بن سَيْحان المحاربى من محارب بن خَصَفَة بن قيس عيلان ، وآل سيحان حلفاء حرب بن أمية وبمنزلة بعضهم عندهم خاصة وعند سائر بنى أمية عامة ، وابن أرطاة شاعر مقل اسلامى ليس من الفحول المشهورين ولكنه كان يقول فى الشراب والغزل والفخر ومدح أحلافه من بنى أمية ، وهو أحد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه ، وكان مع بنى أمية كواحد منهم الا أن اختصاصه بآل أبى سفيان وآل عثمان خاصة كان أكثر وخصوصه بالوليد بن عثمان ومؤانسته إياه أزيد من خصوصه بسائرهم لأنهما كانا يتنادمان على الشراب ، ومما قاله وقد رأى اداوة الشراب قد يبست وتقبضت

لا تبعـدنَّ إداوة مطروحة ... كانت حديثاً للشراب العاتق
ان تُصْبحى لا شىء فيك فربما ... أُترِعت من كأس تَلَذّ لذائق
بأبى الوليد وأم نفسى كلما ... بدت النجوم وذرّ (١) قرن الشارق
كم عنده من نائل وسماحة ... وشمائل ميمونة وخلائق
وكرامة للمعتفين اذا اعتفوْا ... فى ماله حقاً وقول صادق
أثْوِى فأكرَم فى الثَّواء وقضيت ... حاجاتنا من عند أروعَ باسق (٢)
لما أتيناه أتينا ماجدال ... أخلاق سبَّاقاً لقوم سابق
قال الوليد يدى لكم رهن بما ... حاولتم من صامت أو ناطق
فالى الوليد اليه حنت ناقتى ... تهْوِى بمُغْبَرّ المتون سمالق (٣)

(١) أى طلع قرن الشمس يريد بأبى الوليد وأمى فى كل ليل ونهار أبداً
(٢) طويل (٣) السملق القاع الصفصف وجمعه سمالق . وقد وضع الجمع موضع المفرد

حنت الى برق فقلت لها قرى[1] بعض الحنين فان شجوك شائق

وكان عبد الرحمن مع شعره حلو الأحاديث عنده أحاديث حسنة غريبة من أخبار العرب وأيامها وأشعارها ومن شعره فى حلفه

وانى امرؤ أنمِى الى أفضل الورى عديداً اذا ارفضت عصا المتحلف
الى نَضَدٍ من عبد شمس كأنهم هضاب أجا أركانها لم تقصف
ميامين يرضون الكفاية ان كُفُوا ويَكْفُون ماوُلُّوا بغير تـكلف
غطارفة ساسوا البلاد فأحسنوا سياستها حتى أقرت لمردف
فمن يك منهم موسراً يُغْش فضله ومن يك منهم معسراً يتعفف
وان تبسط النعمى لهم يبسطوا بها أكُفًّا سِباطا نفعها غير مقرف
وان تُزْوَ عنهم لا يَضِجُّوا وتُلْفهم قليلى التشكى عندها والتكلف
اذا انصرفوا للحق يوماً تصرفوا اذا الجاهل الحيران لم يتصرف
سَمَوْا فعلَوْا فوق البرية كلها ببنيان عال من منيف ومشرف

وفيهم يقول

سموت بحِلفى للطوال من الربا ولم تلقني كالنسر فى ملتقى جدب
اذا ماحليف الذل أقأ شخصه ودبَّ كما دب الحسير على نقْب
وهصْتُ[2] الحصا الأخنس الأنف قابعا اذا انا راخى لى خِناقى بنو حرب

قتل سعيد بن عثمان غلمان له من الصُّغْد وكان معه عبد الرحمن فهرب عنه فقال خالد بن عقبة يرثيه

يا عين جودى بدمع منك تَهْتانا وابكى سعيد بن عثمان بن عفانا
ان ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرطاة بن سيحانا

---

(١) من الوقار كأنها طاحنت ونازعت الى الوطن أو المقصد فقال يخاطبها قرى
(٢) وطئته وطأ شديداً وقبع القنفذ أدخل رأسه في جلده والرجل فى قميصه

فقال عبد الرحمن يجيبه

يقول رجال قد دعاك فلم تجب … وذلك من تلقاء مثلك رائع
فان كان نادى دعوة فسمعتها … فشلَّت يدى واستكَّ مني المسامع
والا فكانت بالذى قال باطلا … ودارت عليه الدائرات القوارع
يلومونني ان كنت فى الدار حاسراً … وقد فر عنه خالد وهو دارع

فقال بعض الشعراء يجيبه

فانك لم تسمع ولكن رأيته … بعينيك اذ مجراك فى الدار واسع
وأسلمته للصُغد تدمَى كلومه … وفارقته والصوت فى الدار شائع
وما كان فيها خالد بمعذر … سواء عليه صم أو هو سامع
فلا زلتما فى غل سوء بعبرة … ودارت عليكم بالشمات القوارع

ولما قتل سعيد قالت أمه اشتهى ان يرثيه شاعر كما فى نفسى حتى أعطيه ما يحتكم فقال ابن سيحان

ان كنت باكية فتى … فابكى هُبلت على سعيد
فارقت أهلك بغتة … وجلبت حتفك من بعيد
أَذرى دموعك والدما … ء على الشهيد بن الشهيد

فقالت هكذا كنت اشتهى أن يقال فيه ووصلت ابن سيحان وكانت تندبه بهذا الشعر

ألا ان خير الناس ان كنت سائلا … سعيد بن عثمان القتيل بلا ذَحل
تداعت عليه عصبة فارسية … فأضحى سعيد لا يُمِرّ ولا يُحلي

ومن نسيبه

رحم الله صاحبيَّ بنى الحا … رث اذ ينهيانني أن أبوحا
بالتى تيمت فؤادى وأن أذ … رى دموعى على ردائى سفوحا

في مغاني منازل من حبيب باشرت بعده قطاراً وريحا
ولقد قلت للفؤاد ولكن كان قدْماً الى هواه جموحا
قلت أقصر عن بعض حبك أروى ان بعض الحباب كان فضوحا
فعصاني فليس يسمع قولا من حمام على الاراك جنوحا
أم يحيى تقبل الله يحيى بقبول كما تقبل نوحا
أم يحيى لولا طلابك قد سحت مع الوحش أو لبست المسوحا
ولقد قلت لا أحدث سراً سر أخرى ما دمت أمشي صحيحا

وقال للوليد بن عقبة بن ابى معيط وكان ينادمه

اصبح نديمك من صهباء صافية حتى يروح كريماً ناعم البال
واشرب هديت أبا وهب مجاهرة واختلْ فانك من قوم أولي خال
أنت الجواد أبا وهب اذا جمدت ايدى الرجال بما تحويه من مال
لولا رجاؤك قد شمرت مرتحلا عنْسا تعاقب تخويداً بإرقال
لما تواصوا بقتلى قمت معتزما حتى حميتَ من الاعداء أوصالى

وقال فيه

بات الوليد يعاطيني مشعشعة حتى هويت صريعاً بين أصحابى
لا أستطيع نهوضاً ان هممت به وما أنهنه من حسْو وتشراب
حتى اذا الصبح لاحت لى جوانبه وليت أسحب نحو القوم أثوابى
كأنني من حميا كأسه ظلع صحت قوائمه من بعد أوصاب

ومن قوله فى الشراب

لا تعدميني نديماً ماجدا أنفاً لا قائلا خالطا زوراً ببهتان
أمسى أعاطيه كأساً لذ مشربها كالمسك حفت بنسرين وريحان

سبيئةً من قرى بَيْرُوت صافية　　أو التى سبئت من أرض بِيسان

انا لنشربها حتى تميـل بنا　　كما تمايل وسنانٌ بوسنان

كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مروان بن الحكم أيام كان معاوية يعاقب بينه وبين سعيد بن العاص فى ولاية الحرمين وأنكر عليه أشياء بلغته ، فغاظته من مدحته سعيداً وانقطاعه اليه وسروره بولايته ، فرصده حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران ، فضربه الحد ثمانين سوطاً ، وقدم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس ، فجعل يخبره بها حتى انتهى به الحديث الى ابن سيحان ، فأخبره أن مروان ضربه الحد ثمانين ، فغضب معاوية وقال والله لو كان حليف أبى العاصى لما ضربه لانه حليف حرب ، أليس هو الذى يقول ؟

وانى امرؤ حلف الى أفضل الورى　　عديداً اذا ارفضت عصا المتخلف

كذب والله مروان لا يضربه فى نبيذ أهل المدينة وشكهم وحمقهم ، ثم قال لكاتبه اكتب الى مروان فليبطل الحد عن ابن سيحان وليخطب بذلك على المنبر وليقل انه كان ضربه على شبهة ، ثم بان له أنه لم يشرب مسكراً وليعطه ألفى درهم ، فلما ورد الكتاب على مروان عظم ذلك عليه ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه ، فقال له عبد الملك راجعه ولا تكذب نفسك ولا تبطل حكمك ، فقال مروان أنا أعلم بمعاوية اذا عزم على شىء أو أراده لا والله لا أراجعه ، فلما كان يوم الجمعة وفرغ من الخطبة قال وابن سيحان فانا كشفنا أمره فاذا هو لم يشرب مسكراً واذ نحن قد عجلنا عليه وقد أبطلت عنه الحد ، ثم نزل فأرسل اليه بألفى درهم

قال ابن سيحان كنت آلَف من قريش أهل بيتين سوى من كنت منقطعاً اليه من بنى أمية ، بني عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وبنى مطيع ، فلما ضربني الحد جئت فجلست الى بني مطيع كما كنت أجلس ، فلما رأونى عرفت الكراهة

فى وجوههم والله ما أقبلوا عليَّ بحديثهم ولا أوسعوا لي ، فانصرفت ورحت الى بنى عبد الرحمن ، فلما رأونى أقبلوا بوجوههم عليَّ وحيَّوا ورحَّبوا وسهَّلوا ووسعوا ورفعونى الى حيث لم أكن أجلس ، وأقبلوا عليَّ بوجوههم يحدثوننى وقالوا لعلك خشعت للذى لحقك أما والله لقد علم الناس أنك مظلوم وظَلَّمُوا مروان فى فعله ورأوا أنه قد أساء وأخطأ فى شأنى ، وقالوا ما ضرك ذلك ولا نقصك ولا زادك الا خيراً ولم يزالوا حتى بسطونى ، فقلت أمدحهم وأذم بنى مطيع

لقد حرَّمت ودّ بنى مطيع ... حرام الدهن للرجل الحرام
وان جنف الزمان مددت حبلاً ... متيناً من حبال بنى هشام
رطيب عودهم أبداً وريق ... اذا ما اغبر عيدان اللئام

دخل ابن سيحان على ابن عم له يقال له الحرث بن سريع ، فوجده يشرب نبيذ زبيب ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر وقال له يا ابن سريع ان كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلال فانك أحمق ، وان كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشرب أجوده فان الوزر واحد ، ثم قال

دع ابنَ سريع شرب ما مات مرة ... وخذها سلافاً حية مُزّة الطعم
تدعك على ملك ابن ساسان قادراً ... اذا حرمت قراؤنا حلب الكرْم
فشتان بين الحى والميت فاعتزم ... على مُزّة صفراء راووقها يهمي
فان سريعاً كان أوصى بحبها ... بنيه وعمى جاوز الله عن عمى
ويارب يوم قد شهدت بنى أبى ... عليها الى أن غاب تالية النجم
حسَوْها صلاة العصر والشمس حية ... تدار عليهم بالصغير وبالضخم
فماتوا وعاشوا والمدامة بينهم ... مشعشعة كالنجم توصف بالوهم

صخر بن الجعد الخضري

هو صخر بن الجعد الخُضْرِي من الخُضْر وهم ولد مالك بن طريف بن محارب سموا الخضر لسوادهم وكان مالك شديد الأُدْمة وخرج ولده اليه فقيل لهم الخضر والعرب تسمى الأسود الأخضر

شاعر فصيح من مخضرمى الدولتين الإموية والعباسـية وكان يعرض لابن ميادة لمـا انقضى ما بينه وبين حكم الخُضْرِي من المهاجاة ورام أن يهاجيه فترفع ابن ميادة عنه

كان صخر مغرماً بكأس بنت بجير بن جندب وكان يشبب بها فلقيه أخوها وقَّاص وكان شجاعاً ، فقال له ياصخر انك تشبب بابنة عمك وشهَّرتها ولعمرى ما بها عنك مذهب ولا انا عنك مرغب ، فان كانت لك فيها حاجة فهلم أزوجكها وان لم تـكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها بذكر ولا أسمعنه منك فأقسم بالله لئن فعلت ذلك ليخالطنك سيفى ، فقال له بلى والله ان لي لأشد الحاجة اليها ، فوعده موعداً وخرج صخر لوعده حتى نزل بأبيات القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقاص فذبح وجمع أصحابه ، وأبطأ صخر عنهم ، فلما رأى ذلك وقاص بعث اليه أن هلم لحاجتك ، فأبطأ الرسول فقال مثل قوله فغضب وعَمَدَ الى رجل من الحى ليس يُعْدَل بصخر يقال له حصن « وهو مغضب لمـا صنع » فحمد الله وأثنى عليه وزوجه كأس وافترق القوم ومروا بصخر ، فأعلموه تزويج كأس بحصن ، فرحل عنهم من تحت الليل واندفع يهجوها بالأبيات التى قذفها فيها فيما قذفها، وترافع القوم الى المدينة « وأميرها يومئذ طارق مولى عثمان » فتنازعوا اليه ومعهم يومئذ رجل يقال له حزم ، وكان من أشد الناس على صخر شراً ، فأقاموا عليه البينة بقذف كأس ، فضرب الحد وعاد الى قومه وأسف على ما فاته من تزويج كأس فطفق يقول فيها الشعر ، فمنه قوله

لقد عاود النفسَ الشقية عِيدُها ... نعم انه قد عاد نحساً سعودُها
وعاوده من حب كأس ضَمانة[1] ... على النأى كانت هَيْضَة تستقيدها
وأنّى ترجيها وأصبح وصلها ... ضعيفاً وأمست همّه لا يَكيدها
وقد مر عصر وهى لا تستزيدنى ... لما استودعت عندى ولا استزيدها
فما زلت حتى زلت النعل زَلّةً ... برجلك في زَوْراء وَعْث صدودها
ألا قل لكأس ان عرضت لبيتها ... فاين بكا عيني وأين قصيدها
لعل البكا يا كأس ان نفع البكا ... يقرب دنيانا لها فيعيدها
وكانت تناهت لوعة الود بيننا ... فقد أصبحت يَبْسا وأذبل عودها
ليالى ذات الرِّمْث لا زال هيجها ... جنوباً ولا زالت سحاب تجودها
وعيش لنا فى الدهر ان كان فلتة ... يطيب لديه بخل كأس وجودها
تذكرت كأساً اذ سمعت حمامة ... بكت فى ذرا نخل طُوال جريدها
دعت ساق حُرّ فاستحث لصوتها ... مولهة لم يبق الا شَريدها
فيا نفس صبراً كل أسباب واصل ... ستنمى لها أسباب هجر تُبيدها
وليل بدت للعين نار كأنها ... سَنا كوكب للمستبين خمودها
فقلت عساها نار كأس وعلها ... تشكي فأمضى نحوها وأعودها
فتسمع قولي قبل حتف يصيدنى ... تُسَرّ به أو قبل حتف يصيدها
كأن لم نكن يا كأس الفَى مودة ... اذ الناس والأيام ترعى عهودها

ولما ضرب الحد لكأس وصارت الى زوجها ندم على مافرط منه واستحيا من الناس للحد الذى ضرب به فلحق بالشام فطالت غيبته بها ثم عاد فمر بنخل كان لأهله ولأهل كأس فباعوه وانتقلوا الى الشام فمر بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها فبكى عند ذلك بكاء شديداً وانشأ يقول

(١) الضمانة الزمانة

مررت على خيمات كأس فأسبلت   مدامع عينى والرياح تميلها
وفى دارهم قوم سواهم فأسبلت   دموع من الاجفان فاض مسيلها
كذاك الليالى ليس فيها بسالم   صديق ولا يبقى عليها خليلها

وقال وهو بالشام

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا   عن العهد أم أمسى على حاله نجد
وعهدى بنجد منذ عشرين حجة   ونحن بدنيا ثم لم نُلْفها بعد
به الخوصة الدهماء تحت ظلالها   رياض من الحوذان والبقل الجعد

وقال وقد مر على غدير كانت كأس تشرب منه وكان يقال لذلك الغدير جناب

بَلِيت كما يبلَى الرداء ولا أرى   جنابا ولا اكناف ذروة تخلْق
أُلَوِّى حيازيمى بهن صَبابة   كما تتلوَّى الحية المتشرق

وقال يرثيها

على ام داود السلام ورحمة   من الله يجرى كل يوم بشيرها
غداة غدا العادون عنها وغودرت   بلمّاعة القيعان يَستَنّ مُورها
وغيبت عنها يوم ذاك وليتنى   شهدت فيحوى منكبى سريرها
نَزَت كبدى لما أتانى نعيها   فقلت أدان صدْعها فطيرها

ومن قوله فيها

ألا يا كأس قد افنيت شعرى   فلست بنائل بالا رجيعا
تُرَجى أن تلاقى آل كأس   كما يرجو أخو السَّنة الربيعا
فلست بنائم الا بحزن   ولا مستيقظا الا مرُوعا
فانك لو نظرت اذ التقينا   الى كبدى رأيت بها صدوعا

وقوله

هنيئاً لكأس قطعها الحبلَ بعدما   عقدنا لكأس موثقاً لا نخونها

واشمتها الأعداء لما تألَّبوا حَوالَىَّ واشتدت على ضغونها
فان حراما ان أخونك ما دعا بليلى قُمْرِىّ الحمام وجُونها
وقد أيقنت نفسي لقد حيل دونها ودونك لو يأتى بيأس يقينها
ولكن أبت لا تستفيق ولا ترى عزاء ولا مجلود صبر يُعينها
لوانا اذ الدنيا لنا مطمئنة دجا ظلها ثم ارجحنّت غُصونها
لهونا ولكنا بعزة عيشنا عجبنا لدنيانا فكدنا نعينها
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وأوساطها حتي تمل فنونها

أرسلت كأس بعد أن زوجت الى صخر تخبره أنه رأته فيما يرى النائم كأنه يلبسها خمارا وان ذلك جدد شوقاً اليه وصبابة فقال

أنائلَ ما رؤيا زعمتِ رأيتها لنا عجب لو ان رؤياك تصدق
أنائل ما للعيش بعدك لذة ولا مشرب نلقاه الا مُرنَّق
أنائل انى والذى أنا عبده لقد جعلت نفسى من البين تُشفق
لعمرك ان البين منك يشوقني وبعض بعاد البين والنأى أشوق

وكان الجعد ابو صخر يكنى أبا الصموت وهو القائل لامرأته

تعالجنى أم الصَّموت كأنما تداوى حصانا أوهن العظم كاسره
فلا تعجبى أم الصموت فانه لكل جواد مَعْثَر هو عاثره
وقد كنت أصطاد الظباء موطناً وأضرب رأس القرن والرمح شاجره
فأصبحت مثل الطير طار فراخه وغودر فى رأس الهشيمة سائره

ولما كبر حمله بنوه فأتوا به مكة وقالوا له تعبد ههنا ثم اقتسموا المال وتركوا له منه ما يصلحه فقال

الا أبلغ بنى جعد رسولا وان حالت جبال الغَوْرِ دونى

فلم أر معشراً تركوا أباهم ... من الآفاق حيث تركتمونى
فاني والرواقص حول جمع ... ومَخطمهن من حصَبا الحجُون
لو اني ذو مدافعة وحولى ... كما قد كنت أحيانا كونى
اذا لمنعتكم مالى ونفسى ... بنصل السيف أو لقتلتمونى

المؤمل بن اميل المحاربى

شاعر كوفى من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وكانت شهرته فى العباسية أكثر لانه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصهم ويخدمهم من أوليائهم وانقطع الى المهدى فى حياة أبيه وبعده ، وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرزين الفحول ولا المرذولين وفى شعره لين وله طبع صالح ومن شعره يمدح المهدى

هو المهدى الا ان فيه ... مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما اذا ما ... أنارا مشكلان على البصير
فهذا فى الظلام سراج ليل ... وهذا فى النهار ضياء نور
ولكن فضل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا أمير ... وما ذا بالأمير ولا الوزير
ونقص الشهر ينقص ذا وهذا ... أمير عند نقصان الشهور
فيا ابن خليفة الله المصفى ... به تعلو مفاخرة الفخور
لئن فُتَّ الملوك وقد توافَوْا ... اليك من السهولة والوعور
لقد سبق الملوك أبوك حتى ... بقُوا من بين كاب أو حسير
وجئت مصلياً تجري حثيثاً ... وما بك حين تجرى من فتور
فقال الناس ما هذان الا ... كما بين الخليق الى الجدير
لئن سبق الكبير فأهل سبق ... له فضل الكبير على الصغير

وان بلغ الصغير مدى كبير　　فقد خلق الصغير من الكبير

وقال للمهدي وقد بايع ابنيه الهادي والرشيد

هاك بياعنا يا خير وال　　فقد جدنا به لك طائعينا
فان تفعل فانت لذاك أهل　　نفضلك يا ابن خير الناس فينا
وعدلك يا ابن خير الناس فينا　　نبي الله خير المرسلينا
فان أبا أبيك وأنت منه　　هو العباس وارثه يقينا
أبان به الكتاب وذاك حق　　ولسنا للكتاب مكذبينا
بكم فتحت وأنتم غير شك　　لها بالعدل أكرم خاتمينا
فدونكها فانت لها محل　　حباك بها اله العالمينا
ولو قيدت لغيركم اشمأزت　　وأعيت أن تطيع القائدينا

وقال للمهدي

تعز ودع عنك سلمى وسر　　حثيثاً على سائرات البغال
وكل جواد له ميعة　　يَخُبّ بسرجك بعد الكلال
الى الشمس شمس بني هاشم　　وما الشمس كالبدر أو كالهلال
ويضحك أن يديم السؤال　　ويتلف في ضحكه كل مال

ومن قوله

حلمت بكم فى نومتى فغضبتمُ　　ولا ذنب لى ان كنت في النوم أحلمَ
سأطرد عنى النوم كيلا أراكمُ　　اذا ما أتانى النوم والناس نوم
تصارمنى والله يعلم اننى　　أبرّ بها من والديها وأرحم
وقد زعموا لى انها نذرت دمى　　وما لى بحمد الله لحم ولا دم
برى حبها لحمى ولم يُبْقِ لي دما　　وان زعموا انى صحيح مسلم
فلم أر مثل الحب صح سقيمه　　ولا مثل من لم يعرف الحب يسقم
سيقتل جلداً بالياً فوق أعظم　　وليس يبالى القتل جلد وأعظم

شعراء ثقيف

يزيد بن الحكم

هو يزيد بن الحكم بن أبي العاصي الثقفي من ثقيف بن بكر بن هوازن بن منصور صاحب رسول الله عليه وسلم ، وعمه عثمان بن أبي العاصي أحد من أسلم من ثقَيف يوم فتح مكة هو وأبو بَكْرَة ، وشط عثمان بالبصرة منسوب اليه كانت له هناك أرض أقطعها وابتاعها ، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين ، ومما روي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أُمَّ قومك وأقدُرهم بأضعفهم فان منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة ، ومنه أنه قال له اتخذوا مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً

مَرَّ الفرزدق بيزيد بن الحكم وهو ينشد في المجلس شعراً ، فقال من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا يزيد بن الحكم ، فقال نعم أشهد بالله أن عمتي ولدته ، وأم يزيد بكرة بنت الزِّبرقان بن بدر وأمها هنيدة بنت صعصعة ابن ناجية وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر ، فأخرج بها الى الحكم وهو بتوج

دعا الحجاج بيزيد بن الحكم فولاه كورة فارس ودفع اليه عهده بها ، فلما دخل عليه ليودعه قال له الحجاج أنشدني بعض شعرك ، وانما أراد أن يُنشده مديحاً له ، فأنشده قصيدة يفخر فيها ويقول

وأبي الذى سلب ابن كسرى راية ... بيضاء تخفق كالعُقاب الطائر

فلما سمع الحجاج فخره نهض مُغضباً وخرج يزيد من غير أن يودعه ، فقال الحجاج لحاجبه ارتجع منه العهد فاذا رده فقل له أيهما خير لك ؟ أما ورثك أبوك أم هذا ؟ فرد على الحاجب العهد وقال قل له

ورثت جدي مجده وفعاله ... وورثت جدك أعنزاً بالطائف

خرج عنه مغضباً فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أولها

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا ... اذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان ذي بَقَر ... أهدى لها شَبَه العينين والجِيدا

أجزِي على موعد منها فتُخلفني ... فلا أملّ ولا توفى المواعيدا

كأنني يوم أُمسِي لا تكلمني ... ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

يقول فيها

سميت باسم امرىء أشبهت شيمته ... عدلاً وفضلاً سليمان بن داودا

أحمِدْ به في الورى الماضين من ملك ... وأنت أصبحت فى الباقين محمودا

لايبرأ الناس من أن يحمَدُوا ملكاً ... أولاهمُ فى الأمور الحلم والجودا

فقال له سليمان وكم كان أجرى لك لعمالة فارس ؟ قال عشرين ألفاً ، قال فهى لك عليَّ ما دمت حياً

كان ليزيد ابن اسمه عَنْبَسَ فمات ، فجزع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه

جزى الله عني عَنْبساً كل صالح ... اذا كانت الأولاد سيئاً جزاؤها

هو ابني وأمسى أجره لي وعزَّني ... على نفسه رب اليه ولاؤها

جهول اذا جهل العشيرة يُبتَغَى ... حليم ويُرْضِى حلمَه حلماؤها

ويأمن ذو حلم العشيرة جهله ... عليه ويخشى جهله جهلاؤها

وقال ليزيد بن المهلب لما خرج على يزيد بن عبد الملك

أبا خالد قد هِجْت حرباً مَرِيرة ... وقد شمرت حرب عوان فشمر

فان بنى مروان قد زال ملكهم ... فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر

فمت ماجداً أو عِش كريماً فان تمت ... وسيفك مشهور بكفك تعذر

فوقع يزيد بن المهلب تحت البيت الأول أستعين بالله ، وتحت الثانى ماشعرت ، وتحت الثالث أما هذه فنعم

ومن قوله

ألا لا مرحباً بفراق ليلى ... ولا بالشيب اذ طرق الشبابا

شباب بان محموداً وشيب ... ذميم لم نجد لهما اصطحابا

وقال يعاتب ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان

ومولى كذئب السوء لو يستطيعني ... أصاب دمي يوماً بغير قتيل

وأعرض عما ساءه وكأنه ... يقاد الى ماساءنى بدليل

مجاملة مني وإكرام غيره ... بلا حسن منه ولا بجميل

ولو شئت لولا الحلم جدّعت أنفه ... بإيعاب جدع بادىء وعليل

حِفاظاً على أحلام قوم رُزِنتهم ... رِزان يزينون النديَّ كهول

وقال فى أخيه عبد ربه

أخي يُسِرّ لي الشَّحْناء يُضمرها ... حتى وَرَى[1] جوفه من غمره الداء

حرّان ذو غُصَّة جَرِّعت غُصته ... وقد تعرض دون الغصة الماء

حتى اذا ما أساغ الريق أنزلنى ... منه كما ينزل الأعداء أعداء

أسعى فيكفر سعيي ما سعيت له ... انى كذاك من الاخوان لقّاء

وكم يد ويد لي عنده ويد ... يعدهن تِراتٍ وهي آلاء

وقال له

تكاشرني كُرْهاً كأنك ناصح ... وعينك تُبْدِي أن صدرك لي دَوِي[2]

لسانك لي حلو وغَيْبُك علقم ... وشرك مبسوط وخيرك منطوى

(١) ورى القيح جوفه أفسده والغمر بالكسر الحقد والغل

(٢) دوى صدره فهو دو ضغن

فليت كفافاً كان خيرك كله ... وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي
عدوك يخشى صولتي ان لقيته ... وأنت عدوي ليس ذاك بمستوي
تصافح من لاقيت لي ذا عداوة ... صِفاحاً وعَنّي بين عينيك مُنْزَوي
أراك اذا لم أهْوَ أمراً هَوِيتَه ... ولست لما أهْوَى من الأمر بالهَوِي
أراك اجتويت[1] الخير مني وأجتوي ... أذاك فكل يجتوي قرب مجتوي
وكم موطن لولاي طِحْتَ كما هَوَى ... بأجرامه من قُلَّة النِّيق[2] منهوي
اذا ما ابتنى المجدَ ابنُ عمك لم تُعِن ... وقلت ألا يا ليت بنيانه خَوِي[3]
كأنك ان نال ابن عمك مغنما ... شَـجٍ أو عميد أو أخو مَغْلَةٍ[4] لوي
تملأت من غيظ عليّ فلم يزل ... بك الغيظ حتى كدت بالغيظ تنشوي
وما بَرِحت نفس حسود حسبتها ... تُذِيبُك حتى قيل هل أنت مُكْتَوي
وقال النِّطاسيون أنك مُشْعَرٌ ... سُلالاً ألا بل أنت من حسد ذَوِي
جمعت وفحشاً غيبة ونميمة ... ثلاثَ خصال لست عنهن ترعوي
ويدعو بك الداعي الى كل سوءة ... فيا شر من يدعو الى شر من دُعي
بدا منك غش طالما قد كتمتَه ... كما كتمت داء ابنها أم مُدَّوي[5]

وهذه الأبيات أنشدها أبو الزعراء لطرفة

قال أبو الفرج ما أظن أبا الزعراء صادقاً فيما حكاه لان العلماء من رواة الشعر رووها ليزيد بن الحكم وهذا أعرابي لا يحصل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنه ليزيد، وليس كذلك، لكان معلوماً أنه ليس لطرفة ولا موجوداً

---

(١) اجتوى كره والمجتوى الكاره (٢) النيق أرفع موضع في الجبل
(٣) خوى البنيان فهو خو أقوى وسقط وتهدم (٤) المغلة الفساد
(٥) المدوى الذي يأخذ الدواية بالفم وهي جلدة رقيقة تركب اللبن وجاء غلام من العرب الى أمه وعندها أم خطبه ، فقال يا أماه أدوى ، فقالت اللجام معلق بعمود البيت ، تورى بذلك وتوى القوم أنه انما سألها عن اللجام وأنه صاحب خيل وركوب

في شعره على سائر الروايات ولا هو أيضاً مشبها لمذهب طرَفة ونمَطه وهو بيزيد أشبه وله في معناه عدة قصائد (تقدمت)، واذا تأمل هذا الشعر من له فى العلم أدنى سهم عرف أنه لايدخل فى مذهب طرفة ولا يقاربه، وأن مرذول كلام طرفة فوقه

كان يزيد قد هوى جارية مغنية وكانت غير مطاوعة له فكان يهيم بها، ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها، فمرت بيزيد مع غلمة لمولاها راحلة، فلما علم بذلك رفع صوته فقال

يأيها النازح الشَّسوع ودائع القلب لاتضيع
أستودع الله من اليه قلبي على نأيه نزوع
اذا تذكرته استهلت شوقاً الى وجهه الدموع

طريح الثقفى

هو طُرَيح بن اسمعيل بن عبيد الثَّقفى، يكني أبا الصَّلْت بابن كان له اسمه الصلت وله يقول

ياصَلْتَ ان أباك رَهْن منية مكتوبة لابد أن يلقاها
سَلَفَت سوالفها بأنفُس من مضى وكذاك يتبع باقياً أخراها
والدهر يُوشِك أن يفرق رَيْبُه بالموت أو رِحَلَ تشب نواها
لابد بينكما فتُسْمَع دعوة أو تستجيب لدعوة تُدْعاها

مات أمه وهو صغير فطرحه طريح الى أخواله بعد موت أمه وهو يقول

بات الخيال من الصُّليت مُؤَرِّقي يقرى السراة مع الرباب الملثق
ماراعني الا بياض وجيهه تحت الدُّجُنَّة كالسراج المشرق

نشأ طريح فى دولة بني أمية واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد وأدرك دولة بني العباس، ومات فى أيام المهدي، وكان الوليد له مكرماً مقدماً لانقطاعه إياه

وخؤولته من ثقيف ، قال طريح خصصت بالوليد حتى صرت أخلو معه ، فقلت له ذات يوم وأنا معه في مشربة يا أمير المؤمنين خالك يحب أن تعلم شيئاً من خلقه ، قال وما هو ؟ قلت لم أشرب شراباً قط ممزوجاً الا من لبن أو عسل ، قال قد عرفت ذلك ولم يباعدك من قلبي ، فدخلت يوماً اليه وعنده الأمويون ، فقال لي إليَّ ياخالي وأقعدني الى جانبه ، ثم أتى بشراب فشرب ، ثم ناولني القدح ، فقلت يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب ، قال ليس لذلك أعطيتك انما دفعته اليك لتناوله الغلام ، وغضب فرفع القوم أيديهم كأن صاعقة نزلت على الخوان ، فذهبت أقوم فقال اقعد ، فلما خلا البيت افترى عليَّ ثم قال أردت أن تفضحني ولولا أنك خالي لضربتك ألف سوط ، ثم نهى الحاجب عن إدخالي وقطع أرزاقي ، فمكثت ما شاء الله ، ثم دخلت عليه يوماً متنكراً فلم يشعر الا وأنا بين يديه وأنا أقول

يا ابن الخلائف مالى بعد تقربة ... اليك أُقْصَى وفى حالَيْك لى عجب
مالى أُذاد وأُنهى حين أقصدكم ... كما توقى من ذي العُرَّة[1] الجرب
كأنني لم يكن بيني وبينكم ... إلٌّ ولا خُلة ترعى ولا نسب
لو كان بالود يُدْنَى منك أزلفني ... بقربك الود والاشفاق والحدَب
وكنت دونَ رجال قد جعلتهم ... دونى اذا ما رأونى مقبلا قطبوا
ان يسمعوا الخير يُخفوه وان سمعوا ... شراً أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا
رأوا صدودك عني فى اللقاء فقد ... تحدثوا ان حبلى منك منقضب
فذو الشَّماتة مسرور بهيضتنا ... وذو النصيحة والاشفاق مكتئب
أين الذِّمامة والحق الذى نزلت ... بحفظه وبتعظيم له الكتب
وحَوْكي الشعر أصفيه وأنظمه ... نظم القلائد فيها الدر والذهب
وان سخطك عنى شىء لم أناج به ... نفسى ولم يك مما كنت أكتسب

(١) العرة الجرب

لكن أتاك بقول كاذب أثم قوم بَغَوْنى فنالوا فيَّ ما طلبوا
وما عهدتك فيما زل تقطع ذا قربى ولا تدفع الحق الذي يجب
ولا تَوَجَّعَ من حق تَحَمَّلَهُ ولا تتبع بالتكدير ما تَهَبُ
فقد تقربت جهداً من رضاك بما كانت تنال به من مثلك القُرَبُ
فغير دفعك حقي وارتفاضك لى وطيك الكشح عني كنت أحتسب
أمْشمت بي أقواماً صدورهم عليَّ فيك الى الأذقان تلتهب
قد كنت أحسب أني قد لجأت الى حرز وألاَّ يضرونى وان ألبوا
ان التى صنتها عن معشر طلبوا مني الى الذى لم ينجح الطلب
أخلصتها لك اخلاص امرىء علم الـــأقوام أن ليس الا فيك يرتغب
أصبحت تدفعها مني وأعطفها عليك وهي لم يخبأ بها رغب
فان وصلت فأهل العرف أنت وان تدفع يدىَّ فلى بقيا ومنقلب
انى كريم كرام عشت فى أدب نَفَي العيوب وملك الشيمة الأدب
قد يعلمون بان العسر منقطع يوماً وان الغنى لا بد منقلب
فمالهم حُبُسٌ (١) فى الحق مرتهن مثل الغنائم تحوى ثم تنتهب
وما على جارهم ألاَّ يكون له اذا تكنفه أبياتهم نَشَبُ
لا يفرحون اذا ما الدهر طاوعهم يوما بيسر ولا يشكون ان نُكبوا
فارقت قومى فلم أعتض بهم عوضاً والدهر يحدث أحداثا لها نُوب

فتبسم وأمرنى بالجلوس ورجع إليَّ وقال إيك أن تعاود

وقال له

نام الخلى من الهموم وبات لى ليل أكابده وهم مُضْلِع
وسهرت لا أسْرِي ولا فى لذة أرَقى وأغفل ما لقيت الهُجَّع

(١) الحبس كل شيء وقفه صاحبه لوجه الله

أبغى وجوه مخارجى من تهمة ... أزمت على وسدّ منها المطلع
جزعا لمعتبة الوليد ولم أكن ... من قبل ذاك من الحوادث أجزع
يا ابن الخلائف ان سخطك لامرىء ... أمسيت عصمته بلاء مُفظع
فلأنزعن عن الذى لم تهوه ... ان كان لى ورأيتَ ذلك منزع
فاعطف فداك أبى على توسعا ... وفضيلة فعلى الفضيلة تتبع
فلقد كفاك وزاد ما قد نالني ... ان كنت لي ببلاء ضر تقنع
سِمة لذاك علىّ جسم شاحب ... بادٍ تحسره ولون أسفع
ان كنت فى ذنب عتبت فانني ... عما كرهت لنازع متضرع
ويئست منك فكل عسر باسط ... كفًا الىّ وكل يُسْر أقطع
من بعد أخذى من حبالك بالذى ... قد كنت أحسب أنه لا يُقطع
فارْبُبْ صنيعك بى فان بأعين ... للكاشحين وسمعها ما تصنع
أدفعتنى حتى انقطعت وسددت ... عنى الوجوه ولم يكن لى مَدْفَع
ورُجيت واتقيت يداى وقيل قد ... أمسى يضر اذا أحب وينفع
ودخلت فى حرم الذِّمام وحاطنى ... خفر أخذت به وعهد مولع
أفهادم ما قد بنيتَ وخافض ... شرفى وأنت لغير ذلك أوسع
أفلا خشيت شمات قوم فتُّهم ... سبقًا وأنفسهم عليك تقطع
وفضلت فى الحسب الأشم عليهم ... وصنعت فى الأقوام مالم يصنعوا
فكأن آنفُهم بكل صنيعة ... أسديتها وجميل فعلك تُجدَع
ودوا لو انهمُ ينال أكفَّهم ... شَلَل وانك عن صنيعك تنزع
أو تستليم فيجعلونك أسوة ... وأبى الملامَ لك الندى والموضع

فقربه وأدناه وعاد له الى ما كان عليه

ومن قوله يمدحه

أنت ابن مُسْلَنْطَح[1] البطاح ولم   تطرق عليك الحَنِيُّ والوُلُجُ

طوبى لفرعيك من هُنَا وهُنَا   طوبى لأعراقك التى تَشِج[2]

لو قلت للسيل دَعْ طريقك والمو   ج عليه كالهضب يعتلج

لساخ[3] وارتدَّ أو لـكان له   فى سائر الأرض عنك مُنْعَرَج

ومن قوله فيه

واعتام أهلك من ثقيف كفاه   فتنازعاك وأنت جوهر جوهر

فنمت فروع القريتين[4] قُصَيُّها   وقَسِيُّها بك فى الأَنَمِّ الأكبر

ومن قوله

أقفر ممن يحله السَّنَدَ   فالمنحنى فالعقيق فالجُمُدُ[5]

لم يبق فيها من المعارف بعـــد الحى الا الرمال و الوتد

وعَرْصة نـكرت معالمها الريـــح بها مسجد ومُنْتَضَد

يقول فيها

لم أنس سلمى ولا ليالينا   بالحَزْن اذ عيشنا بها رغد

---

(١) المسلنطح من البطاح ما اتسع واستوى سطحه منها وتطرق عليك تطبق عليك وتضيق مكانك يقال طرقت الحادثة بكذا وكذا اذا أتت بأمر ضيق معضل ، والحنى ما انخفض من الارض والواحدة حنا والولج كل متسع فى الوادى والواحدة ولجة أى لم تكن بين الحنى والولج فيخفى مكانك أى لست فى موضع خفى من الحسب

(٢) تشج تنبت والوشيج أصول النبت يقال أعراقك واشجة في الـكرم أى نابتة فيه ويريد أنه كريم الابوين من قريش وثقيف

(٣) أى لغاص في الارض وارتد أى عدل عن طريقه وان لم يجد الى ذلك سبيلا كان له منعرج عنك الى سائر الارض يقول أنت ملك هذا الابطح والمطاع فيه فكل من تأمره يطيعك فيه حتى لو أمرت السيل بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك وانما ضرب هذا مثلا وجعله مبالغة لأنه لاشيء أشد تعذراً من هذا وشبهه فاذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر

(٤) مكة والطائف وقصي أبو قريش وقسي هو ثقيف (٥) جبل لبنى نصر بنجد

اذ نحن في ميعة الشباب واذ أيامنا تلك غضة جدد
في عيشة كالفرند عازبة الشقـوة خضراء غصنها خضد
نحسد فيها على النعيم وما يولع الا بالنعمة الحسد
أيامَ سلمى غريرة أنف كأنها خوط بانة رؤد
ويحي غدا ان غدا عليّ بما أكره من لوعة الفراق غد
قد كنت أبكي من الفراق وحيا نا جميع ودارنا صدد
فكيف صبري وقد تجاوب بالـ فرقة منها الغراب والصرد
دع عنك سلمى لغير مقلية وعد مدحا بيوته شرد
للأفضل الأفضل الخليفة عبـ د الله من دون شأوه صعد
في وجهه النور يستبان كما لاح سراج النهار اذ يقد
يمضي على خير ما يقول ولا يخلف ميعاده اذا يعد
من معشر لا يشمّ من خذلوا عزا ولا يستذل من رفدوا
بيض عظام الحلوم حدهم ماض حسام وخيرهم عتد
أنت امام الهدى الذي أصلح الـلّـ ـه به الناس بعد ما فسدوا
لما أتى الناس أن ملكهم اليك قد صار أمره سجدوا
واستبشروا بالرضا تباشرهم بالخلد لو قيل انكم خلد
وعجّ بالحمد أهل أرضك حتـ ـى كاد يهتز فرحة أحد
واستقبل الناس عيشه أنفا ان تبق فيها لهم سعدوا
رزقت من ودهم وطاعتهم مالم يجده لوالد ولد
أثلجهم منك أنهم علموا أنك فيما وليت مجتهد
وان ما قد صنعت من حسـ ـن مصداق ما كنت مرة تعد
ألفت أهواءهم فأصبحت الأضـ ـغان سلما وماتت الحقد

كنت أرى أن ماوجدت من الفـــرحة لم يلق مثله أحـد
حتى رأيت العباد كلهم قد وجدوا من هواك ماأجد
قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفعك الله بالتكرم والتقـــوى فتعلو وأنت مقتصد
حسب امرىء من غنى تقربه منك وان لم يكن له سند
فأنت أمن لمن يخاف وللمخذو ل أودى نصيرُه عَضُد
كل امرىء ذى يد تعد عليـــه منك معلومة يد ويد
فهم ملوك مالم يَرَوْك فان دَانَاهُمُ منك منزل خَمَدوا
تعروهم رِعْدة لديك كما قَفْقَفَ تحت الدُّجنة الصُّرَد
لاخوف ظلم ولا قِلَى خلق الاجلالا كسا كَهُ الصمد
وانت غَمْرُ الندى اذا هبط الـــزوار أرضا تحلها حَمِدوا
فهم رفاق فرفقة صدرت عنك بغُنْم ورفقة تَرِد
ان حال دهر بهم فذلك لا تنفك عن حالك التى عهدوا
قد صدق الله مادحيك فما فى قولهم فِرْية ولا فَنَد

ومما غنى فيه من شعره

كالبَيْض بالأُدْحىّ يلمع فى الضحى فالحسن حسن والنعيم نعيم
حلَّيْنَ من درر البحور كأنه فوق النحور اذا يلوح نجوم

النميرى

هو محمد بن عبد الله بن نُمَيْر النُّمَيْري ثم الثقفى

شاعر غَزِل مولده ومنشؤه بالطائف ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف ، وله فيها أشعار كثيرة

يتشبب بها ، كان يوسف بن الحكم اعتلّ علة فطالت عليه فنذرت زينب ان عوفي أن تمشي الى البيت ، فعوفي ، فخرجت فى نسوة فقطعن بطن وَجّ وهو ثلثمائة ذراع فى يوم جعلته مرحلة لثقل بدنها ، ولم تقطع ما بين مكة والطائف الا فى شهر ، فبينما هى تسير لقيها ابراهيم بن عبد الله النميري أخو محمد منصرفاً من العُمْرَة ، فلما قدم الطائف أتى محمداً يسلم عليه ، فقال له ألك علم بزينب ؟ قال نعم لقيتها بالهَمَّاء (١) فى بطن نعمان ، فقال ما أحسبك الا وقد قلت شيئاً ، قال نعم قلت بيتاً واحداً وتناسيته كراهة أن يَنْشَبَ بيننا وبين اخوتنا شر ، فقال محمد هذه القصيدة وهى أول ما قاله

تضوع مسكاً بطن نَعْمان اذ مشت ... به زينب فى نسوة عَطِرات
فأصبح ما بين الهَمّاء فصاعداً ... الى الجزع جزع الماء ذى العُشَرات
له أَرَج من مُجْمَر الهند ساطع ... تطلع رياه من الكَفِرات
تهادَيْن ما بين المُحَصَّب من مِنًى ... وأقبلن لا شُعْثاً ولا غَبِرات
أعان الذى فوق السموات عرشه ... أوانس بالبطحاء مؤتجرات
مررن بفخّ (٢) ثم رُحْن عشية ... يُلَبِّين للرحمن معتمرات
يُخَبِّئن أطراف البَنان من التقى ... ويقتلن بالألحاظ مقتدرات
تقسَّمن قلبي يوم نعمان انني ... رأيت فؤادي عارم (٣) النظرات
جَلَوْن وجوهاً لم تَلُحْها سمائم ... حَرور ولم يُسْفَعن بالسَّبَرات (٤)
فقلت يَعافير الظباء تناولت ... يَناع غصون الورد مُهتَصرات
ولما رأت ركب النُّمَيْرِى راعها ... وكن من آن يلقينه حَذِرات
فأدنين حتى جاوز الركب دونها ... حجابا من القَسّيّ والحِبَرات

(١) الهماء موضع بنعمان بين الطائف ومكة (٢) واد بمكة (٣) شديد
(٤) السبرة الغداة الباردة

فكدت اشتياقاً نحوها وصبابة تَقَطَّع نفسي اثرها حسرات
فراجعت نفسي والحفيظةَ بعد ما بَلَلْتُ رداء العَصْب بالعبرات

فبلغت هذه القصيدة عبد الملك بن مروان ، فكتب الى الحجاج قد بلغني قول الخبيث في زينب فاله عنه وأعرض عن ذكره فانك ان أدنيته أو عاتبته أطمعته وان عاقبته صدقته

ومن قوله فيها

طربت وشاقتك المنازل من جفْن[(١)] ألا ربما يعتادك الشوق بالحزن
نظرت الى أظعان زينب باللوى فأعولتها لو كان أعوالها يُغْني
فوالله لا أنساك زينبُ ما دعت مطوَّقة ورْقاء شجواً على غصن
فان احتمال الحي يوم تحملوا عَنَاك وهل يَعْنيك الا الذي يعني
ومرسلة في السر أن قد فضحتني وصرحت باسمي في النسيب وما تكني
وأشمتَّ بي أهلي وجلَّ عشيرتي ليهْنِك ماتهواه ان كان ذا يهنى
وقد لامني فيها ابن عمي ناصحاً فقلت له خذ لي فؤادي أو دعني

فيقال انه بلغ زينب قوله هذا فبكت ، فقالت لها خادمتها ما يبكيك ؟ فقالت أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهل بي لا يعرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقاً

وقال فيها

أهاجتك الظعائن يوم بانوا بذي الزِّيّ الجميل من الأثاث
ظعائن أُسلكت نقب المُنَقّى[(٢)] تحُثّ اذا ونَتْ أيَّ احتثاث
تؤمل أن تلاقي أهل بُصْرى فيالك مستزار مستراث
كأن على الحدائج يوم بانوا نعاجاً ترتعى بقْل البِراث[(٣)]

---

(١) ناحية بالطائف (٢) بين أحد والمدينة (٣) البراث جمع البرث بالفتح وهي لارض السهلة اللينة والحدائج مراكب النساء

يهيجني الحمام اذا تداعى ... كما سجع النوائح بالمراثى
كأن عيونهن من التبكى ... فصوص الجزع أو يَنَعَ الكَباث(١)
ألاقٍ أنت فى الحجج البواقى ... كما لاقيت فى الحجج الثلاث

وكان الحجاج يتهدده ويقول لولا أن يقول قائل صدق لقطعت لسانه ، فهرب باليمن ، ثم ركب بحر عدن وقال فى هربه

أتتني عن الحجاج والبحر بيننا ... عقارب تَسْرِى والعيون هواجع
فضقت بها ذرعاً وأجهشت خيفة ... ولم آمن الحجاج والأمر فاظع
وحل بى الخطب الذى جاءنى به ... سميع فليست تستقر الأضالع
فبت أدير الأمر والرأى ليلتي ... وقد أخضلت خدي الدموع التوابع
ولم أرَ خيراً لي من الصبر انه ... أعفُّ وخير اذ أتتني النواجع
وما أمنت نفسى الذى خفت شره ... ولاطاب لي مما خَشِيت المضاجع
الى أن بدا لي رأس إسْبِيل طالعاً ... وإسْبِيل حصن لم تَنَلْه الأصابع
فلي عن ثقيف ان هممت بنَجْوَة ... مهامهُ تَهْوِي بينهن المجارع(٢)
وفى الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف ... اذا شئت مَنْأًى لا أبالك واسع
فان نلتني حجاج فاشتف جاهداً ... فان الذى لا يحفظ الله ضائع

فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ، وطال على النميرى مقامه هارباً واشتاق الى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحجاج ، فقال له إيه يا نميرى أنت القائل « فان نلتنى حجاج فاشتف جاهداً » ، فقال بل أنا الذى أقول

أخاف من الحجاج ما لست خائفاً ... من الأسد العِرْباض(٣) لم يَثْنِه ذُعر
أخاف يديه أن تنالا مقاتلى ... بأبيض عَضْب ليس من دونه ستر

---

(١) الكباث النضيج من ثمر الاراك (٢) المجارع جمع مجرع كدرهم الكلب السلوق الخفيف
(٣) العرباض الاسد الثقيل العظيم

وأنا الذى أقول

فها أنذا طوفت شرقاً ومغرباً وأُبْتُ وقد دَوَّخت كل مكان
فلو كانت العَنْقاء منك تطير بى لخلتُك الا أن تَصُدَّ ترانى

فتبسم الحجاج وأمنه وقال لا تعاود ما تعلم ، وخلى سبيله

وكان الحجاج وجه بزينب مع حرمه الى الشام لما خرج ابن الأشعث خوفاً عليهن ، فلما قتل ابن الأشعث كتب الى عبد الملك بالفتح ، وكتب مع الرسول كتاباً الى زينب يخبرها الخبر ، فأعطاها الكتاب وهى راكبة على بغلة في هودج فنشرته تقرؤه وسمعت البغلة قعقعة الكتاب فنفرت وسقطت زينب عنها فاندق عضداها وتهرّى جوفها فماتت ، وعاد اليه الرسول الذى نفذ بالفتح بوفاة زينب

فقال النميرى يرثيها

لزينب طَيْف تعترينى طوارقه هُدُوًّا اذا النجم ارجَحَنَّت لواحقه
سيبكيك مِرْنان العشى نجيبه لَطيف بنان الكف دُرْم مَرافقه
اذا ما بساط اللهو مُدَّ وألقيت للذاته أنماطـــه ونَمارقه

ومما غنى فيه من شعره فى زينب

تشتو بمكة نعمة ومَصيفها بالطائف
أحبب بتلك موافقاً وبزينب من واقف
وعزيزة لم يَغْذُها بؤس وجفوة حائف
غراء يحكيها الغزا ل بمقلة وسوالف

ومنـــه

ألا من لقلب معنًّى غَزِل بحب المحلّة أخت المحل(١)

(١) يريد به الحجاج سمى بذلك لاحلاله الكعبة وكان أهل الحجاز يسمونه بذلك ويسمى أهل الشام عبد الله بن الزبير المحل لانه أحل الكعبة زعموا أنه بمقامه فيها وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاؤا بها

تراءت لنا يوم فرع الأرا ... ك بين العِشاء وبين الأُصُل
كأن القَرَنْفُل والزَّنجبيل ... وريح الخُزَامَى وذوب العسل
يُعَلُّ به برد أنيـــابها ... اذا ما صغا الكوكب المعتدل
وقالت لجارتها هل رأيت ... اذا عرض الركب فعل الرجل
وأن تبســـمه ضاحكاً ... أَجدَّ اشتياقاً لقلب غَزِل

يزيد بن ضبة

مولى ثقيف ، وكان منقطعاً الى الوليد بن يزيد فى حياة أبيه متصلا به لا يفارقه، فلما أفضت الخلافة الى هشام أتاه يزيد مهنئاً بالخلافة ، فلما استقر به المجلس ووصلت اليه الوفود وقامت الخطباء تثنى عليه والشعراء تمدحه مثل يزيد بين السماطين فاستأذنه فى الانشاد فلم يأذن له وقال عليك بالوليد فامدحه وأنشده وأمر باخراجه وبلغ الوليد خبره فبعث اليه بخمسمائة دينار وقال له لو أمنت عليك هشاماً لما فارقتنى ولكن اخرج الى الطائف وعليك بمالي هناك فقد سوغتك جميع غلته ومهما احتجت اليه من شيء بعد ذلك فالتمسه مني ، فخرج الى الطائف وقال يذكر مافعله هشام

أرى سلمى تصدّ وما صددنا ... وغير صدودها كنا أردنا
لقد بخلت بنائلها علينا ... ولو جادت بنائلها حمدنا
وقد ضَنَّت بما وعدت وأمست ... تغير عهدها عما عهدنا
ولو علمت بما لاقيت سلمى ... فتخبرنى وتعلم ما وجدنا
تلمّ على تنائى الدار منا ... فيسهرنا الخيال اذا رقدنا
ألم تر أننا لما وَلينا ... أمورا خرقت فوهت سددنا
رأينا الفتق حين وهى عليهم ... وكم من مثله صدع رفأنا

اذا هاب الكريهة من يليها وأعظمها الهيوبُ لها عمدنا
وجبار تركناه كليلا وقائد فتنة طاغٍ أزلنا
فلا تنسوْا مواطننا فانا اذا ما عد أهل الحزم عدنا
وماهيضت مكاسر من جبرنا ولا جبرت مصيبة من هددنا
ألا مَنْ مبلغٌ عنى هشاما فما منا البلاء وما بعدنا
وما كنا الى الخلفاء تفضى ولا كنا نؤخّر ان شهدنا
ألم يك بالبلاء لنا جزاء فنجزى بالمحاسد ام حسدنا
وقد كان الملوك يَرَوْن حقا لوافدنا فنكرم ان وفدنا
ولينا الناس أزمانا طوالا وسُسْناهم وسسناهم وقُدْنا
ألم تر من ولدنا كيف أشبَوْا وأشبينا وما بهم قعدنا
نكون لمن ولدناه سماء اذا شيمت مخايلنا رعدنا
وكان أبوك قد أسدى الينا جسيمة أمره وبه سعدنا
كذلك أول الخلفاء كانوا بنا جدّوا كما بهمُ جددنا
همُ آباؤنا وهمُ بنونا لنا جُبلوا كما لهمُ جُبلنا
ونكوى بالعداوة من بغانا ونُسْعد بالمودة من وددنا
نرى حقاً لسائلنا علينا فنحبوه ونُجْزل ان وعدنا
ونضمن جارنا ونراه منا فنرْفده فنجزل ان رفدنا
وما نعتد دون المجد مالا اذا يغلى بمكرمة أفدنا
وأتلدُ مجدنا أنا كرام بحد المشرفية عنه ذدنا

فلم يزل مقيما بالطائف الى أن ولى الوليد الخلافة فوفد اليه فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنأه بالخلافة فأدناه الوليد وضمه اليه وقبل يزيد بن ضبة رجليه والأرض بين يديه ، فقال الوليد لأصحابه هذا طريد الأحول

لصحبته اياى وانقطاعه الى فاستأذنه يزيد فى الانشاد وقال له يا أمير المؤمنين هذا اليوم الذى نهانى عمك هشام عن الانشاد فيه قد بلغته بعد يأس والحمد لله على ذلك فأذن له فأنشده

سُلَيمى تلك فى العِير   قفى أسألك أو سيرى
اذا ما بنت لم تأوِى   لصب القلب مغمور
وقد بانت ولم تعهد   مَهاة فى مَهاً حور
وفي الآل حول الحى   تزهى كالقوادير
يواريها وتبدو منه   آل كالسمادير (١)
وتطفو حين تطفو فيه   كالنخل المواقير (٢)
لقد لاقيت من سلمى   تباريح التناكير
دعت عينى لها قلبى   وأسباب المقادير
وما ان مَنْ به شيب   اذا يصبو بمعذور
لسلمى رسم أطلال   سَفَتْه الريح بالمور (٣)
خريق تنخلُ التربَ   بأذيال الأعاصير
فأَوْحِشْ اذ نأت سلمى   بتلك الدور من دور
سأرمى قانصات البيد   ان عشت بعسبور (٤)
من العيس شجوجات   طواها النِّسع بالكور (٥)
اذا ما حقَبُ جال   قرنّاه بتصدير (٦)

(١) السمادير شىء يتراءى للانسان من ضعف بصره عند السكر (٢) نخل مواقير جمع ميقار وهى الكثيرة الحمل (٣) المور التراب تثيره الريح (٤) العسبور ولد الكلب من الذئبة وناقة عسبور سريعة نجيبة (٥) تشج المفاوز والنسع حبل تشد به الرحال

(٦) الحقب بالتحريك الحزام الذى يلى حقو البعير وقيل هو حبل يشد به الرحل فى بطن البعير لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذبه التصدير فيقدمه والتصدير حزام الرحل والهودج

زجرنا العيس فارتدت باعصاف[1] وتشمير
نقاسيها على أين بادلاج وتهجير
اذا ما اعصو صب الآل ومال الظل بالقور[2]
وراحت تتقى الشمس مطايا القوم كالعور
الى أن يفضح الصبح بأصوات العصافير
لنعتام الوليد القرْ م أهل الجود والخير
كريم يهب البُزْل مع الخور الجراجير[3]
تراعى حين نُزْجيها هوياً كالمزامير
كما جاوبت النِّيب رباع الخُلُج الخور[4]
ويهب الذهب الأحمر وزنا بالقناطير
بلوناه فأحمدنا ه فى عسر وميسور
كريم العود والعنصر غمْر غير منزور
له السبق الى الغايا ت فى ضم المضامير
امام يوضح الحق له نور على نور
مقال من أخى ود بحفظ الصدق مأثور
باحكام واخلاص وتفهيم وتحبير

فأمر الوليد بأن تعد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت الف درهم فكانت خمسين بيتاً فأعطى خمسين الفاً فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على

---

(١) أعصفت الناقة فى السير أسرعت والتشمير الجد

(٢) القور جمع القارة وهى الاصاغر من الجبال والاعاظم من الآكام وهى مفرقة خشنة كثيرة الحجارة

(٣) فحل جراجر بالضم كثير الجرجرة وهو بعير جرجار والجرجرة الضجيج والصياح

(٤) الخور الابل الحمر الى الغبرة رقيقات الجلود طوال الاوبار لها شعر ينفذ وبرها وهى أطول من سائر الوبر والخلج جمع خلوج وهى التى تخالج السير من سرعتها أى تجذبه

عددها لكل بيت الف درهم ثم لم يفعل ذلك الا هرون الرشيد فانه بلغه خبر يزيد مع الوليد فأعطى مرْوان بن ابى حفصة ومنصورا النمرى لما مدحاه وهجوا آل أبى طالب لكل بيت الف درهم

خرج الوليد الى الصيد ومعه يزيد بن ضبة فاصطاد على فرسه السندى صيداً حسنا ولحق عليه حماراً فصرعه فقال ليزيد صف فرسى هذا وصيدنا اليوم فقال فى ذلك

وأَحْوَى سَلِسِ المِرْسَـــن مثل الصَّدَعِ الشُّعَبِ[١]
سما فوق مُنِيفات طوال كالقنا سَلْبْ[٢]
طويل الساق عُنْجوج أَشَقَّ أَصْمَعَ الكعب[٣]
على لام أَصَمَّ مُضْـــمَرَ الأشعَرَ كالعقب[٤]
ترى بين حواميـــه نُسوراً كنوى القَسْب[٥]
معالي شَنِجَ الأنسا ءِ سامٍ جُرْشُعُ الجنب[٦]
طوى بين الشَّراسيف الى المُنْقَبِ فالقُنْب[٧]
يغوص الملحم القائـــم ذو حدّ وذو شَغْب[٨]

---

(١) المرسن من أنف الفرس موضع الرسن والصدع من الاوعال والظباء والحمير والابل الفتى الشاب القوى والاشعب من التيوس ذو الشعب وهو ما كان بين قرنيه بعيداً جداً وجمعه شعب

(٢) فرس سلب القوائم أى خفيفها والمنيفات الطويلة ويريد بها القوائم

(٣) العناجيج جياد الخيل والابل والاشق من الخيل الذى يشتق فى عدوه يميناً وشمالا والأصمع الكعب اللطيف المستوى (٤) لام الانسان وغيره شخصه والاصم الذى لا يطمع فيه

(٥) الحوامى ميامن الفرس ومياسره والنسر لحمة فى باطن حافر الفرس من أعلاه والقسب تمر يابس يتفتت فى الفم صلب النواة (٦) الجرشع العظيم الصدر المتنفخ الجنبين وسام رافع رأسه والانساء جمع النسا بالفتح وهو عرق من الورك الى الكعب وشنج النسا أى متقبضه واذا شنج نساه لم تسترخ رجلاه (٧) الشرسوف غضروف معلق بكل ضلع والمنقب السرة والقنب وعاء هن كل ذى حافر

(٨) الشغب الهياج والحد الحدة

عتيد الشَّــدّ والتقريــــب والاحضار والعقَبْ (١)
صليب الأذن والــكاهـــل والموقف والعَجْبْ (٢)
عريض الخد والجبهـــة والبركة واللهب
اذا ما حثــــه حاث يبارى الريح فى غرب
وان وجهته أسرع كالخُذْروف فى الثقب
وقفاهن كالأجدل لما انضم للضرب
ووالى الطعن يختار جواشن بدن قُبّ
ترى كل مدلّ قا ئماً يلهث كالــكلب
كأن المــاء فى الأعطا ف منه قطع العُطْب (٣)
كأن الدم فى النحر قذال علّ بالخضب
يزين الدار موقوفاً ويشفى قدم الركب

فقال له الوليد أحسنت الوصف وأجدته فاجعل لقصيدتك تشبيباً وأعطه الغزيل وعمر الوادى حتى يغنيا فيه، فقال

الى هند صبا قلبي وهنــد مثلها يصبي
وهند غادة غيــدا ء من جرثومة غُلْب
وما ان وجد الناس من الأدواء كالحب
لقد لج بها الاعرا ض والهجر بلا ذنب
ولــا أقض من هند ومن جاراتها نحبى
أرى وجدى بهند دا ئماً يزداد عن غب

(١) هذه أنواع من عدو الفرس العقب الجرى يجىء بعد الجرى الاول والتقريب أن يرجم الارض بيديه وهما ضربان التقريب الادنى وهو الارخاء والتقريب الاعلى وهو الثعلبية والاحضار ارتفاع الفرس فى عدوه عن الثعلبية
(٢) العجب أصل الذنب (٣) العطب القطن

وقد أطولت اعراضاً وما بغضهمُ طبي
ولـكن رقيـة الأعين قد تحجز ذا اللب
ورغم الـكاشح الراغـــم فيها أيسر الخطب

ودفع هذه الأبيات الى المغنين فغنوه فيها

قال الأصمعي كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف ولكنه كان فصيحاً وقد أدركته بالطائف وقد كان يطلب القوافى المعتاصة والحوشى من الشعر ، وروى أبو حاتم عن مشايخ الطائفيين وعلمائهم قالوا قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة فاقتسمها شعراء العرب وانتحلتها فدخلت فى أشعارها

شعراء سعد

ابن أبي الزوائد

هو سليمان بن يحيي بن يزيد السعدي من سعد بن بكر بن هوازن ثم من قيس عيلان

شاعر مقل من مخضرمى الدولتين ، وكان يؤم الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قوله وفيه غناء

هل نفسك المستهامة السَّدِمة(١) ساليـــةٌ مرة ومعتزمة
عن ذكر خَوْد قضى لها الملك الـــخالق ألاّ تُـكِنّها ظلمة
كالشمس فى شرقها اذا سفَرت عنها ومثــل المَهاة ملتثمة

(١) السدمة شديدة العشق

ما صور الله حين صورها في سائر الناس مثلها نَسَمة
كل بلاد الاله جئت فما أبصرت شِبْهاً لها وقد علمه
أني من العالمين تشبهها عابسة هكذا ومبتسمة
فتَّانة المقلتين مُخْطَفة الـ أحشاء منها البنان كالعَنَمة
اذا تعاطت شيئاً لتأخذه قلت غزال يعطو الى بَرَمة[1]
يا طيب فيها وطيب قُبْلتها والقرب منها في الليلة الشَّبِمة[2]
ان من اللذة التي بقيت غشيانك الخَوْد من بني سَلِمة
لا تهجر الخَوْد أن يقال بعد سلو وقبل ذاك فمه
آتي مُعِدًّا لها الكلام فما أنطق من هيبة ولا كلمة
أُحب والله أن أزوركمُ وحدى كذا أو أزوركم بلُمَة[3]
هذا الجمال الذي سمعت به سبحان ذي الكبرياء والعظمة
من أبصرت عينه لها شبهاً حلَّ عليه العذاب والنقمة
يا هند يا هند نولى رجلاً وكيف تنويل من سفكت دمه
أو تدركى نفسي فقد هلكت أو ترحميه فمثلك رحمه

كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد ، ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عبيدة عنه فهجره من أجله ، فهجاه فقال

قطع الصفاء ولم أكن أهلاً لذاك أبو عبيدة
لا تحسبنك عاقلا فلأنت أحمق من حميدة

وهي امرأة بالمدينة رعناء يضرب بها المثل في الحمق

(١) البرمة ثمر العضاة وحب العنب اذا كان مثل رءوس الذر (٢) الشبمة الباردة
(٣) اللمة الجماعة

وفد الى بغداد أيام المهدى فاستوخمها ، فقال يتشوق الى المدينة ويخاطب أبا غسان محمد بن يحيى وكان معه نازلا

يا ابن يحيى ماذا بدا لك ماذا ... أمقاما أم قد عزمت الحياذا (١)
فالبراغيث قد تثوّر منها ... سامر ما نلوذ منه ملاذا
فنحك الجلود طوراً فتدمى ... ونحك الصدور والأفخاذا
فسقى الله طيبة الوَبْل سحّا ... وسقى الكَرْخ والصَّراة الرَّذاذا
بلدة لا ترى بها العين يوماً ... شارباً للنبيذ أو نباذا
أو فتى ماجناً يرى اللهو والبا ... طل مجداً أو صاحباً كوّاذا (٢)
هذه الذال فاسمعوها وهاتوا ... شاعراً قال فى الرَّوِيّ على ذا
قالها شاعر لو آن القوافى ... كن صخراً أطارهن جُذاذا

قال ابن داب خرجت أنا وأخى يحيى وابن أبى العلاء ومعنا مصعَب بن عبد الله النوْفلى وثابت والزبير ابنا خُبَيْب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابن أبى الزوائد وابن أبى ذئب متنزهين الى العقِيق وقد سال يومئذ اذ أتانا آت ونحن جلوس ، فسألناه عن الخبر بالمدينة ، فقال ورد كتاب أمير المؤمنين المنصور ألاّ تتزوج منافيَّة الامَنافياً ، قال ابن أبى ذئب إذاً والله لا يخطب قرشى الا من لا يحبها ولا يَرغب الا فيمن لا يُرغب فيها ممن لا فضل له عليها « وكان غير حسن الرأى فى بنى هاشم » وتكلم ابنا خُبَيْب بمثل ذلك ، وقال أحدهما ان نسبنا من بنى عبد مناف قد طال فأدالنا الله منهم ، فغضب مُصْعَب النوفلى ، وكان أحول ، فازدادت عيناه انقلاباً ، فقال أما أنت يا ابن أبى ذئب فوالله ما شرفتك جاهلية ولا رفعك اسلام فيقع فى بال أحد أنك عنِيت بما جرى ، وأما أنتما يا ابنى خُبَيْب فبغضكما لبنى عبد مناف تالد موروث ولا يزال يتجدد كلما ذكرتم قتل الزبير ، وانكم لمن طينتين مختلفتين ، أما

(١) الحياذ التنحى (٢) كوذ فلانا ضربه بالعصا فى دبره

إحداهما فمن صفية «بنت عبدالمطلب وزوج الزبير» وهى الطينة الأبطحية السنية تنزعان اليها اذا نافرتما وتفخران بها اذا افتخرتما ، والأخرى الطينة العوامية التى تعرفانها ، ولو شئت أن أقول لقلت ولكن صفية تحجزنى ، فأحسنا الشكر لمن رفعكما ولا تميلا عليه بمن وضعكما ، فقالا له مهلاً فوالله لقدمنا فى الاسلام أفضل من قديمك ولحظنا فيه بالزبير أفضل من حظك ، فقال مصعب والله ما تفخران فى نسبكما الا بعمتي ولا تفضلان فى دينكما الا بابن عمى صلى الله عليه وسلم ففاخره لي دونكما ، ثم تفرقوا ، فقال ابن أبي الزوائد

لعمركما يا ابني خبيب بن ثابت　　تجاوزتما فى الفخر جهلاً مداكما
وأنكرتما فضل الذين بفضلهم　　سمت بين أيدي الأكرمين يداكما
فانكما لم تعرفا اذ سموتما　　الى العز من آل النبي أباكما
ولم تعرفا الفضل الذى قد فخرتما　　فليس من العوام حقاً أتاكما
فلولا الكرام الغر من آل هاشم　　فلا تجهلا لم تدفعا من رماكما

شعراء سلول

العجير السلولى

هو العُجَير بن عبيدالله بن عبيدة السَّلولى من سَلول بن مرة بن صَعْصَعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة

شاعر مقل اسلامى وجعله محمد بن سلام فى طبقة أبى زبيد الطائى وهى الخامسة من طبقات شعراء الاسلام

كان العُجَير دل عبد الملك بن مروان علي ماء يقال له مطلوب وكان لناس من خَثْعَم فأنشأ يقول

لا نوم الا غِرَار العين ساهرة   ان لم أروع بغيظ أهل مَطْلوب (١)

ان تشتُمونى فقد بدلت أيكتكم   ذَرَق الدجاج بِحَفان اليعاقيب (٢)

قد كنت أخبركم أن سوف تغمرِها   بنو أمية وعدا غير مكذوب

فركب رجل من خَثْعَم يقال له أمية الى عبد الملك حتى دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين انما أراد العُجَير أن يصل اليك وهو شويعر سآل وحربه عليك فكتب الى عامله بأن يشد يدى العجير الى عنقه ثم يبعثه فى الحديد ، فبلغ العجير الخبر فركب فى الليل حتى أتى عبدالملك فقال له يا أمير المؤمنين أنا عندك فاحتبسني وابعث من يُبْصر الأرضين والضياع فان لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمى حِلٌّ فبعث فاتخذ ذلك الماء فكان من خير ضياع بني أمية

هجا العجير قوماً من بني حَنيفة وشتمهم فأقاموا عليه البينة عند نافع بن علقمة الكنانى فأمرهم باحضاره ليقيم عليه الحد وقل لهم ان وجدتموه أنتم فأقيموا عليه

(١) موضع بوادى بيشة (٢) اليعاقيب الحجل وحفانه صغاره

الحد وليكن ذلك فى ملأ يشهدون به لئلا يدعى عليكم تجاوز الحد ، فهرب منهم حتى أتى نافعاً فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد ثم تعلق بثوبه فقال

اليك سبقنا السوط والسجن تحتنا حيال[1] يُسامين الظلام ولُقّح
الى نافع لا نرتجي ما أصابنا تحوم علينا السانحات وتبرح
فان أكُ مجلوداً فكن أنت جالدى وان أكُ مذبوحاً فكن أنت تذبح

فسأله عن المطر وكيف كان أثره فقال

يانافع يا أكرم البرية والله لا أكذبك العشية
انا لقينا سنة قَسِيّة[2] ثم مُطرنا مطرة رَوِية
فنبت البقل ولا رَعِيّة

يعنى ان المواشى هلكت قبل نبات البقل ، فقال له انجُ بنفسك فانى سأرضى خصومك ، ثم بعث اليهم فسألهم الصفح عن حقهم وضمن لهم ألا يعاود هجاءهم

قال هشام بن عبد الملك للعجير أصدقت فيما قلته لابن عمك ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين الا أنى قلت

فتى قُدّ قَدّ السيف لامتضائل ولا رَهِل لَبّاته وبآدله[3]
جميل اذا استقبلته من أمامه وان هو ولى أشعث الرأس جافله[4]
اذا نزل الأضياف كان عذَوّراً[5] على الحى حتى تستقل مراجله
ترى جازريه يُرْعَدان وناره عليها عداميل الهشيم وصامله[6]
يجرّان ثِنْياً[7] خيرها عظم جارة على عينه لم تَعْدُ عنها مشاغله
تركنا أبا الأضياف فى كل شَتْوَة بمر ومرأى كل خصم يجادله
مقيما سلبناه دريس[8] مُفاضة وأبيض هنديا طوالا حمائله

(١) جمع حائل وهى كل أنثى لا تلقح ولقح جمع لاقح (٢) شديدة (٣) البأدلة اللحمة بين المنكب والعنق والرهل المسترخى (٤) جفل الشعر ثار شعثا (٥) العذور السيء الخلق (٦) العداميل القديمة والصامل اليابس (٧) الثنى الولد بعد الولد الاول فالاول بكر والثانى ثنى (٨) الدريس الثوب الخلق والمفاضة الواسعة

فقال هشام هلك والله الرجل

اصطحب العُجَير وشاعر من خُزاعة الى المدينة ، فقصد الخزاعى الحسن بن الحسن بن على عليهم السلام وقصد العجير رجلا من بني عامر بن صعصعة كان قد نال سلطانا ، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعى وكساه ولم يعط العامرى العجير شيئاً فقال العجير

يا ليتنى يوم حزّمت القلوص له ... يممتها هاشمياً غير ممذوق (٢)

محض النّجار من البيت الذى جعلت ... فيه النبوة يجرى غير مسبوق

لا يُمسِك الخير الأريْث يُسأله ... ولا يطاعم عند اللحم فى السوق

فبلغت أبياته الحسن فبعث اليه بصلة الى محلة قومه وقال له قد أتاك حظك وان لم تتصدّ له

مرّ العجير بقوم يشربون فسقوه فلما انتشى قال انحروا جملى وأطعمونا منه فنحروا وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنونه بشعر قاله يومئذ وهو

عللانى انما الدنيا علَل ... واسقيانى عللا بعد نَهَل

وانشُلا ما اغبرّ من قِدريكما ... واصْبَحانى أبعد الله الجمل

أَصْحَب الصاحب ما صاحبني ... وأكُفُّ اللوم عنه والعذل

واذا أتلف شيئاً لم أقل ... ابدا يا صاح ما كان فعل

حج العجير فنظر الى امرأته وكان قد حج بها معه وهى تلحظ فتى من بعد وتكلمه فقال فيها

أيا رب لا تغفر لعثمة ذنبها ... وان لم يعاقبها العُجَير فعاقب

أشارت وعقد الله بينى وبينها ... الى راكب من دونه ألف راكب

حرام عليكِ الحج لا تقربنه ... اذا حان حج المسلمات التوائب

(٢) أى غير مشوب وده بكدر

كان للعجير رفيق يقال له أصبح وكانا يُصيبان الطريق وفيه يقول العجير

ومنخرقٍ عن منكبيه قميصه وعن ساعديه للأخلاء واصل
اذا طالَ بالقوم المطا فى تنوفة وطول السُّري ألفيته غير ناكل
دعوتُ وقد دبَّ الكرى فى عظامه وفى رأسه حتى جرى فى المفاصل
كما دبَّ صافى الخمر فى مخ شارب يَميل بعطفيه عن اللب ذاهل
فلبى ليثنينى بثنيى لسانه ثقيلين من نوم غَلوب غياطل (١)
فقلت له قم فارتحِل ليس ههنا سوى وقفة السارى مناخا لنازل
فقام اهتزاز الرمح يسرو قميصه ويحسر عن عارى الذراعين ناحل

كانت للعجير امرأة يقال لها أم خالد فأسرع فى ماله فأتلفه وكان جواداً ثم جعل يدَّان حتى أثقل بالدين ومد يده الى مالها فمنعته منه وعاتبته على فعله فقال في ذلك

تقول وقد غالبتها أم جعفر على مالها أغرقت دَيْناً فأقصر
أبى القصر من يأوِى اذا الليل جنى الى ضوء نارى من فقير ومقتِر
أيا موقدَىْ نارى ارفعاها لعلها تشب لمقْوٍ آخر الليل مقفر
أمِنْ راكب أمسى بظهر تنُوفة أواريك أم من جارى المتنظر
ولا قِدْر دون الجار الا ذميمة وهذا القاسى ليلةً ذاتَ منكر
تكاد الصَّبا تبتزُّه من ثيابه على الرجل الا من قميص ومئزر
وماذا علينا أن يخالس ضوءها كريم ثناه شاحب المتحسَّر (٢)
فيخبرنا عما قليل ولو خلت له القِدْر لم نعجب ولم نتخبر
سلى (٣) الطارق المعترَّ يا أم مالك اذا ما أتانى بين قِدْرى ومَجْزَرى
أأبسط وجهى انه أول القرى وأبذُل معروفى له دون منكرى
فلاقصر حتى يفرُجَ الغيثُ من أوي الى جنب رحلى كل أشعثَ أغبر

(١) الغيطلة غلبة النعاس (٢) ما انكشف وتجرد من جسمه (٣) يرويها بعض الناس لعروة بن الورد وهى للعجير

أقى العرض بالمال التلاد وما عسى أخوك اذا ماضيع العرض يشترى
يؤدى الىَّ النيل قنيان[1] ماجد كريم ومالى سارحا مالُ مقتر
اذا مت يوماً فاحضرى أم خالد تُراثك من طرْف وسيف وأقْدُر

وفد العجير على عبد الملك بن مروان فأقام ببابه شهراً لا يصل اليه لشغل عرض لعبد الملك ثم وصل اليه فلما مثَل بين يديه أنشد

ألا تلك أم الهبْرِزِىّ تبينت عظامى ومنها ناصل وكسير
وقالت تضاءلت الغداة ومن يكن فتى قبل عام الماء فهو كبير
فقلت لها ان العُجَير تقلبت به أبطن أبْلَينه وظهور
فمنهن ادلاجى على كل كوكب له من عُمانى النجوم نظير
وقرْعى بكفى باب ملْك كأنما به القوم يرجُون الأذين نسور
ويومَ تبارى ألسن القوم فيهمُ وللموت أرحاء بهن تدور
لو آن الجبال الصُّمَّ يسمعن وقعها لعدن وقد بانت بهن فُطور[2]
فَرُحت جواداً والجواد مثابر على جريه ذو علة ويسير

فقال له يا عُجَير ما مدحت الا نفسك ولكنا نعطيك لطول مقامك وأمر له بمائة من الابل يُعطاها من صدقات بني عامر فكتب له بها

ومن قول العجير

وما لبس الناس من حلة جديد ولا خلَقا يرتدى
كمثل المروءة للابسين فدعْنى من المُطْرف المستدَى
فليس يغير فضل الكريم خلوقات أثوابه والبِلَى
وليس يغير طبع اللئيم مطارف خزّ رِقاق السّدى
يجود الكريم على كل حال ويكبو اللئيم اذا ما جرى

(١) ما اقتنى من المال يقول انه لبذله القرى كأنه موسر واذا سرح ماله علم أنه مقتر
(٢) شقوق

كان للعجير ولد اسمه الفرزدق وله يقول

ولقد وضعتك غير متّرك   من جابر فى بيتها الضخم
واخترت أمك من نسائهمُ   وأبوك كل عذوّر شهم
فلئن كذبت المنح من مائة   فلتقتلن بسائغ وخم
ان الندى والفضـل غايتنا   ونجاتنا وطريق من يحمي

وقف العجير لبعض الأمراء وقد علق به غريم من أهله فقال له

أتيتك ان الباهلى يسوقني   بدَيْن ومطلوب الديون رقيق
ثلاثتنا ان يسر الله فائزٌ   بأجر ومعطٍ حقّه وعتيق

فأمر بقضاء دينه

هوى العجير بنت عم له ، فخطبها الى أبيها ، فوعده وقاربه ، ثم خطبها رجل من بنى عامر موسر ، فخيرها أبوها بينه وبين العجير ، فاختارت العامرى ليساره ، فقال العجير فى ذلك

ألما على دار لزينب قد أتى   لها باللوى ذى المرج صَيف ومَرْبَع
وقولا لها قد طال ما لم تـكلمى   وراءك بالغيب الفؤاد المروع
وقولا لها قال العجير وخصني   اليك وارسال الخليلين ينفع
أأنت الذى استودعتك السر فانتحى   بك الخوْن(١) مزّاح من القوم أفرَع
اذا مت كان الناس نصفين شامت   ومثن بما قد كنت أُسْدِي وأصنع
ولـكن ستبكيني خطوب ومجالس   وشُعْث اهينوا فى المجالس جوَّع
ومستلحم(٢) قد صكه القوم صكّة   بعيدَ الموالي نيلَ ما كان يمنع
رددت له ما فرّط القيل بالضحى   وبالأمس حتى آبنا وهو أضلع(٣)

(١) الخون الخيانة والافرع ضد الاصلع (٢) المستلحم المستلحق فى القرابة والجوار وصكه ضربه (٣) الاضلع المطيق للشىء القائم به وآبنا رجع الينا

ولست بمولاه ولا بابن عمه ... ولـكن متى ما أملك النفع أنفع

كان العجير يتحدث الى امرأة من بني عامر يقال لها جُمْل فألفها وعلِقها ثم انتجع أهلها نواحي نَصيبين ، فتبعتها نفسه ، فسار اليهم فنزل فيهم مجاوراً ، ثم رأوه ملازماً محادثة تلك المرأة ، فنهوه عنها وقالوا قد رابنا أمرك فاما ان انقطعت عنها أو ارتحلت عنا أو فأذن بحرب ، فقال ما بيني وبينها ما ينكر ، وانما كنت أتحدث اليها كما يتحدث الرجل الكريم الى المرأة الحرة الكريمة فأما الريبة فحاش لله منها ، ثم عاود محادثتها ، فانتهبوا ماله وطردوه ، فأتى محمد بن مروان وهو يومئذ يتولى الجزيرة لأخيه عبد الملك ، فأتاه مستعدياً على بنى عامر وعلى الذى أخذ ماله خصوصية وهو رجل من بنى كلاب يقال له ابن عامر فأنشده

عفا يافع من أهله فطلوب ... وأقفر لو كان الفؤاد يثوب
وقفت بها من بعد ما حل أهلها ... نصيبين والراق الدموع طبيب
وقد لاح معروف القتير[1] وقد بدت ... بك اليوم من ريب الزمان نُدُوب
وسالمتَ رَوْحاتِ المطى وأحمدت ... مناسم منها تشتكى وصُلُوب
وما القلب أم ما ذكره أم صبية ... أُرَيكة منها مسكن فهَرُوب
حَصان الحميا حُرَّة حال دونها ... حليل لها شاكي السلاح غضوب
شَموس دنو الفرْقرين اقترابها ... لغيَّ مقاريف[2] الرجال سَبوب
أحقاً عباد الله أن لست ناظراً ... الى وجهها الا عليَّ رقيب
عدتني العدى عنها بعيد تساعف ... وما أرتجى منها اليَّ قريب
لقد أحسنت جُمْل لو آن تَبيعها ... اذا ما أرادت أن تُثيب تثيب
تَصَدُّين حتى يذهب اليأس بالمنى ... وحتى تكادَ النفس عنك تطيب

(١) القتير أول ما يظهر من الشيب
(٢) جمع مقرف وهو النذل

هذا البيت يروى لابن الدمينة وهو بشعره أشبه ولا يشكل هذا المعنى ولا هو من طريقه لأنه تشكى في سائر الشعر قومها دونها ، وهذا بيت يصف فيه الصد منها

وأنت التي لو كنت تستأ نفيننا   بخير ولكن مُعْتَماك جَدِيب
أيُؤْكل مالي وابن مَرْوَان شاهد   ولم يقض لي وابن الحسام قريب
فتى مَحْض أطراف العروق مُساوِر   حبال العلى طَلْق اليدين وَهوب

فأمر محمد بن مروان باحضار ابن الحسام الكلابي فأحضر ، فحبسه حتى رد مال العجير ، وأمر العجير بالانصراف الى حيه وترك النزول على المرأة أو في قومها.

وقال العجير فيها أيضاً

هاتيك جُمْل بأرض لا يقربها   الا هِبلّ (١) من العِيدِيّ معتقِد
ودونها معشر خُزْر عيونهمُ   لو تَخْمُد النار من حر لما خمدوا
عدوا علينا ذنوباً فى زيارتها   ليحجبوها وفى أخلاقهم نكد
وحال من دونها شَكْس خلائقه   كأنه نَمِر فى جلده الرُّبَد (٢)
فليس الا عويل كلما ذكرت   أو زفرة طالما أنّت بها الكبد
وتيمتني جُمْل فاستمر بها   شَحْط من الدار لا أَمْم ولا صدَد
قالوا غداةَ استقلّت ما لمقلته   أمن قذًى همَلت أم عارها رمَدُ
فقلت لا بل غدت سلمى لطيّتها   فليتهم مثل وجدي بكرة وجدوا
ان كان وصلك أبلى الدهر جدّته   وكل شيء جديدٍ هالكٌ نَفَد
فقد أُراني ووجدي اذ تفارقني   يوماً كوجد عجوز درعها قِدَد
تبكي على بطل حُمّت منيته   وكان واتر أعداء به ابتردوا

(١) الهبل الضخم المسن من الابل والمعتقد الشديد الصلب والعيدى نسبة الى العيد وهو فحل معروف تنسب اليه النجائب الجيدة (٢) الربدة الغبرة والجمع ربد

وقد خلا زمن لو تَضرِمين له وصلي لأيقنت أني ميت كمِدِ
أزمان تعجبني جُمْل وأكتمه جملا حياء وما وجد كما أجدِ
فقد برئت على أني اذا ذكرت ينهلُّ دمعي وتحيا غُصَّةٌ تلَدَ
من عهد سلمى التي هام الفؤاد بها أزمانَ أزمانَ سلمى طفله رُوُدُ
قد قلت للكاشح المبدى عداوته قد طالما كان منك الغش والحسد
الا تبين لي لا زلت تبغضني حتّام أنت اذا ماساعفت ضَمِدِ (١)
وقد ترى غير ذى شك وتعلمه أن ايس لى اذ نأت صبر ولا جَلَد

قال عبد الملك لمؤدب ولده اذا رويتهم شعراً فلا تروهم الا مثل قول العجير السلولي

يَبِين الجارُ حين يبين عنى ولم تأنس إليَّ كلاب جارى
وتَظْعَنُ جارتى من جنب بيتي ولم تستر بستر من جدار
وتأمن أن أطالع حين آتى عليها وهي واضعة الخِمار
كذلك هَدْىُ آبائى قديماً توارثه النِّجار عن النجار
فهَدْيِى هديهم وهم افتلَوني كما افتُلي (٢) العتيق من المهار

كان ابن عم للعجير اذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوماء فيطعن فى لبتها عند بيته فيبيتون في شواء وقدر ثم مات ، فقال العجير يرثيه

تركنا أبا الأضياف فى ليلة الصّبا بمر ومِرْدَى كل خصم يجادله
وأرعيه سمعى كلما ذكر الأسى وفى الصدر منى لوعة ما تزايله
وكنت أعير الدمعَ قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله

---

(١) ضمد على فلان حقد (٢) فلا الغلام وافتلاه رباه

شعراء سليم

الجحاف بن حكيم

هو الجحّاف بن حكيم بن عاصم من بُهثَة بن سليم بن منصور

يوم البِشْر [١]

لما قتلت بنو تغلِبُ عُمير بن الحُباب السلمى بالحَشّاك [٢] أتى أخوه تميم بن الحباب زُفَر بن الحرث فأخبره بمقتل عمير وسأله الطلب له بثاره ، فكره ذلك زفر ، فسار تميم بمن تبعه من قيس وتابعه على ذلك مسلم بن أبى ربيعة العقيلى ، فلما توجهوا نحو تغلب لقيهم الهذيل ، فقال أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ، فقال أمهلونى ألقَ الشيخ ، فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر فقال ما صنعت ؟ والله لئن ظفِر بهذه العصابة انه لعار ولئن ظفِرُوا انه لأشد ، قال زفر فاحبس عليَّ القوم ، وقام زفر فى أصحابه فحرضهم ، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أَوْساً ، وسار حتى انتهى الى الثرثار [٣] فدفعوا أصحابه ، ثم وجه زفر يزيد بن حُمران فى خيل فأساء الى بنى فَدَوْكَس من تغلب فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق فى ذلك الجو غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرئ القيس ، عاذت بابن حمران فأعاذها ، وبعث الهذيل الى بنى كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وبعث مسلم بن أبى ربيعة الى ناحية أخرى فأسرع فى القتل ، وبلغ ذلك بنى تغلب والنمِر ، فارتحلوا يريدون عبور دِجلة ، فلحقهم زُفر بالكُحَيْل [٤] مع المغرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً

---

(١) هو جبل يمتد من عرض الى الفرات من أرض الشام من جهة البادية

(٢) واد بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات (٣) واد عظيم بالجزيرة

(٤) نهر أسفل الموصل

وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقى زفر على بغل له ، فقتلوهم ليلتهم وبقروا ما وجدوا من النساء ، وذكر أن من غرق فى دجلة أكثر ممن قتل بالسيف وأن الدم كان فى دجلة قريباً من رَمْية سهم ، فلم يزالوا يقتلون من وجدوا حتى أصبحوا فذكروا أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بحة ، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قتل ، فتذامروا وقالوا لئن قتل شيخنا لما صنعنا شيئاً ، فاتبعوه فاذا هو فى دجلة يصيح بالناس وتغلب قد رمت بأنفسها تعبُر بالماء ، فخرج من الماء وأقام فى موضعه ، فهذه الواقعة الحرَجيّة لانهم أحرجوا فألقوا أنفسهم فى الماء ، ثم وجه يزيد بن حُمْران وتميم بن الحُباب ومسلم بن ربيعة والهُذَيل بن زفر فى أصحابه وأمرهم ألاّ يلقوْا أحداً الا قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبل الشمال حتى أتى رأس الأثيل ولم يخل بالكُحَيْل أحداً ، فصعد قبل رأس الأثيل فوجد به عسكراً من اليمن وتغلب فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلب وصبرت اليمن « وهذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهرير » ففى ذلك يقول زفر

ولما أن نعى الناعى عميراً حسبت سماءهم دهيت بليل[1]
وكان النجم يطلع في قَتام وخاف الذل من يمنى سُهَيل
وكنت قبيلها ياأم عمرو أُرَجّل لمتى وأجرّ ذيلى
فلو نُبش المقابر عن عمير فيخبر عن بلاء أبى الهُذَيل
غداة يقارع الأبطال حتى جرى منهم دماً مَرْج الكُحَيْل
قبيل ينهدون الى قبيل تَساقى الموت كيلاً بعد كيل

فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين وقتل عبد الله بن الزُّبير هدأت الفتنة واجتمع على عبد الملك بن مَرْوان وتكافّتْ قيس وتغلب عن المغازى بالشام والجزيرة وظن

(١) أى أظلمت نهاراً كأن ليلا دهاها

كل واحد من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه وتكلم عبد الملك في ذلك ولم يُحكم الصلح ، فبينما هم على تلك الحال اذ أنشد الأخطل عبد الملك بن مرْوَان وعنده وجوه قيس قوله

ألا سائل الجحَّاف هل هو ثائر بقتلي أُصيبت من سُلَيم وعامر
أجحَّافُ أن نهبط عليك فتلتق عليك بحور طاميات زواخر
تكن مثل أبداء الحباب الذي جري به البحر تزْهاه الرياح الصراصر

فوثب الجحاف يجر مطرفه وما يعلم من الغضب وهو يقول

نعم سوف نبكيهم بكل مهنَّد ونبكي عميرا بالرماح الخواطر

وقام فجمع جموعاً من قيس فأغاروا على تغلب في مسا كنهم فقتلوهم ومثلوا بهم وذلك يوم البشر الذي يقول فيه الأخطل

لقد أوقع الجحَّاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول

ثم ان الجحاف هرب بعد فعلته ولحق بالروم وقال في ذلك

فان تطردوني تطردوني وقد مضى من الورْد يوم في دماء الأراقم
لدن ذرَّ قرْن الشمس حتى تلبست ظلاماً بركض المقْربات الصَّلادم

ثم كلمت القيسية عبد الملك في الجحاف فأمنه فلما قدم لقيه الأخطل فقال له الجحاف

أبا مالك هل لمتني اذ حضضتني على القتل أم هل لامني لك لائم
أبا مالك اني أطعتك في التي حضضت عليها فعل حرَّان حازم
فان تدْعني أخرى أجبك بمثلها واني لطَبّ بلوغي جدُّ عالم

ولما دخل على عبد الملك قال له أنشدني بعض ما قلت في غزوتك هذه وفجرتك فأنشده

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا يوم اللقاء وان عُلُوا لم يضجروا

فقال عبد الملك صدقت

ورأى عبد الملك أنه ان تركهم على حالهم لم يحكم الأمر ، فأمر الوليد ابنه فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب وضَمّن الجحاف قتلى البِشْر وألزمه إياها عقوبة له ، فأدى الوليد الحمالات ولم يكن عند الجحاف ما حُمِّل ، فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حمل لأنه من هوازن ، فسأل الاذن على الحجاج فمنعه فلقى أسماء بن خارجة فعصب حاجته به ، فقال انى لا أقدر لك على منفعة قد علم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك ، فقال لا والله لا ألزمها غيرك أنجحت أو أكدت ، فلما بلغ ذلك الحجاج قال ماله عندى شيء ، فأبلغه ذلك ، قال وما علمك أن تكون أنت الذى تؤيسه فانه قد أبى ، فأذن له ، فلما رآه قال أعهدتني خائناً لا أبالك ؟ قال أنت سيد هوازن وقد بدأنا بك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وعُمالتك في كل سنة خمسمائة الف درهم وما بك بعدها الى خيانة فقر ، فقال أشهد أن الله تعالى وفقك انك نظرت بنور الله ، فاذا صدقت فلك نصفها العام ، فأعطاه وأدّوا البقية ، ثم تأله الجحاف بعد ذلك واستأذن فى الحج فأذن له فخرج فى المشيخة الذين شهدوا معه قد لبسوا الصوف وأحرموا وأبْرَوا[1] أنوفهم ومشوا الي مكة ، فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون اليهم ويعجبون منهم ، وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول « اللهم اغفرلى وما أراك تفعل » فقال له ابن عمر ياهذا لو كنت الجحاف مازدت على هذا القول ، قال فانا الجحاف ، فسكت ، وسمعه محمد بن على بن ابى طالب عليه السلام وهو يقول ذلك فقال ياعبد الله قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك

---

(١) خرموها وجعلوا فيها البرى جمع برة وهى الحلقة فى أنف البعير

ومن شعره وفيه غناء

لله درّ عصابة صاحبتهم يوم الرصافة مثلهم لم يوجد
متقلدين صفائحا هندية يتركن من ضربوا كأن لم يولد
وغدا الرجال الثائرون كأنما أبصارهم قطع الحديد الموقد

أبو وجزة السعدى

هو يزيد بن عبيد من بهثة بن سُلَيم بن منصور ونسب الى بنى سعد بن بكر ابن هوازن لولائه فيهم ، لحق أباه وهو صبي سِباء فى الجاهلية فبيع بسوق ذى المجاز ابتاعه رجل من بني سعد واستعبده فلما كبر استعدى عمر رضى الله عنه وأعلمه قصته فقال انه لا سِباء على عربى وهذا الرجل قد امتنَّ عليك فان شئت فأقم عنده وان شئت فالحق بقومك ، فأقام في بني سعد وانتسب اليهم وتزوج زينب بنت عرفطة المزنية فولدت له أبا وَجْزة وأخاه عبيدة ، فلما بلغ ابناه طالباه بأن يلحق بأصله وينتمي الى قومه من بني سليم ، فقال لا أفعل ولا ألحق بهم فيعيرونى كل يوم ويدفعونى وأترك قوماً يكرمونى ويشرفونى فوالله لئن ذهبت الي بني ظفر لا أرعى طُمّة ولا أرد جُمّة الا قالوا لي يا عبد بنى سعد

وكان أبو وجزة من التابعين وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ولم يسند اليه حديثاً ولكنه حدث عن أبيه بحديث الاستسقاء ، قال شهدت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسق عام الرّمادة فقام وقام الناس خلفه ، فجعل يستغفر الله رافعاً صوته لا يزيد على ذلك ، فقلت فى نفسى ماله لا يأخذ فيما جاء له ؟ ولم أعلم ان الاستغفار هو الاستسقاء ، فما برحنا حتى نشأت سحابة وأظلتنا ، فسقى النــاس وقلدتنا السماء قلداً كل خمس عشرة ليلة حتى رأينا الارنبة تأكلها صغار الابل

من وراء حقاق العرفط[1] وفى رواية ان عمر قال فى آخر كلامه اللهم انى عجزت وما عندك أوسع لهم ، ثم أخذ بيد العباس رضى الله عنه ثم قال وهذا عم نبيك ونحن نتوسل اليك به ، وهو أحد من شبب بعجوز حيث يقول

يأيها الرجل الموكل بالصبا ... فيم ابن سبعين المعمر من دد[2]
حتام أنت موكل بقديمة ... أمست تجدد كليماني الجيد
زان الجلال كمالها ورسا بها ... عقل وفضلة وشيمة سيد
ضنت بنائلها عليك وأنتما ... غران فى طلب الشباب الأغيد
فالآن ترجو أن تثيبك نائلا ... هيهات نائلها مكان الفرقد

خرج أبو وجزة وأبو زيد الأسلمى بريدان المدينة وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير وامتدح ابو زيد ابراهيم بن هشام المخزومى ، فقال له أبو وجزة هل لك فى أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير وتشاركنى فيما تصيب من ابراهيم ، فقال كلا والله لرجائى فى الأمير أعظم من رجائك فى آل الزبير فقدما المدينة فأتى ابو زيد دار ابراهيم فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجاب فأمر به ابراهيم فأخرج وضرب وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم فكتبوا له الى مال لهم بالفرع[3] أن يعطى منه ستين وسقا من التمر فقال أبو وجزة

راحت قلوصى رواحا وهى حامدة ... آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا
راحت بستين وسقا فى حقيبتها ... ماحملت حملها الأدنى ولا السددا[4]
ذاك القرى لا كأقوام عهدتهم ... يقرون ضيفهم الملوية الجددا

كان أبو وجزة قد جاور مزينة وانتجع بلادهم لصهره فيهم فنزل على عمرو ابن زياد المزنى فأحسن جواره وأكرم مثواه فقال يمدحه

---

(١) حقاق العرفط نبات سنتين وثلاث
(٢) الدد اللهو (٣) قرية من نواحى الربذة من يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة (٤) أعنى أنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين وسقا فلم تتعب ناقته في حملها

لمن دِمْنة بالنَّعف عافٍ صعيدها ... تغير باقيها ومَحَّ[1] جديدها
لسُعْدَة من عام الهزيمة اذ بنا ... تصافٍ واذ لما يَرُعْنا صدودها
واذ هي أما نفسها فأريبة ... للهو وأما عن صباً فنذودها
تَصيد ألباب الرجال بدلَّها ... وشيمتها وحشية لا نصيدها
كباسقة الوَسْميّ ساعة أسبلت ... تلألأ فيها البرق وابيض جيدها
كبِكر تراعى فرقدين بقفرة ... من الرمل أو فيحان لم يعسَ[2] عودها
لعمرو الندى عمرو بن آل مُكَدَّم ... وعمرو فتى عثمان طرًّا وسيدها
حليم اذا ما الجهل أفرط ذا النهى ... على أمره حامى الحصاة شديدها
وما زال ينحو فعل من كان قبله ... من آبائه يجنى العلا ويُفيدها
فكم من خليل قد وصلت وطارق ... وقربت من أدماء وارٍ قصيدها
وذى كربة فرجت كربة همه ... وقد ظل مُسْتدًا عليه وصيدها

قدم أبو وجزة على عبدالله بن الحسن واخوته وقد أصابت قومه سَنَةٌ مُجْدِبة فأنشده قوله يمدحه

أُثني على ابني رسول الله أفضل ما ... أثني به أحد يوماً على أحد
السيدين الكريمين كل منصرف ... من والدين ومن صهر ومن ولد
ذريةٌ بعضها من بعضها عمرت ... فى أصل مجد رفيع السَّمْك والعمَد
ماذا بني لهمُ من صالح حَسَنٌ ... وحَسَنٌ وعلى وابننوا لغد
فكرم الله ذاك البيت تكرمة ... تبق وتخلد فيه آخر الأبد
ثم السدى والندى مافى قناتهم ... اذا تعوجت العيدان من أودَ
مهذبون هجان امهاتهمُ ... اذا نسبن زُلال البارق البرِد
بين الفواطم ماذا ثم من كرم ... الى العواتك مجد غير منتقد
ما ينتهى المجد الا في بني حسن ... وما لهم دونه من دار ملتحد

(١) مح بلى (٢) عسى النبات غلظ وصلب وفيحان واد فى بلاد بنى أسد والفرقد ولد البقرة

فأمروا له بمائة وخمسين ديناراً وأوقروا له رواحله براً وتمراً وكسوه ثوبين

ذدب مروان بن محمد عبد الملك بن يزيد السعدى لقتال ابى حمزة الأزدى الشارى وكان فيمن فرض له عبد الملك أبو وجزة فخرج معترضاً للعسكر على فرس وهو يرتجز

قل لأبى حمزة هيد هيد[1] أتاك بالعادية التمديد
بالبطل القرم أبى الوليد فارس قيس نجدها[2] المعمود
فى خيل قيس والكماة الصيد كالسيف قد سلّ من الغمود
محض هجان ماجد الجدود فى الفرع من قيس وفى العمود
فدًى لعبد الملك الحميد مالى من الطارف والتليد
يوم تنادى الخيلُ باصعيد كأنه فى جُنَن الحديد
سيدٌ مُذِلٌّ عزّ كل سيد

وفى عبد الملك يقول أبو وجزة

حن الفؤاد الى سُعْدَى ولم تُتِب فيم الكثير من التحنان والطرب
قالت سعاد أرى من شيبه عجباً مهلا سُعاد فما فى الشيب من عجب
إمّا تريْنى كسانى الدهر شيبته فان ما مر منه عنك لم يغب
سقْيا لسعدى على شيب أم بنا وقبل ذلك حين الرأس لم يشب
كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت صوب الثريا بماء الكرم من حلب

يقول فيها

أهدى قلاصا نماجيجا أضرَّ بها نَصُّ الوَجيف وتقحيم من العقب
يقصدن سيد قيس وابن سيدها والفارس العدّ منهاغ ذى الكذب
محمد وأبوه وابنه صنعوا له صنائع من مجد ومن حسب

(١) اذا أراد الحادى الحداء قال هيد هيد ثم زجل بصوته (٢) رجل نجد فى الحاجة اذا كان ناجياً فيها سريعاً

انى مدحتهم لما رأيت لهم فضلا على غيرهم من سائر العرب
الا تُثبنى به لا يَجزنى أحد ومن يثيب اذا ما أنت لم تثب

ومن مختار مقصورته في مدح عبد الملك

حتى اذا هجدوا ألم خيالها سراً ألا بلمامه كان المنى
طرقت بريّا روضة من عالج وسَنمِيَّة عَذُبت وبيتها الندى
يا أم شيبة أى ساعة مطرق نهتنا أبن المدينة من بدا(١)
انى متى أقض اللُبانة أجتهد ءَ قَ العتاق الناجيات على الوجا
حتى أزورك ان تيسر طائرى وسلمت من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول

فلامدحن بني عطية كلهم مدحاً يوافى فى المواسم والقُرى
الأكرمين أوائلا وأواخرا والأحلمين اذا تحوجت الحُبى
والمانعين من المضيمة جارهم والجامعين الراقعين لما وهى
والعاطفين على الضريك بفضلهم والسابقين الى المكارم من سعى

وكان عبدالله بن عروة بن الزبير يُفضِل على أبي وجزة ويقوم بأمره ثم اطرحه لأمر بلغه عنه ولم يزل مطرحا له حتى قال

آل الزبير بنو حرة مَرَوْا بالسيوف صدوراً حنافا
سل الجرد عنهم وأيامها اذا امتعطوا(٢) المرهفات اخفافا
يموتون والقتل داء لهم ويَصلَون يوم الثياف السيافا
اذا فرج القتل عن عيصهم أبى ذلك العيص الا التفافا
مطاعيم تحمد أبياتهم اذا قنع الشاهقات الضحاف(٣)
وأجبن من صافر كلبهم اذا ورعته حصاة أصافا

فلما أنشد هذا الشعر رضى عنه وعاد الي ما كان عليه

---

(١) بدا بوادى عذرة قرب الشام (٢) امتعطوا سلوا (٣) الضحاف قطع من الغيم

شعراء عامر

حميد بن ثور

هو حميد بن ثور بن عبد الله الهلالي من هلال بن عامر بن صَعْصَعة ، من شعراء الاسلام وقرنه ابن سلام بنَهْشَل بن جرى وأوس بن مغراء ، وقد أدرك حميد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال الشعر فى أيامه ، وقد أدرك الجاهلية أيضاً

ومن شعره

وما هاج هذا الشوقَ الا حمامة ... دعت ساق(١) حُرٍّ تَرْحة وترنما
اذا شئت غنتنى بأجزاع بيشةَ ... أو النخل من تَثْلِيث أو بيلَمْلَما
مطوَّقة خَطْباء تسجع كُلما ... دنا الصيف وانجال(٢) الربيع فأنجما
مُحَلاة طوق لم يكن من تميمة(٣) ... ولا ضرب صوَّاغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عِشاء فلم تدَع ... لنائحة فى شجوها متلوما
اذا حركته الريح أو مال ميلة ... تغنت عليه مائلاً ومقوَّما
عجبت لها أنَّى يكون غناؤها ... فصيحاً ولم تَفْغَرْ(٤) بمنطقها فما
فلم أرَ مثلي شاقه صوت مثلها ... ولا عربياً شاقه صوت أعجما(٥)

تقدم عمر بن الخطاب الى الشعراء ألا يشبب احد بامرأة الا جلده فقال حميد

أبى الله الا أن سَرْحة مالك ... على كل أفنان العِضاه تروق
فقد ذهبت عَرْضاً وما فوق طولها ... من السَّرْح الا عشة وسحوق
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ... ولا الفيء من بعد العشى تذوق

(١) يحكي صوتها (٢) انجال عنا أى أقلع ومثل ذلك أنجم (٣) التميمة المداذة
(٤) لم تفتح (٥) يقول لم أفهم ما قالت ولكن استحسنت صوتها واستحزنته فحنت له

وهي قصيدة طويلة أولها

نأت أمّ عمرو فالفؤاد مشوق ... يحن اليها والهاً ويتوق

وفيها مما يغني فيه

سقى السَّرحة المحلال والأبرق الذى ... به السَّرح غيث دائم وبروق
فهل أنا ان عللت نفسى بسرحة ... من السرح موجود على طريق

وفد حميد على بعض خلفاء بني أمية فقال له ما جاء بك ؟ فقال

أتانى بك الله الذى فوق من ترى ... وخير ومعروف عليك دليل
ومطوية الأقراب أما نهارها ... فنصّ وأما ليلها فذميـــــل
ويطوي عليَّ الليل حضينه انني ... لذاك اذا هاب الرجال فعول

وصف القطاة

اجتمع العُجَيْر السلولي وأوس بن غلفاء الهُجَيْمى ومزاحم العقيلى والعباس بن يزيد بن الأسود الكندى وحميد بن ثور الهلالي فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه ومرَّ بهم سرب قَطا ، فقال أحدهم تعالَوْا حتى نصف القطا ثم نتحاكم الى من نتراضى به فأينا كان أحسن وصفاً لها غلب أصحابه ، فتراهنوا على ذلك

فقال عُلَيل بن الحجاج الهُجَيمى

أما القَطاة فانى سوف أنعتها ... نعتاً يوافق منها بعض ما فيها
سَكَّاء مخطومة فى ريشها طَرَق ... سود قوادمها صُفر خوافيها (١)
تنتاش صفراً بأفحوص بقُنّتها ... يكاد يأزي على الدُّعموص آزيها (٢)

---

(١) السكك قصر الاذن وصغرها وهو أسك وهى سكاء والطرق فى الريش أن يكون بعضها فوق بعض (٢) تنتاش تتناول بقية الماء والافحوص مجثم القطاة وهو الموضع الذى تفحص التراب عنه لتبيض فيه ويأزى يقل والدعموص الصغير من الضفادع

تسقى رَذِيَّين بالموماة قوتهما ... فى ثغرة النحر من أعلى تراقيها (١)
كأن مجلوزة قدام جؤجؤها ... أو جرو حنظلة لم يَعْدُ واعيها (٢)
تشتقّ فى حيث لم تَنْفُذ مُصعِّدة ... ولم تُصوّب الى أدنى مهاويها (٣)
حتى اذا استأنسا للوقت واحتضرت ... توجسا الوحى منها عند غاشيها (٤)
فرفعا من شئون غير ذا كية ... على لَدِيدَيْ أعالي المهد ألْحيها (٥)
مدا اليها بأفواه مزينة ... صُعْراً ليستنزلاها الرزق من فيها (٦)
كأنها حين مداها لجنأتها ... طَلَى بواطنها بالوَرْس طاليها (٧)
حَثْلين رَضّا رُفاض القَيْض عن زَغَب ... وُرْق أسافلها بيض أعاليها (٨)
ترأدا حين قاما ثمت اختطيا ... على نحائف مُنْآد محانيها (٩)
تكاد من لينها تنآد أَسْوُقها ... تأوُّد الرِّبْل لم تَعْرَم نواميها (١٠)
لاأشتكي نَوْشة (١١) الأيام من ورق ... الا الى من أرى أن سوف يُشكيها
ادلهم (١٢) مأثرات قد عددن له ... ان المآثر معدود مساعيها
تنمى به من بني لأى دعائمها ... ومن جُبانة (١٣) لم تخضع سواريها
بنى له فى بيوت المجد والده ... وليس من ليس يبنيها كبانيها

---

(١) الردى الساقط من الضعف يريد فرخيها (٢) الجؤجؤ الصدر وجرو الحنظل صغاره ولم يعد من العداء أى لم يعد عليها فيكسرها (٣) اشتق الطريق فى الفلاة مضى فيها
(٤) توجسا تسمعا وحيها وسرعة طيرانها وغاشيها أى حين تغشاهما وتنتهى اليهما
(٥) الذاكية الشديدة الحركة ولديداه جانباه والالحى جمع اللحى بالفتح وهو عظم الحنك الذى عليه الاسنان (٦) الصعر جمع الاصعر وهو ما فيه صعر أى ميل الى أحد الجانبين
(٧) لجنأتها أى جنأت عليها بصدرها لتزقهما ومعنى جنأت أكبت (٨) حثلين دقيقين ضاويين ورضا كسرا والرفاض ما ارفض وتفرق والقيض القشرة العليا اليابسة على البيضة
(٩) ترأدا تثنيا واختطيا دنوا ومنآد منعطف ومحانيها حيث انحنت (١٠) الربل ضرب من الشجر ينفطر آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر ، وتعرم تشتد ونواميها أعاليها
(١١) النوشة التناول (١٢) هو ممدوحه من بنى لأى ثم من بنى الهجيم
(١٣) هو جبانة بن جرير وهو أخ لدلهم

وقال حميد أبياتاً وصف ناقته فيها ، ثم خرج الى صفة القطاة فقال

كما انقبضت كدراء تسقى فراخها ... بشمظة رِفْها والمياهُ شُعوب (١)
غدت لم تصعَّد فى السماء ودونها ... اذا ماعلت أُهْوِيَّة ولُهوب (٢)
قرينة سبع ان تواترن مرة ... ضربن فصفَّت أروس وجُنوب (٣)
فجاءت وما جاء القطا ثم قلَّصت (٤) ... بمفحصها والواردات تنوب
وجاءت ومسقاها الذى وردت به ... الى الصدر مسرود العظام كتيب (٥)
تبادر أطفالا مساكين دونها ... بلالا تخطاه العيون رغيب
وصفن لها مُزْناً بأرض تنوفة ... فما هى الا نَهْلة وتؤب

وقال العباس بن يزيد بن الأسود

حذَّاء مدبرة سكَّاء مقبلة ... للماء فى النحر منها نوْطة عجب (٦)
تسقى أُزيغب تُرْوِيه مُجاجتها ... وذاك من ظمأةٍ من ظِمئها شَرَب (٧)
مُنْهرت الشدق لم تنبت قوادمه ... فى حاجب العين من تسبيده زَبَب (٨)
تدعو القطا بقصير الخطو ليس له ... قدام منحرها ريش ولا زَغب
تدعو القطا وبه تدعى اذا انتسبت ... يا صدقها حين تدعوه وتنتسب

وقال مزاحم العقيلى

اذاك أم كُدْرية هاج وِرْدَها ... من القيظ يوم واقد (٩) وسموم

---

(١) انقبضت انقضت وشمظة موضع والرفه بالكسر أقصر الورد وأسرعه
(٢) الاهوية الوهدة العميقة واللهوب جمع لهب وهو مهواة ما بين كل جبلين
(٣) تواترت القطا جاءت بعضها خلف بعض ولم يجئن مصطفات وصف الطائر جناحيه فى السماء بسطهما ولم يحركهما (٤) قلصت انضمت (٥) كتب السقاء يكتبه خرزه بسيرين فهو كتيب
(٦) حذاء قليلة ريش الذنب والنوطة الحوصلة (٧) المجاجة ما تلقيه من فيها والشربة كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملأ ماء فيكون ريها فتتروى منه وجمعه شرب والظمء ما بين الشربين والوردين (٨) منهرت الشدق واسعه والزبب كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين وسبد الفرخ بدا ريشه وشوك (٩) شديدة الحر

غدت كنواة القَسْب لا مضمحلة وَناة [1] ولا عجلى الفتور سؤوم
تواشك رجع المنكبين وترتمي الى كَلْكَل [2] للهاديات قدوم
فما انخفضت حتى رأت ما يسرها وفىء الضحى قد مال وهو ذميم
أباطح وانتصت [3] على حيث تستقي بها شَرك للواردات مقيم
سقتها سيُول المُدْجنات فأصبحت علاجيم [4] تجرى مرة وتدوم
دعت باسمها حين استقت فاستقلها قوادم حُجْن ريشهن مليم
تجوز كحق الهاجرية [5] زانه بأطراف عود الفارسى وُشوم
لتسقى زُغْباً بالتَّنوفة لم يكن خلاف مُوَلَّاها لهن حميم
ترائك [6] بالأرض الفلاة ومن يدَع بمنزلها الأولاد فهو مُليم
اذا استقبلتها الريح طمَّت رفيقة ومن بمهوًى كالكراث جثوم
بَواطئن وقُصاء القفا وحشة الشَّوَى بدعوى القطا لحن لهن قديم
فبتن قريرات العيون وقد جرى عليهن شرب فاستقين منيم
صبيب سقاء نيط قد بركت به معاودة سقى الفراخ رءوم

وقال العجير

سأغلب والسماء ومن بناها قَطاة مزاحم ومن انتحاها
قطاة مزاحم وأبى المثنى على خرزية صُلْب شوَاها
غدت كالقطرة السفواء تهوي أمام مجلجل زَجل نفاها
تكفأ كالجمانة لا تبالي أبالموماة أضحت أم سواها
نبت منها العجيزة فاحزألَّت ونيس للتفتل منكباها
كأن كعوبها أطراف نبل كساها الرازقية من براها

(١) بطيئة القيام والقعود والمشى (٢) الكلكل الصدر والهاديات الاعناق
(٣) انتص استوى واستقام (٤) العلجوم الماء النمر (٥) يعنى حق الطيب شبه حوصلتها به والوشوم يعنى الثقبة التى فى صدرها (٦) جمع تريك بمعنى متروك

ونحا كموا الى ليلى الأخيلية أيهم أحسن وصفاً لها ، فقالت

ألا كل ما قال الرواة وأنشدوا بها غير ما قال السَّلُولي بهرج

وحكمت له

الصمة القشيري

هو الصِّمَّة بن عبد الله بن الطُّفَيل بن قُرَّة من قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة

شاعر اسلامي بدوي مقلّ من شعراء الدولة الأموية ، ولجده قُرَّة بن هُبَيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال يا رسول الله انا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ذا عقلا

هوى الصمة امرأة من قومه ثم من بنات عمه دِنْياً يقال لها العامرية بنت غُطَيف بن حبيب بن قرة فاشتط عليه عمه في المهر فسأل أباه أن يعاونه في المهر وكان كثير المال فلم يُعِنه بشيء ، فسأل عشيرته فأعطوه ، فأتى بالابل عمه ، فقال لا أقبل هذه في مهر ابنتي فاسأل أبك أن يبدلها لك ، فسأل ذلك أباه فأبى عليه ، فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عُقُلها وخلاها فعاد كل بعير منها الى الافه وتحمل الصمة راحلا ، فقالت بنت عمه حين رأته يتحمل تالله ما رأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرة ، ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر فقال وقد طال مقامه واشتاقها وندم على فعله

حننتَ الى ريّا ونفسك باعدت مزارك من ريّا وشَعْبا كما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً وتجزعَ أن داعي الصَّبابة أسمعا

قفا ودعا نجداً ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن يودعا

بنفسي تلك الارض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا وجالت بنات الشوق يَحنُنَّ نُزَّعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفتُّ نحو الحى حتى وجدتني وَجعت من الاصغاء لِيتا وأخدَعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني علي كبدى من خشيةٍ أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجع اليك ولكن خلِّ عينيك تدمعا

وقال فيها

لعمرى لئن كنتم على النأى والقلى بكم مثل مابي انني لصديق
اذا زفرات الحب صعَّدن فى الحشى رُددن ولم تنهج لهن طريق

وقال فيها أيضاً

اذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم أتتنا بريَّاكم فطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالط عنبرا وريح الخُزامَى باكرتها جنوبها

وقال فيها

هل تَجزِيَنّي العامرية موقفي علي نسوة بين الحِمَي وغَضَي الجمر
مررن بأسباب الصبا فذكرنها وأومأت اذ مامن جواب ولا نكر

ومن قوله

ألا تسألان الله أن يسق الحمي بلى فسقى الله الحمى والمطاليا
وأسأل من لاقيت هل مَطِر الحمى فهل يسألَنْ عنى الحمى كيف حاليا

وقال

تعز بصبر لا وجدك لا ترى سَنام الحمى أخرى الليالي الغوابر
كأن فؤادي من تذكره الحمى وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

وكان ابن الاعرابى يستحسن قوله[١]

أما وجلال الله لو تذكرينني كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكر لو أنه يصب على صم الصفا لتصدعا

ومن جيد قوله

اذا نأت لم تفارقني علاقتها وان دنت فصدود العاتب الزارى
فحال عينيَّ من يوميك واحدة تبكي لفرط صدود أو نوي دار

يزيد ابن الطثرية

هو يزيد بن سلمة من بني قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، والطَّثْرية أُمه من الطثر وهم حي من اليمن عدادهم فى جرْم، ويكني أبا المكشوح وكان يلقب « مُودِقاً » لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه فكانوا يقولون اذا جلس بين النساء أودق، وكان يقول من أُفحم عند النساء فليُنْشد من شعري، وكان كثيراً ما يتحدث الى النساء ، قالت سعاد بنت يزيد كان من أحسن من مضى وجهاً وأطيبه حديثاً وان النساء كانت مفتونة به، وان الناس أمحلوا حتى ذهبت الدقيقة من المال وتهتكت الجليلة، فأقبل صِرْم من جَرْم ساقته السَّنة والجدب من بلاده الى بلاد بني قُشَير « وكان بينهم وبين قشير حرب عظيمة » فلم يجدوا بُدًّا من رمى قشير بأنفسهم لما قد ساقهم من الجدب والمجاعة ودقة الأموال وما أشرفوا عليه من الهلكة، ووقع الربيع فى بلاد بني قشير فانتجعها الناس وطلبوها، فلم يعد أن لقيت جرم قشيراً فنصبت قشير لهم الحرب، فقالت جرم انما جئنا مستجيرين غير محاربين « قالوا مما ذاقوا من السنة والجدب والهلكة التى لا باقية لها » فأجارتهم قشير وسالمتهم وأرعتهم طرفاً من بلادها، وكان فى جَرْم فتى يقال له ميّاد وكان غزِلاً حسن الوجه تام القامة آخذاً بقلوب النساء

(١) الصحيح أنهما لقيس بن ذريح

« والغزل فى جرم جائز حسن وهو فى قشير نائرة » فلما نازلت جرم قشيراً وجاورتها أصبح مياد الجرمى فغدا الى القشيريات يطلب منهن الغزل والصبا والحديث واستبراز الفتيات عند غيبة الرجال واشتغالهم بالسقى والرعية وما أشبه ذلك ، فدفعنه عنهن وأسمعنه ما يكره ، وراحت رجالهن عليهن وهن مغضبات ، فقال عجائز منهن والله ما ندري أأرعيتم جرما المرعى أم أرعيتموهم نساءكم ؟ فاشتد ذلك عليهم فقالوا وما أدراكُنَّه ؟ قلن رجل منذ اليوم ظل محجراً لنا ما يطلع منا رأس واحدة يدور بين بيوتنا ، فقال بعضهم لبعض بيتوا جرماً فاصطلموها ، وقال بعضهم قبيح ، قوم قد سقيتموهم مياهكم وأرعيتموهم مراعيكم وخلطتموهم بأنفسكم وأجرتموهم من القحط والسنة تفتاتون عليهم هذا الافتيات ، لا تفعلوا ولكن تصبحون وتقدمون الى هؤلاء القوم فى هذا الرجل فانه سفيه من سفهائهم فليأخذوا على يديه فان يفعلوا فأتموا لهم احسانكم وان يمتنعوا ويقروا ما كان منه يحل لكم البسط عليهم وتخرجوا من ذمتهم ، فأجمعوا على ذلك ، فلما أصبحوا غدا نفر منهم الى جرم ، فقالوا ما هذه البدعة التي قد جاورتمونا بها ؟ ان كانت هذه البدعة سجية لكم فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء فبرزوا عنا أنفسكم وأذنوا بحرب ، وان كانت افتياتاً فغيروا على من فعله ، فلم يعدوا أن قالوا لجرم ذلك فقام رجال من جرم وقالوا ما هذا الذي نالكم ؟ قالوا رجل منكم أمس ظل يجر أذياله بين أبياتنا ماندرى علام كان أمره ، فقهقهت جرم من جفاء القشيريين وتجرفيتهم وقالوا انكم لتُحسون من نسائكم ببلاء ألا فابعثوا الى بيوتنا رجلاً ورجلاً ، فقالوا والله ما نُحِسّ من نسائنا ببلاء وما نعرف منهن الا العفة والكرم ولكن فيكم الذى قلتم ، قالوا فانا نبعث رجلاً الى بيوتكم يا بني قشير اذا غدت الرجال وأخلف النساء وتبعثون رجلاً الى بيوتنا ونتحالف أنه لا يتقدم رجل منا الى زوجة ولا أخت ولا بنت ولا يعلمها بشىء مما دار بين القوم فيظل كلاهما فى بيوت أصحابه حتى يردا علينا عشياً

الماء ونخلي لهما البيوت ولا تبرز عليهما امرأة ولا تصادق منهما واحداً فيقبل منها صرفاً ولا عدلاً الا بموثق يأخذه عليها وعلامة تكون معه منها ، قالوا اللهم نعم ، فظلوا يومهم ذلك وباتوا ليلتهم حتى اذا كان من الغد غدَوْا الى الماء وتحالفوا أنه لا يعود الى البيوت منهم أحد دون الليل ، وغدا مياد الجرمي الى القشيريات وغدا يزيد ابن الطثرية القشيري الى الجرميات فظل عندهن بأكرم مظلّ لا يصير الى واحدة منهن الا افتتنت به وتابعته الى المودة والاخاء وقبض منها رهناً وسألته ألّا يدخل من بيوت جرم الا بيتها ، فيقول لها وأي شيء تخافين ؟ وقد أخذتِ مني المواثيق وليس لأحد في قلبي نصيب غيرك ، حتى صليت العصر ، فانصرف يزيد بمَتَخ وبراقع وانصرف مكحولاً مدهوناً شبعان ريّان مُرجّل اللمّة ، وظل مياد الجرمي يدور بين بيوت القشيريات مرجوماً مُقْصًى لا يتقرب الى بيت الا استقبلته الولائد بالعمَد والجندل ، فتهالك لهن وظن أنه ارتياد منهن له حتى أخذه ضرب كثير بالجندل ورأى اليأس منهن وجهده العطش ، فانصرف حتى جاء الى سَمُرة قريباً الى نصف النهار فتوسد يديه ونام تحتها نومة حتى أفرجت عنه الظهيرة وفاءه الأظلال وسكن بعض ما به من ألم الضرب وبرد عطشه قليلاً ثم قرب الى الماء حتى ورد على القوم قبل يزيد فوجد أمة تذود غنماً فى بعض الظعن فأخذ برقعها فقال برقع واحدة من نسائكم فطرحه بين يدي القوم وجاءت الأمة تعدو فتعلقت ببرقعها فرد عليها وخجل مياد خجلاً شديداً ، وجاء يزيد ممسياً وقد كاد القوم أن يتفرقوا فنثر كمه بين أيديهم ملآن براقع وفتخاً ، وقد حلف القوم ألّا يعرف رجل شيئاً الا رفعه ، فلما نثر ما معه اسودّت وجوه جرم وأمسكوا بأيديهم إمساكة ، فقالت قشير أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من المواثيق وتحرج الأموال والأهل ، فمن شاء أن ينصرف الى حرام فليمسك يده ، فبسط كل رجل يده الى ما عرف ، فأخذه وتفرقوا عن حرب وقالوا هذه مكيدة يا قشير ، فقال فى ذلك يزيد ابن الطثرية

فان شئت يا ميّاد زرنا وزرتم ولم تُنْفس الدنيا على من يصيبها
أيذهب مياد بألباب نسوتي ونسوة ميـــاد صحيح قلوبها

وقال مياد

لعمرك ان جمع بني قشير لجرم في يزيد لظالمونا
أليس الظلم أن أبك منا وأنك فى كتيبة آخرينا
أحالفة عليك بنو قشير يمين الصبر أم متحرجونا

وبلي يزيد بعشق جارية من جَرْم في ذلك اليوم يقال لها وحشية وكانت من أحسن النساء ، ونا رتهم جرم فلم يجد اليها سبيلا ، فصار من العشق الى أن أشرف على الموت واشتد به الجهد فجاء اليه ابن عم له يقال له خليفة بن بوزل بعد اختلاف الأطباء اليه يأسهم منه ، فقال يا ابن عم قد تعلم أنه ليس الى هذه المرأة سبيل وأن العزي أجمل فما أرك فى أن تقتل نفسك وتأثم بربك ؛ قال وما هي يا ابن عم بنفسي ؛ . مالي فيها أمر ولا نهى ولا هي الا نفس الجرمية فان كنت تريد حياتي فأرنيها ، قال كيف الحيلة ؛ قال تحملني اليها ، فحمله اليها وهو لا يطمع في الجرمية الا أنهم كانوا اذا قالوا له نذهب بك الى وحشية أبلّ قليلا وراجع وطمع واذا أيس منها اشتد به لوجع ، فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلل به اليمن حتى اذا دخل فى قبيلة انتسب الى أخرى ويخبر أنه طالب حاجة ، وأبلّ حتى صلح بعض الصلاح وطمع فيه ابن عمه وصار بعد زمان الى حى وحشية فلقى الرعيان وكنا فى جبل من الجبال ، فجعل خليفة ينزل فيتعرض لرعيان الشاة فيسألهم عن راعى وحشية رجالها حتى لقي غلامها وغنمها فواعدهم موعداً وسألهم ما حال وحشية ؛ فقال غلامها هي والله بشر لا حفظ الله بنى قشير ولا يوما رأيناهم فيه فما زالت عليلة منذ رأيناهم ، وكان بها طرف مما بابن الطثرية ، فقال ويحك فان ههنا انساناً يداويها ولا تقل لأحد غيرها ، قال نعم ان شاء الله تعالى ، فأعلمها الراعى ما قال له الرجل

حين صار الينا ، فقالت له ويك فجىء به ، ثم انه خرج فلقيه الغد فأعلمه وظل عنده يرعى غنمه وتأخر عن الشاة حتى تقدمته الشاة وجنح الليل وانحدر بين يدي غنمه حتى أراحوا ، ومشى فيها يزيد حتى قربت من البيت على أربع وتجلل شملة سوداء بلون شاة من الغنم ، فصار الى وحشية فسرت به سروراً شديداً وأدخلته ستراً لها وجمعت عليه من الغد من تثق به من صواحباتها وأترابها ، وكان قد عهد الى ابن عمه أن يقيم فى الجبل ثلاث ليال فان لم يره فلينصرف ، فأقام يزيد عندها ثلاث ليال ورجع الى أصح مما كان عليه ثم انصرف فصار الى صاحبه ، فقال ما وراءك يا يزيد ؟ ورأي من سروره وطيب نفسه ماسره فقال

لوآنك شاهدت الصبا يا ابن بوزل ... بجزع الغضا اذا راجعتني غياطله
بأسفل حل الملح اذ دين ذى الهوى ... مؤدًّى واذ خير الوصال أوائله
لشاهدت يوماً بعد شحط من النوى ... وبعد تنائى الدار حلواً شمائله
ألا حبذا عيناك يا أم شنبل ... اذ الكحل فى جفنيهما جال جائله
فداك من الخلان كل ممزج(١) ... تكون لأدنى من يلاقى وسائله
فرحنا تلقانا به أم شنبل ... ضحيًّا وأبكتنا عشياً أصائله
وكنت كأني حين كان كلامها ... وداعاً وخلى موثق العهد حمله
رهيناً بنفس لم تفك كبوله ... عن الساق حتى جرد السيف قاتله
فقلت دعوني سجدتين وأرعدت ... حذار الردى أحشاؤه ومفاصله

ومن هذه القصيدة

بنفسي من لو مرَّ برد بنانه ... على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هابني فى كل أمر وهبته ... فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

(١) الممزج الذى لا يثبت على خلق

وكتب يزيد الى وحشية

أحبك أطراف النهار بشاشة ... وبالليل يدعوني الهوى فأجيب
لئن أصبحت ريح المودة بيننا ... شمالاً لقدِماً كنت وهي جنوب

فأجابته بقولها

أحبك حب اليأس ان نفع الحيا ... وان لم يكن لي من هواك طبيب

تزاور قوم من بنى نمير وقوم من بنى جعفر ، فزار شبان من بنى جعفر بيوت بنى نمير فقبلوا وحدثوا وزار بنو نمير بنى جعفر فلم يقبلوا فاستنجدوا ابن الطثرية فزار معهم بيوت بنى جعفر فأنشدهن وحدثهن فأعجبن به واجتمعن اليه من البيوت فتوعد بنو جعفر ابن الطثرية ، فتتاركوا وأمسك بعضهم عن بعض ، فأرسلت أسماء الجعفرية الى ابن الطثرية ألاّ تقطعنى وان منعت فانى سأتخلص الى لقائك فأنشأ يقول

خليليَّ بين المنحنَى من مُخمَّرٍ ... وبين الحمى من عرفْجاء المقابل
قفا بين أعناق الهوى لمرِيَّة ... جنوب تداوى كل شوق مماطل
لـكيما أرى أسماء أو لتمسَّنى ... رياح بريَّاها لِذاذ الشمائل
لقد جادلت أسماء دونك باللوى ... عيون العدى سقياً لها من مجادل
ودسَّتْ رسولاً ان حولي عصابة ... هم الحرب فاستبطن سلاح المقاتل
عشـية مالي من نصير بأرضها ... سوى السيف ضمته الى حمائلى
فيأيها الواشون بالغش بيننا ... فُرادى ومَثْنَى من عدو وعاذل
دعوهن يتبعن الهوى وتبادلوا ... بنا ليس بأس بيننا بالتبادل
تروا حين نأتيهن نحن وأنتمُ ... لمن وعلى مَنْ وطأة المتثاقل
ومن عرِّيت للهو قِدْماً ركابه ... وشاعت قوافي شعره فى القبائل
تبرز وجوه السابقين وتختلط ... على المقرف الكابى غبار القنابل

فان تمنعوا أسماء أو يك نفعها ... لكم أو تدبُّوا بيننا بالغوائل
فان تمنعونى أن أُظل صحبتي ... على كل شر من مدى العين قابل

كان يزيد شريفاً متلافاً يغشاه الدين فاذا أخذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَوْر، ثم انه كثر عليه دين لمولى لعقبة بن شريك الحَرَشي يقل له البربرى فحبسه له عقبة بالعقيق من بلاد بنى عقيل وعقبة عليها يومئذ أمير، فقال فى السجن

تضى غرمائى حب أسماء بعد ما ... تجردت من مطْل لهم وغرور
فلو قل دين البربري قضيته ... ولكن دين البربري كثير
وكنت اذا حلت عليَّ ديونهم ... أضم جناحى منهمُ فأطير
عليَّ لهم في كل شهر أدية ... ثمانون وافٍ نقدها وجزُور
تحن الى ثور فقيم رحيلنا ... وثور علينا فى الحياة صبور
أشد على ثور وثور اذ رأى ... بنا خَلَّةً جزْل العطاء غفور
فذلك دأبي ما بقيت وما مشى ... لثور على ظهر البلاد بعير

وله القصيدة التي أولها — أمسى الشباب مودعاً محموداً — وهى من جيد شعره يقول فيها

ومُدَله عند التبدل يفترى ... منها الوشاح مُخَصَّراً أملودا
نازعتها غنْم الصِّبا ان الصبا ... قد كان مني للكواعب عيدا
يا للرجال وانما يشكو الفتى ... مرّ الحوادث أو يكون جليدا
بكرت نوار تجذ باقية القوى ... يوم الفراق وتُخْلف الموعودا
ولرب أمر هوى يكون ندامة ... وسبيل مكرهة يكون رشيدا

ثم قال يفخر

لا أتقى حسَك الضغائن بالرُّقى ... فعل الذليل وان بقيت وحيدا
لكن أجرد للضغائن مثلها ... حتى تموت وللحقود حقودا

ومنها يخاطب عقبة بن شريك

يا عقبَ قدشذُب اللّحاء عن العصا عني وكنت مؤزراً محمودا
صل لي جناحي واتخذنى عدة ترمى به المتعاشي الصنديدا

مرّ يزيد بأعداء له فأرادوه وهو على راحلته فركضها وركضوا الابل على أثره. فخشى أن يدركوه وكانت نفسه عنده أوثق من الراحلة فنزل فسبقهم عدواً وأدركوا الراحلة فعقروها، فقال في ذلك

ألا هل أتى ليلى على نأى دارها بأن لم أقاتل يوم صحراء مذودا
وأنى أسلمت الركاب فعقّرت وقد كنت مقداماً بسيفى مفردا
أثرت فلم أسطع قتالاً ولا ترى أخا شيعة يوماً كآخر أوحدا
فهل تصرِمَنّ الغانيات مودتي اذا قيل قد هاب المنون فعرّدا

كان يزيد صاحب غزل ومحادثة للنساء، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلهم شعراً وكان أخوه ثور كثير المال والنخل والرقيق وكان متنسكاً كثير الحج والصدقة كثير الملازمة لابله ونخله فلا يكاد يُلِمّ بالحى الا الفلتَة والوقعة وكانت ابله تَرِد مع الرعاء على أخيه يزيد فتسقى على عينه، فبينا يزيد ماراً فى الابل وقد صدر عن الماء اذ مرّ بخباء فيه نسوة من الحاضر، فلما رأينه قلن له يا يزِيد أطعمنا لحماً، فقال أعطينى سكيناً فأعطينه ونحر لهن ناقة من ابل أخيه وبلغ الخبر أخاه، فلما جاء أخذ بشعره وفسَّقه وشتمه، فقال يزيد

يا ثور لا تشتُمَنْ عرضى فداك أبى فانما الشتم للقوم العواوير (١)
ما عقرُ ناب لأمثال الدُّمَى خرُد عِين كرام وأبكار معاصير (٢)
عطفن حوليَ يسألن القِرَى أُصُلاً وليس يرضين منى بالمعاذير

(١) العوار بضم العين وتشديد الواو الضعيف الجبان وجمعه عواوير
(٢) المعاصير جمع معصر وهى المرأة بلغت شبابها

هبين ضيفاً عراكم بعد هجعتكم   فى قطقط[1] من سواد الليل منثور
وليس قربكمُ شاء ولا لبناً   أيرحل الضيف عنكم غير مجبور
ما خيرُ واردة للماء صادرة   لا تنجلي عن عقير الرجل منحور

استعدت جَرْم على ابن الطثرية في وحشية فكتب بها صاحب اليمامة الى نور وأمره بأدبه، فجعل عقوبته حلق لمته، فقال يزيد

أقول لثور وهو يحلق لمتى   بحجناء[2] مردود عليها نصابها
ترفق بها يا ثور ليس ثوابها   بهذا ولكن غير هذا ثوابها
ألا ربما يا ثور قد علَّ وسطها   أنامل رخصات حديث خضابها
وتسلك مِدْرَى العاج فى مُدْلَهِمَّة   اذا لم تفرج مات غماً صؤابها
فراح بها ثور ترف كأنها   سلاسل برق لينها وانسكابها
منعمة كالشَّرْبة الفَرْد جادها   تجاه الثريا هطلها وذهابها
فأصبح رأسى كالصُّخيرة أشرفت   عليها عُقاب ثم طارت دقابها

قتل يزيد ابن الطثرية في خلافة بنى العباس قتلته بنو حنيفة، فقالت أخته زينب ترثيه

أرى الأثل من بطن العقيق مجاورى   مقيماً وقد غالت يزيد غوائله
فتى قُدَّ قد السيف لا متضائل   ولا رهل لَبَّاته وبآدله
فتى لا ترى قد القميص بخصره   ولكنما توهى القميص كواهله
اذا نزل الضيفان كان عذوَّرا   على الحى حتى تستقل مراجله
يسرك مظلوماً ويرضيك ظالماً   وكل الذى حملته فهو حامله
اذا جد عند الظلم أرضاك جده   وذو باطل ان شئت ألهاك باطله
اذا القوم أمُّوا بيته فهو عامد   لأفضل ما أمُّوا له فهو فاعله

(١) القطقط المطر المتتابع العظيم القطر   (٢) هى الموسى

مضى وورثناه دَرِيسَ مُفاضة   وأبيض هنديا طويلا حمائله
وقد كان يحمى المحجرين بسيفه   ويبلغ أقصى حجرة الحى نائله
فتى ليس لابن العم كالذئب ازرأى   بصاحبه يوما دما فهو آكله
سيبكيه مولاه اذا ما ترفعت   عن الساق عند الروع يوما ذلاذله (١)

وقال القحيف يرثيه

ألا تبكي سراة بنى قشير   على صنديدها وعلى فتاها
فان يقتل يزيد فقد قتلنا   سَراتهم الكهول على لحاها
أبا المكشوح بعدك من يحامى   ومن يُزجى المطىّ على وَجاها

عبد الله بن الحشرج

هو عبد الله بن الحَشرَج بن الأشهب بن ورد الجعدى من جعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر

كان عبد الله سيدا من سادات قيس وأميرا من أمرائها ولى أكثر أعمال خُراسان ومن أعمال فارس وكرمان وكان جواد ممدحا ، وكان أبوه الحشرج سيدا شاعرا وأميرا كبيرا وكان غلب على قُهُستان زمن عبد الله بن خازم المسيبُ بن أبى أوفى القسري فقتل الحشرج وأخذ قهستان ، وكان عمه زياد بن الأشهب أيضا شريفا سيدا وكان قد سار الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام يصلح بينه وبين معاوية على أن يوليه الشام فلم يجبه

جاء الى عبد الله وهو بقهستان رجل من قريش يقال له قدامة بن الاحرز فدخل عليه فأنشأ يقول

أخ وابن عم جاءكم متحرزا   فعطفا على خلاته يا ابن حشرج

(١) الذلذال هدب الثوب

فأنت ابن ورد سدت غير مدافع   معَدًّا على رغم المَنوط المعلْهَج(١)
فبرزت عفواً اذ جريت ابن حَشْرج   وجاء سُكَيْتا كل أَعْقَدَ أفْجَجَ(٢)
سبقت ابن ورد كل حاف وناعل   يجد اذا جاء الأضاميم سَمْحَجَ(٣)
بورد بن عمرو وفيهم ان مثله   قليل ومن يشر المحامد يفلَجَ
هو الواهب الأموال والمشتري الثنا   وضراب رأس المستميت المدجج

فأعطاه أربعة آلاف درهم وقال اعذرني يابن عمي فاني على حالة الله بها عليم من كثرة الطلاب وأنت أحق من عذرني، قال والله لولم تعطني شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك في عشيرتك ومن انقطع اليك لعذرتك فكيف وقد أجزلت العطاء وأرغمت الأعداء

كان لابن الحشرج ابن عم يقول للقشري ويحك ليس عنده خير وهو يكذبك ويلمزك فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال

أطل حمل الشناءة لي وبغضي   وعش ما شئت فانظر من تضير
فما بيديك خيرٌ أرتجيه   وغير صدودك الخطب الكبير
اذا أبصرتني أعرضت عني   كأن الشمس من قبلي تدور
وكيف تعيب من تمشي فقيرا   اليه حين تحزُبُك الامور
ومن ان بعت منزلة بأخرى   حللت بأمره وبه تسير
أتزعم أنني مَلِذ(٤) كذوب   وأن المكرمات الى بور
وكيف أكون كذابا ملوذا   وعندي يطلب الفرجَ الضرير
أواسي في النوائب من أتاني   ويخبرني أخو الضر الفقير

(١) المعلهج الذي ليس بخالص النسب والمنوط الدعي (٢) الافجج المتكبر والاعقد الذي في لسانه عقدة والسكيت بتشديد الكاف وتخفيفها آخر خيل الحلبة
(٣) الاضاميم جمع أضامة وهي الجماعة يقال فرس سباق الاضاميم أي جماعات الخيل والفرس السمحج القباء غليظة اللحم المعترة (٤) الملذ المتصنع الذي لا يصح وده بل يظهر النصح ويضمر غيره

أسرف ابن الحشرج في العطاء فقالت له امرأته لشد ما يتلاعب الشيطان بك وصرت من اخوانه مبذراً كما قال الله عز وجل « ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين » فقال لرفاعة بن روى النهدى وكان أخا له وصديقا يارفاعة ألا تسمع الى ما قالت هذه الورهاء وما تتكلم به ؟ فقال صدقت والله وبرّت انك لمبذر وان المبذرين لاخوان الشياطين فقال ابن الحشرج في ذلك

متى يأتنا الغيث المغيث يجد لنا ... مكارم ما تعيا بأموالنا التُّلْد
مكارم ماجدنا به اذ تمنعت ... رجال وضنت فى الرَّخاء وفى الجهد
أردنا بما جدنا به من تلادنا ... خلاف الذى يأتى خيار بنى نَهْد
تلوم على اتلافىَ المال خلتى ... ويُسعدها نهد بن زيد على الزهد
أنهد بن زيد لست منكم فتشفقوا ... علىّ ولا منكم غواى(١) ولا رشدى
أبيت صغيرا ناشئاً ما أردتمُ ... وكهلا وحتى تبصرونى في اللحد
سأبذل مالى ان مالى ذخيرة ... لعقبي وما أجنى به ثمر الخلد
ولست بمبكاء على الزاد باسل ... يهر على الازواد كالأسد الورد
ولكننى سمح بما حزت باذل ... لما كلفت كفاى فى الزمن الجحد
بذلك أوصانى الرُّقاد (٢) وقبله ... أبوه بأن أعطى وأوفى بالعهد

ومن قوله فى ذلك

سأجعل مالي دون عرضى وقاية ... من الذم ان المال يَفْنِي ويَنْفَدَ
ويبقى لى الجود اصطناع عشيرتي ... وغيرهمُ والجود عز مؤبد
ومتخذ ديناً علىّ سماحتى ... بمالى ونار البخل بالذم توقد
يبيد الفتى والحمد ليس ببائد ... ولكنه للمرء فضل مؤكد

(١) أراد غوايتى فحذف التاء للضرورة (٢) هو الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة وهو من عمومته وكان شجاعاً سيداً جواداً

ولا شيء يبقى للفتى غير جوده بما ملكت كفاه والقوم شهد
ولائمة في الجود نهنهت غرْبها وقلت لها يبني المكارم أحمد
فلما ألحت فى الملامة واعترت بذلك غيظى واعتراها التبلد
فلجت وقالت أنت غاو مبذر قرينك شيطان مَريد مفند
فقلت لها بينى فما فيك رغبة ولى عنك فى النسوان ظل ومقعد
وعيش أنيق والنساء معادن فمنهن غُلّ شرها يتمرد
لها كل يوم فوق رأسى عارض من الشر براق يدَ الدهر يرْعُد
وأخرى يلذّ العيش معها ضجيعها كريم يغاديها من الطير أسعد
فيا رجلا حرا خذ القصد واترك البلايا فان الموت للناس موعد
فعش ناعما واترك مقالة عاذل يلومك فى بذل الندى ويفنّد
وجد بالُّلهى ان السماحة والندى هى الغاية القصوى وفيها التمجد
وحسب الفتى مجداً سماحة كفه وذى المجد محمود الفعال تمجد

فقالت له امرأته والله ما وفقك الله لحظك أنهبت مالك وبذرته وأعطيته هيان بن بيان وما تدرى من أيها فئة هو، فغضب فطلقها وكان لها محباً وبها معجبا فعنفه فيها ابن عم لها يقال له حنظلة بن الاشهب بن رميلة وقال له نصحتك فكافأتها بالطلاق فوالله ما وفقت لرشدك ولانلت حظك ولقد خاب سميك بعدها عند ذوى الألباب فهلا مضيت لطيتك وجريت على ميدانك ولم تلتفت الى امرأة من أهل الجهالة والطيش لم تخلق للمشورة ولا مثل رأيها يهتدى به فقال ابن الحشرج لحنظلة

أحنظل دع عنك الذى نال ماله ليحمده الاقوام فى كل محفل
فكم من فقير بائس قد جبرته ومن عائل أغنيت بعد التبعل
ومن مرتق عن منهل الحق حائد علوت بعضْب ذى غِرارين منصل

وزارٍ علىّ الجود والجود شيمتى | فقلت له دعني وكن غير مفضل
فتلك قد عاصيت دهراً ولم أكن | لأسمع أقوال اللئيم المبخل
أبى لى جدى البخلَ مذ كان يافعاً | صغيراً ومن يبخل يُلَمْ ويضلل
وتستغن عنه الناس فاركب محجة الـ | كرام ودع ما أنت منه بمعزل
ومستحمق غاو أتته نذيرتي | فلج ولم يعرف مَعَرَّة مقولى
فانى امرؤ لا أصحب الدهر باخلا | لئيما وخير الناس كل معذل
نفحت ببيت يملأ الفم شارد | له خبر كأنه خير مقول
فكف ولولم أرمه شاع قوله | وصار كذُرياق الذُّعاف المثمَّل
وليل دَجُوجي سريت ظلامه | بناجية كالبرق وَجناء عَيهل(١)
الى ملك من آل مروان ماجد | كريم المحيّا سيد متفضل
يجود اذا ضنت قريش برفدها | ويسبقها فى كل يوم تفضُّل
أبوه أبو العاصى اذا الخيل شمرت | فراها بمسنون الغرارين منجل
وقوراذا هاجت به الحرب مرجَم | صبور عليها غير نكس مهلَّل(٢)
أقام لأهل الأرض دين محمد | وقد أدبروا وارتاب كل مضلل
فما زال حتى قوم الدين سيفهُ | وعزّ بحزم كل قرم مُحجل
وغادر أهل الشرك حتى كأنهم | قتيل وناج فوق أجرد هيكل
نجا من رماح القوم قدْما وقد بدا | تباشيره فى العارض المتهلل

يعني بهذا المدح محمد بن مروان لما قتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق وكان محمد يقوم بأمره ويوليه الأعمال ويشفع له الى أخيه عبد الملك

ومن قوله لابن عم له لامه فى إنهاب ماله وتبذيره إياه

وعاذلةٍ هبت بليل تلومني | وتعذُلنى فيما أُفيد وأُتلف

(١) ناقة عيهلة وعيهل ضخمة عظيمة والوجناء الناقة الشديدة (٢) هلل جبن وفر

تلومتها حتى اذا هى أكثرت ... أتيت الذى كانت لدى توكف (١)
وقالت عليك انفخ أكثرت فى الندى ... ومثلي تحاماه الألدُّ المغطرف
أبى لي ما قد سُمتني غير واحد ... أب وجدود مجدها ليس يوصف
كهول وشبان مضوا لسبيلهم ... اذا ذكروا فالعين مني تذرف
هم الغيث ان ضنت سماء بقطرها ... وعندهمُ يرجو الحيا متلهف
وحرب يخاف الناس شدة حرها ... وطَلٍّ (٢) بأنواع المنية يصرف
حموها وقاموا بالسيوف لحيها ... اذا فنيت أضحت لهم وهى تعصف
فلما أبت الا طماحاً تنمروا ... بأسيافهم والقوم فيهم تعجرف
فذلت وأعطت بالقياد وأذعنت ... اذا ما اشتهى قومى وذو الذل ينصف
وكانت طموح الرأس يصرف نابها ... من الشر تارات وطوراً تُقفقف (٣)
فدرت طباقاً وارعوت بعد حملها ... وكنا زماناً للذى يتصلف

وقال لرفاعة النهدى فيما كان يلومه فيه من التبذير والجود

ألامُ على جودي وما خلت أننى ... ببذلي وجودي حدت عن منزل القصد
فيا لائمي فى الجود أقصر فاننى ... سأبذل مالي فى الرخاء وفى الجهد
وجدت الفتى يفنى وتبقى فعاله ... ولا شيء خير في الحديث من الحمد
وانى بالله احتيالي وحرقتي ... أصير جارى بين أحشاى والكبد
أرى حقه فى الناس ما عشت واجباً ... عليَّ وآتى ما أتيت على عمد
وصاحب صدق كان لي ففقدته ... وصيرنى دهري الى سائق وغد
يلوم فعالي كل يوم وليلة ... ويعدو على الجيران كالأسد الورد
يخالفنى فى كل حق وباطل ... ويأنف أن يمشى على منهج الرشد
فلما تمادى قلت غير مسامح ... له النهج فاركب يا عسيف بنى نهد

(١) التوكف التوقع والانتظار (٢) الطل الحية (٣) القفقفة الرعدة

مجنون بنى عامر

هو قيس بن الملوح بن مزاحم من عامر بن صعصعة

آراء منكري حديثه

قال أيوب بن عباية سألت بنى عامر بطناً بطناً عن مجنون بنى عامر فما وجدت أحداً يعرفه ، وقال ابن داب قلت لرجل من بنى عامر أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئاً ؟ قال أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين ؟ انهم لكثير ، فقلت ليس هؤلاء أعنى انما أعني مجنون بني عامر الذى قتله العشق ، فقال هيهات ، بنو عامر أغلظ اكباداً من ذاك ، انما يكون هذا فى هذه اليمانية الضعاف قلوبها السخيفة عقولها الصّلعة رؤسها ، فاما نزار فلا ، وقال الاصمعى رجلان ما عرفا فى الدنيا قط الا باسم ، مجنون بنى عامر وابن القِرِّيَّة فانهما وضعهما الرواة ، وقال ابن الكلبى حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التى يرويها الناس للمجنون ونسبها اليه ، وقل عوانة المجنون اسم مستعار لا حقيقة له وليس له فى بنى عامر أصل ولا نسب ، فسئل من قال هذه الاشعار ؟ فقال فتى من بنى أميـة ، وقال الجاحظ ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل فى ليلى الا نسبوه الى المجنون ولا شعراً هذا سبيله قيل فى أُبْنَى الا نسبوه الى قيس بن ذَرِيح ، وقال عوانة ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا ، ابن أبى العقب صاحب قصيدة الملاحم وابن القِرِّية ومجنون بني عامر ، وقال اسحاق أنشدت أيوب بن عباية هذين البيتين :

وخبرتمانى أن تيماء منزل ... لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت ... فما للنوى ترمى بليلى المراميا

وسألته عن قائلهما ، فقال جميل ، فقلت له ان الناس يروونهما للمجنون ، قال وما المجنون ؟ فأخبرته ، فقال ما لهذا حقيقة ولا سمعت به وأضاف اليهما أبو بكر العدوى

وانى لأخشى أن أموت فجاءة ... وفى النفس حاجات اليك كما هيا
وانى لينسينى لقاؤك كلما ... لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا
وقالوا به داء عياء أصابه ... وقد علمت نفسى مكان دوائيا

آراء مصححي حديثه

قال احمد بن زهير سمعت من لا أحصى يقول اسم المجنون قيس بن الملوح ، وروى الجوهرى وعمر بن شبة عن الأصمعى أنه قال وقد سئل عنه لم يكن مجنوناً وانما كانت به لوثة كلوثة أبي حية النميرى ، وقال سليمان بن نوفل سعيت على بنى عامر فرأيت المجنون وأتيت به وأنشدنى ، وقال المدائنى المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحب ليلى قيس بن معاذ من بني عامر ثم من بنى عقيل أحد بنى نمير ابن عامر بن عقيل ، ومنهم رجل آخر يقال له مهدى بن الملوح من بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وقال اسحق الموصلى اسم المجنون قيس بن معاذ أحد بني جعدة ، وقال يونس النحوى ان اسمه قيس بن الملوح ، وقال ابو عمرو الشيبانى حدثنى رجل من اهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوح ، وقال ابو عمرو الشيبانى حدثنى رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوح ومثله لهشام بن محمد الكلبى وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه فعقر على قبره ناقته وقال فى ذلك

عقرت على قبر الملوّح ناقتى ... بذى السرح لما أنجفاه الأقارب
وقلت لها كونى عقيراً فانني ... غدا راجل أمشى وبالأمس راكب
فلا يُبْعِدنْك الله يا ابن مزاحم ... فكل بكأس الموت لا بد شارب

وقال أبو زياد الكلابى ليلى صاحبة المجنون هى ليلى بنت سعد بن مهدى ، وقال الأصمعى هو القائل

أخذتْ محاسن كل ما ضَنّت محاسنه بحسنه
كاد الغزال يكونها لولا الشَّوَى ونشوز قرنه

وقال عمر بن شبَّة سألت أعرابياً من بنى عامر عن المجنون العامرى ، فقال عن أيهم تسأل ؟ فقلت عن الذى كان يشبب بليلى ، فقال كلهم كان يشبب بليلى ، قلت فأنشدنى لبعضهم ، فأنشدنى لمزاحم بن الحرث المجنون

ألا أيها القلب الذى لَجّ هائما وليداً بليلى لم تقطع تمائمه
أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى لك اليومَ ان تلقى طبيباً تلائمه
أجِدّك لا تُنسيك ليلى مِلَمة تُلِمّ ولا عهد يطول تقادمه

قلت فأنشدنى لغيره منهم ، فأنشدنى لمعاذ بن كليب المجنون

ألا طالما لاعبت ليلى وقادنى الى اللهو قلب للحسان تَبوع
وطال امتراء الشوق عيني كلما نزَفت دموعاً تستجد دموع
فقد طال امساكي على الكبد التى بها من هوى ليلى الغداة صدوع

قلت فأنشدنى لغير هذين ممن ذكرت فأنشدنى لمهدى بن الملوّح

لو آن لك الدنيا وما عدلت به سواها وليلى حائن عنك بَينُها
لكنت الى ليلى فقيراً وانما يقود اليها ود نفسك حَينُها

قلت له فأنشدنى لمن بقى من هؤلاء ، فقال حسبك فو الله ان فى واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم

قال ابن الاعرابى كان معاذ بن كلب مجنوناً وكان يحب ليلى ، وشَرِكه في حبها مُزاحم بن الحرث العُقيلى ، فقال مزاحم يوماً للمجنون

كلانا يا معاذ يحب ليلى بفِىّ وفيك من ليلى التراب

شركتك في هوى من كان حظى   وحظك من مودتها العذاب
لقد خبلت فؤادك ثم ثنت   بعقلي فهو مخبول مصاب

فيقال أنه لما سمع هذه الأبيات التبس وخولط فى عقله

قال أبو الفرج رحمه الله وأنا أذكر مما وقع إلىّ من أخباره جملاً مستحسنة متبرئاً من العهدة فيها فان أكثر أشعاره المذكورة فى أخباره ينسبها بعض الرواة الى غيره وينسبها من حكيت عنه اليه ، واذا اقدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعن ومتبع للعيوب ، كان المجنون وليلى وهما صبيان برعيان غنما لأهلهما عند جبل فى بلادهما يقال له التوباذ ، فلما ذهب عقله وتوحش كان يجيء الى ذلك الجبل فيقيم به فاذا تذكر أيام كان يطيف هو وليلى به جزع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتى نواحى الشام فاذا ثاب اليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم بأبى أنتم أين التوباذ من أرض بني عامر ؟ فيقال له وأين أنت من أرض بنى عامر ؟ أنت بالشام عليك بنجم كذا فأمه ، فيمضي وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن فيري بلاداً ينكرها وقوما لا يعرفهم فيسألهم عن التوباذ وأرض بنى عامر ، فيقولون وأين أنت من أرض بنى عامر ؟ عليك بنجم كذا وكذا فلا يزال كذلك حتي يقع على التوباذ فاذا رآه قال

وأجهشت (١) للتوباذ لما رأيته   وكبر للرحمن حين رآنى
وأذرفت دمع العين لما رأيته   ونادى بأعلى صوته فدعانى
فقلت له أين الذين عهدتهم   حواليك فى أمن وخفض زمان
فقال مضوا واستودعونى بلادهم   ومن ذا الذى يبقى على الحدثان
وانى لأبكى اليوم من حذرى غدا   فراقك والحيان مجتمعان
سجالاً وتهتاناً ووبلاً وديمة   وسحًا وتسجاماً وتنهملان

(١) الجهش أن يفزع الانسان الى غيره وهو مع ذلك متهيء للبكاء كالصبي يفزع الى أمه وقد تهيأ للبكاء

قالوا علق قيس ليلى وهما صبيان فلم يزالا كذلك حتى كبرا ، فحجبت عنه ويدل على ذلك قوله

تعلقت ليلى وهى ذات ذُؤابة ولم يَبْدُ للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البَهْم ياليت أننا الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البَهْم

ولما شهر بحبها وتناشد الناس شعره فيها خطبها وخطبها ورد بن محمد العقيلى فقال أهلها نحن مخيروها ودخلوا اليها فقالوا والله لئن لم تختارى وردا لنمثلن بك فقال المجنون

ألا ياليل ان ملكت فينا خيارك فانظرى لمن الخيار
ولا تستبدلى منى دنيّا ولا بَرَما(١) اذاحُش القُتار
يهرول فى الصغير اذا رآه وتُعجزه مُلمّات كبار
فمثل تأيّم منه نكاح ومثل تموّل منه افتقار

فاختارت ورداً فتزوجته على كره منها ، فيقال انه فقد عقله الا أن تذكر له ليلى ، ومن قوله فى ذلك

أيا وَيْحَ من أمسى تُخُلِّس عقله فأصبح مذهوبا به كل مذهب
خليًّا من الخِلان الا معذراً يضاحكنى من كان يهوَى تجنبي
اذا ذكرت ليلي عَقلت وراجعت روائع عقلى من هوًى متشعّب
وقالوا صحيح ما به طيف جِنّة ولا الهم الا بافتراء التكذب
وشاهد وجدى دمعُ عينى وحبها برَى اللحم عن أحناء عظمي ومنكبي
تجنبتَ ليلى أن يَلِجَّ بك الهوى وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا انما غادرت يا أم مالك صدًى أينما تذهب به الريح يذهب

ومنها

فلم أر ليلى بعد موقف ساعة بخَيْف منًى ترمى جِمار المحصَّب

(١) البرم من لا يدخل مع القوم فى الميسر والقتار الدخان من الطبوخ وحش النار أوقدها

ويبدي الحصا منها اذا قذفت به　　من البُرد أطراف البنان المخضَّب
فأصبحتَ من ليلى الغداةَ كناظر　　مع الصبح فى أعقاب نجم مغرَّب

ومما أنشد له فيها

فوالله ثم الله انى لدائب　　أفكر ما ذنبى اليها وأعجب
ووالله ما أدرى علام قتلتنى　　وأى أمورى فيك ياليل اركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه　　أم اشرب رنقا منكم ليس يشرب
أمَ اهرُب حتى لا أرى لى مجاورا　　أمَ اصنع ماذا أم أبوح فأغلب
فأيهما ياليل ما ترتضينه　　فانى لمظلوم وانى لمُعتب

وخرج به أبوه حاجا لعله يسلو ، فسمع بالليل صارخاً يقول يا ليلى فغشى عليه ، ولما أفاق قال

عرضت على قلبى العزاء فقال لي　　من الآن فايأس لا أعزك من صبر
اذا بان من تهوى وأصبح نائيا　　فلاشيء أجدى من حلولك فى القبر
وداعٍ دعا اذ نحن بالخيف من منى　　فهيّج أطراب الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما　　أطارَ بليلى طائرا كان فى صدرى
دعا باسم ليلى ضلل الله سعيه　　وليلى بأرض عنه نازحةٍ قفر

ثم قال له أبوه تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلى ، فتعلق بأستار الكعبة وقال اللهم زدنى لليلى حبا وبها كلفا ولا تنسنى ذكرها أبداً ، فهام حينئذ واختلط فلم يضبط ، فكان يهيم فى البرية مع الوحش ولا يأكل الا ما ينبت فى البرية من بقل ولا يشرب الا مع الظباء اذا وردت مناهلها ، وطال شعر جسده ورأسه وألفته الظباء والوحوش فكانت لا تنفر منه ، وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشام فاذا ثاب اليه عقله سأل من يمر به من أحياء العرب عن نجد ، فيقال له وأين أنت من نجد ؟ قد شارفت الشام أنت فى موضع كذا ، فيقول

فأرونى وجهة الطريق فيرحمونه ويعرضون عليه أن يحملوه ويكسوه فيأبى ، فيدلونه على طريق نجد فيتوجه نحوه

وقال وقد مرَّ بجبلي نعمان وكانت ليلى تنزل بهما

أيا جبلي نَعْمان بالله خلّيا ‏ نسيم الصبا يَخْلُص الىّ نسيمها
أجدْ بردها أو تَشْفِ منى حرارة ‏ على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست ‏ على نفس محزون تجلت همومها

ومضى الى منزل ليلى فوقف به طويلا يتبع آثارها ويبكى ثم قال

يا صاحبىّ ألمّا بى بمنزلة ‏ قد مرَّ حين عليها أيما حين
انى أرى رَجَعات الحب تقتلني ‏ وكان في بدئها ما كان يكفيني
لا خير فى الحب ليست فيه قارعة ‏ كأن صاحبها فى نزع موتون
ان قال عقل له مهلا فلان لهم ‏ قال الهوى غير هذا القول يغنينى
ألقى من الحب تارات فتقتلني ‏ وللرجاء بشاشات فتحيينى

وقال الاصمعى لم يكن قيس مجنونا انما جننه العشق وأنشد له

يسموننى المجنون حين يَرَوْنني ‏ نعم بىَ من ليلى الغداةَ جنون
ليالى يزهى بى شباب وشدة ‏ واذ بى من خفض المعيشة لين

وقال فى ذلك

وانى لمجنون بليلى موكل ‏ ولست عزُوفا من هواها ولا جَلْدا
اذا ذكرت ليلى بكيت صبابة ‏ لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

وقال

وبى من هوى ليلى الذى لو أبُثّه ‏ جماعة أعدائى بكت لى عيونها
أرى النفس عن ليلى أبت أن تطيعني ‏ فقد جُنّ من وجدى بليلى جنونها

ومما أنشد له

وشُغلت عن فهم الحديث سوى ما كان فيك فانه شغلى
وأديم لحظ محدثى ليرى أن قد فهمت وعندكم عقلى

وأنشد له أبو عمرو

ألا ما لليلى لا تُرَى عند مضجعى بليل ولا يجرى بذلك طائر
بلى ان عُجْمَ الطير تجرى اذا جرت بليلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذى كان بيننا بذى الأثل أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما فى القرب لى منك راحة ولا البعد يُسليني ولا أنا صابر
ووالله ما أدرى بأية حيلة وأى مرام أو خِطار أخاطر
وتالله ان الدهر فى ذات بيننا علىّ لها فى كل حال لجائر
فلو كنت اذ أزمعتِ هجرى تركتني جميعَ القوى والعقلُ منى وافر
ولكن أيامى بمحتل عُنَيزة وبالرضم أيام جناها التجاور
وقد أصبح الود الذى كان بيننا أمانيّ نفس والمؤمل حائر
لعمرى لقد رنّقت يا أم مالك حياتى وساقتنى اليك المقادر

وأكثر قومه فى عذله فقال

يا للرجال لهم بات يعرونى مستطرف وقديما كان يعنينى
على غريم مليء غير ذى عدم يأبَى فيمطُلنى ديني ويلوينى
لا يذكر البعض من دينى فينكره ولا يحدثنى أنْ سوف يقضينى
وما كشكرى شكر لو يوافقنى ولا مُنىّ كمناه اذ يمنّينى
أطعته وعصيت الناس كلهم فى أمره ثم يأبَى فهو يعصينى
خيرى لمن يبتغى خيرى ويأمله من دون شري وشري غير مأمون
وما أشارك فى رأى أخا ضعف ولا أقول أخى من لا يواتينى

ومما قاله وقد مرَّ ببابها فلم يلتفت اليه وجاوزه

ألا أيها البيت الذى لا أزوره وان حله شخص الى حبيب
هجرتك اشفاقاً وزرتك خائفاً وفيك علىّ الدهر منك رقيب
سأستعتب الأيام فيك لعلها بيوم سرور فى الزمان تؤوب

وبلغه أن أهلها يريدون نقلها الى الثقفى فقال

كأن القلب ليلة قيل يُغدى بليلى العامرية أو يُراح
قطاة عزَّها شَرَك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

ولما نقلت اليه قال

طربتَ وشاقتك الحمول الدوافع غداة دعا بالبين أسحَمُ نازع
شحافاه [1] نعباً بالفراق كأنه حَرِيب سَلِيب نازح الدار جازع
فقلت ألا قد بين الأمر فانصرف فقد راعنا بالبين قبلك رائع
سُقيتَ سموماً من غراب فانني تبينت ما خبرت مذ أنت واقع
ألم ترَ أنى لا محب ألومه ولا ببديل بعدهم أنا قانع
وقد يتنادى الألف من بعد الفه ويصدع ما بين الخليطين صادع
وكم من هوًى أوجيرة قد ألفتهم زماناً فلم يمنعه للبين مانع
كأنى غداة البيت ميت حَوْبة [2] أخو ظمأ سُدَّت عليه المشارع
تخلّس من أوشال ماء صُبابة فلا الشرب مبذول ولا هو نافع
وبيض تطَلَّى بالعَبِير كأنها نعاج الملا جيبَتْ عليها البراقع
تحملن من وادى الأراك فأومضت لهن بأطراف العيون المدامع
فما رُضْن ربع الدار حتى تشابهت هجائنها والجُون منها الخواضع [3]

(١) شحا فاه فتحه والنعب التصويت بالبين (٢) الحوبة الهم
(٣) الخواضع المجدة فى السير

وحتى حملن الحور من كل جانب وخاضت سدول الرَّقْم منها الأكارع

فلما استوت تحت الخدور وقد جرى عبير ومسك بالعرانين رادع

أشرنَ بأن حثُّوا الجمال فقد بدا من الصيف يوم لافح الحر مائع (١)

فلما لحقنا بالحمول تباشرت بنا مُعْصِرات (٢) غاب عنا المطامع

تعرضن بالدَّلّ المليح وإن يرد جناهن مشـــغوف فهن موانع

فقلت لأصحابى ودمعى مُسْبَل وقد صدع الشملَ المشتت صادع

أليلى بأبواب الخدور تعرضت لعينى أم قرْن من الشمس طالع

قال اسحق الموصلى كانت كنية ليلى أم عمرو وأنشد للمجنون

أبى القلب الا حبها عامرية لها كنية عمرو وليس لها عمرو

تكاد يدى تندَى اذا ما لمستها ويبنت فى أطرافها الورق الخضر

وأنشد له المبرد

وأحبس عنك النفس والنفس صبَّة بذكراك والممْشَى اليك قريب

مخافة أن تسـعى الوشاة بظِنَّة واحرسـكم أن يستريب مريب

فقد جعلت نفسى وأنت اجترمته وكنت أعز الناس عنك تطيب

فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل لك الدهر منى ما حييت نصيب

أما والذى يُبْلِي السرائر كلها ويعلم ما تبدي به وتغيب

لقد كنت ممن يصطفى الناس خلة لها دون خلان الصفاء حجوب

قال رجل من بني عامر مطرنا مطراً شديداً فى ربيع ارتبعناه ودام المطر ثلاثاً ثم أصبحنا فى اليوم الرابع على صحو وخرج الناس يمشون على الوادى فرأيت رجلاً جالساً حُجْزة وحده ، فقصـدته فاذا هو المجنون جالساً وحده يبكى ، فوعظته وكلمته طويلاً وهو ساكت لم يرفع رأسه إلىَّ ، ثم أنشدنى بصوت حزين لا أنساه أبدا وحرقته

(١) متع النهار ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه بعد الزوال (٢) المعصر المرأة بلغت شبابها

جرى السيل فاستبكاني السيل اذ جرى ... وفاضت له من مقلتيَّ غُرُوب
وما ذاك الا حين أيقنت أنه ... يكون بوادٍ أنتِ فيه قريب
يكون أُجاجاً دونكم فاذا انتهى ... اليكم تلقّى طيبكم فيطيب
أظلُّ غريب الدار فى أرض عامر ... الا كل مهجور هناك غريب
وان الكئيب الفرد من أيمن الحمى ... اليَّ وان لم آته لحبيب
فلا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزُر ... حبيباً ولم يطْرَب اليك حبيب

وأول هذه القصيدة

ألا أيها البيت الذي لا أزوره ... وهجرانه منى اليه ذنوب
هجرتك مشتاقاً وزرتك خائفاً ... وفيَّ عليك الدهر منك رقيب
سأستعطف الأيام فيك لعلها ... بيوم سرور فى هواك تثيب
وأفردت افراد الطريد وباعدت ... الى النفس حاجات وهن قريب
ومنيتنى حتى اذا ما رأيتني ... على شَرَف للناظرين يريب
صددت وأشمتِّ العدو بصرمنا ... أثاب بك يا ليلى الجزاء مثيب

ومن قوله

أقول لاصحابى هى الشمس ضوؤها ... قريب ولكن فى تناولها بعد
لقد عارضتنا الريح منها بنفحة ... على كبدى من طيب أرواحها بَرْد
فما زلت مغشياً عليَّ وقد مضت ... أناة وما عندي جواب ولا رد
أقلّب بالأيدى وأهلي بعولة ... يُفَدُّونني لو يستطيعون أن يفدُوا
ولم يبق الا الجلد والعظم عارياً ... ولا عظم لى ان دام ما بى ولا جلد
أدنياى مالى فى انقطاعى ورغبتى ... اليك ثواب منك دَيْن ولا نقد
عدينى بنفسى أنتِ وعداً فربما ... جلا كربةَ المكروب عن قلبه الوعد

وقد يبتلي قوم ولا كبليتى … ولا مثل جدى فى الشقاء بكم جد
غزتنى جنود الحب من كل جانب … اذا حان من جند قفول أتى جند

ومن قوله

أعدّ الليالى ليلة بعد ليلة … وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
أرانى اذا صليت يممت نحوها … بوجهى وان كان المصلّى ورائيا
وما بى اشراك ولكن حبها … كعود الشَّجا أعيا الطبيب المداويا
أحب من الاسماء ما وافق اسمها … وأشبهه أو كان منها مدانيا
وخبرتمانى ان تيْماء منزل … لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنى قد انقضت … فما للنوى ترمى بليلى المراميا
فلو كان واش باليمامة داره … ودارى بأعلى حضْرَموت اهتدى ليا
وماذا لهم لا أحسن الله قسطهم … من الحظ فى تصريم ليلى حباليا
فأنت التى ان شئت أشقيت عيشتى … وان شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت التى ما من صديق ولا عدِى … يرى نضوْ ما أبقيت الا رثى ليا
أمضروبة ليلى على أن أزورها … ومتخذ ذنباً لها أن ترانيا
اذا سرت فى الارض الفضاء رأيتنى … أصانع رجلى أن تميل حياليا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن … شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
هى السحر الا أن للسحر رُقْيةً … وأنى لا أُلفى لها الدهر راقيا

ومن قوله

ألا يا حمام الأيك ما لك باكياً … أفارقت الفاً أم جفاك حبيب
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت … هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوب ورقاً قد أذِنَّ لصوتها … فكل لكل مسعد ومجيب

خرج المجنون فى عدة من قومه يريدون سفراً لهم ، فمروا فى طريق يتشعب وجهتين احداهما ينزلها رهط ليلى وفيها زيادة مرحلة فسألهم أن يعدلوا معه الى تلك الوجهة فأبوا فمضى وحده وقال

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة انى اذاً لصبور
هبونى امرأ منكم أضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المتروك أعظم حرمة على صاحب من أن يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها اذا وليت حكماً عليَّ تجور

ومن قوله

لقد غردت فى جنح ليل حمامة على الفها تبكي وانى لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا لما سبقتني بالبكاء الحمائم

مرَّ نفر من أهل اليمن بالمجنون فوقفوا ينظرون اليه فأنشأ يقول

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا وحب الينا بطن نعمان واديا

يقول فيها

ألا يا حمامىْ قصر ودّان هجتما عليّ الهوى لما تغنيتما ليا
فأبكيتمانى وسط صحبى ولم أكن أبالى دموع العين لو كنت خاليا
فوالله انى لا أحب لغير أن تحل به ليلى البراق الأعاليا
ألا ياخليلى حب ليلى مجشمى حياض المنايا أو مقيدى الأعاديا
ويأيها القمريتان تجاوبا بلحنيكما ثم اسجعا عللانيا
فان أنتما استطربتما وأردتما لحاقا بأطراف الغضى فاتبعانيا

ومن قوله

زد الدمع حتى يظعن الحى انمـا ... دموعك ان فاضت عليك دليل
كأن دموع العين يوم تحملوا ... جُمان على جيب القميص يسيل

ومن قوله

ألا ليت ليلى أطفأت حر زفرة ... أعالجها لا أستطيع لهـا ردا
اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا ... وجدت لمسراها ومبسمها ردا
على كبد قد كاد يبدى بها الهوى ... نُدوبا وبعض القوم يحسبنى جلدا

مالك بن الصمصامة الجعدى

شاعر بدوى مقل وكان فارسا شجاعا جوادا جميل الوجه وكان يهوى جنوب بنت محصن العبدى وكان أخوها الإصبع من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم فنمى اليه نبذ من خبر مالك فآلى يمينا جزما لئن بلغه انه عرض لها أو زارها ليقتلنه ولئن بلغه انه ذكرها فى شعر أو عرض ليأسرنه ولا يطلقه الا ان يجز ناصيته فى نادى قومه فبلغ ذلك مالكا فقال

اذا شئت فاقرنى الى جنب عيهب ... أجبٍّ ونضوى للقلوص نجيب
فـا الحلق بعد الأسر شر بقية ... من الصد والهجران وهى قريب
ألا أيها الساقى الذى بل دلوه ... بقريان يسقى هل عليك رقيب
اذا أنت لم تشرب بقريان شربة ... وجانية الجدران ظَلْت تلوب
أحب هبوط الواديين واننى ... لمشتهر بالواديين غريب
أحقا عباد الله أن لست خارجا ... ولا والجا الا علىَّ رقيب
ولا زائراً وحدى ولا فى جماعة ... من الناس الا قيل أنت مريب
وهل ريبة فى أن تحن نجيبة ... الى الفها أو أن يحن نجيب

أقبلت جنوب ذات يوم ومالك جالس فى مجلس فيه أخوها فلما رآها عرفها ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها فأغمى عليه وفطن أخوها لما به فتغافل عنه وأسنده بعض فتيان العشيرة الى صدره فما تحرك ولا أحار جوابا ساعة من نهاره وانصرف أخوها كالخجل فلما أفاق قال

ألمت فحاييت وعاجت فأمرعت — الى جرعة بين المخارم فالنحر
خليلى قد حانت وفاتى فاحفرا — برابية لى بالمخافر والبتر
لكيما تقول العبدلية كلما — رأت جدثى سقيت ياقبر من قبر

وقال لها وقد أمسك بخطام بعيرها وهى راحلة

أريتك ان أزمعتم اليوم نية — وغالك مصطاف الحمى ومرابعه
أترعين مااستودعت أم أنت كالذى — اذا مانأى هانت عليه ودائعه

فبكت وقالت بل أرعى والله ما استودعت ولا أكون كمن هانت عليه ودائعه فأرسل بعيرها وبكى ثم انصرف وقال

ألا ان خِسيًا دونه قلة الحمى — منى النفس لو كانت تنال شرائعه
وكيف ومن دون الورود عوائق — وأصبغ حامى ما أحب ومانعه
فلا أنا فيما صدنى عنه طامع — ولا أرتجى وصل الذي هو قاطعه

القتال الكلابى

هو عبدالله بن المضرحيّ عُرِف بالقتّال لتمرّده وفتكه

كان القتّال يتحدث الى ابنة عم له اسمها العالية بنت عبد الله فرآه أخوها فنهاه وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنه فلما كان بعد أيام رآه عندها فأخذ السيف وبصر به القتال فخرج هاربا وخرج فى أثره فلما دنا منه ناشده القتال بالله وبالرحم فلم يلتفت اليه فأخذ القتال رمحه فضربه به فقتله وقال

نهيت زياداً والمهامهُ بيننا ... وذكرته أرحام سعد وهَيْثَم
فلما رأيت أنه غير منته ... أملت له كفى بَلْدن مقوَّم
ولما رأيت أننى قد قتلته ... ندمت عليه أيَّ ساعة مَنْدَم

وقال

نهيت زيادا والمهامهُ بيننا ... وذكرته بالله حولا مُجرَّما
فلما رأيت أنه غير منته ... ومولاى لا يزداد الا تقدما
أملت له كفى بأبيض صارم ... حسام اذا ماصادف العظم صمما
بكف امرئ لم تخدم الحىَّ أمُّه ... أخى نجدات لم يكن متهضما

ثم خرج هارباً وأصحاب القتيل يطلبونه فمرّ بابنة عم له اسمها زينب فأخفته. فقال فيها

فمن مبلغ فتيان قومى أننى ... تسميت لما شبت الحرب زينبا
وأرخيت جلبابى على بنت لحيتى ... وأبديت للناس البنان المخضبا

وقال

جزى الله عنا والجزاء بكفه ... عمايةَ خيراً أم كل طريد
فما يزدهيها القوم ان نزلوا بها ... وان أرسل السلطان كل بريد
حمتنى منها كل عنقاء عَيْطَلَ ... وكل صفاً جمّ القلات كؤود

ومن شعره وقد تألف نمراً فى شعب من شعاب عماية

ولى صاحب فى الغار يعدل صاحبا ... أبا الجون الا أنه لا يعلل
كلانا عدو لا يرى فى عدوه ... مهزا وكل فى العداوة مجمل
اذا ما التقينا كان أنس حديثنا ... صمات وطرف كالمعابل أكحل
لنا مورد صاف بارض مضلة ... شريعتنا لأينا جاء أول
تضمنت الأروى لنا بقبولنا ... كلانا له منها سديف مخردل

فأعلمه في صنعة الود أنني   أميط الأذى عنه وما ان يهلل

وكان للقتال ابنان المسيب وعبد السلام ، ولعبد السلام يقول قوله

عبد السلام تأمل هل ترى ظُعُناً   انى كبرت وأنت اليوم ذو بصر

لا يبعد الله فتياناً أقول لهم   بالأبرق الفرد لما فاتنى نظرى

ألا ترون بأعلى عاسم ظعناً   نَكَّبن فَخَلَّين واستقبلن ذا بقر

ومن قوله يمير بني العجلان بن كعب بن ربيعة بن صعصعة ، وقد قتلت منهم بنو جعفر بن كلاب قتيلا فأخذوا عقله وكانت أمه من بني العجلان

لعمرى لحي من عقيل رأيتهم   بمَخَطْمَة أو لاقيتهم بالمناسك

عليهم من الحوك اليماني بزّة   علي أرحبيّات طوال الحوارك

أحبُّ الى نفسي وأصلح عندها   من السَّرَوات آل قيس ومالك

اذا ما لقيتم عصبة جعفرية   كرهتم بني اللَّكعاء وقع السَّنابك

فلستم بأخوالى فلا تصلنني   ولكنما أمي لاحدى العواتك

قِصار العِماد لا ترى سراتهم   مع الوفد جثّامون عند المبارك

قتلتم فلما ان طلبتم عقلتم   كذلك يؤتى بالذليل كذلك

خرج ابن هبار القرشي الى الشام فاعترضه جماعة فيهم القتال فقتلوه وأخذوا ماله فاتهم به جماعة من بنى كلاب فحبسوا وفيهم القتال فاغتال السجان وهرب فقال يذكر ذلك

أُميم أبيني قبل جد التَّزَيُّل   أبيني بوصل أو بصَرْم معجل

أميم وقد حملت ما حمل امرؤ   وفي الصرم احسان اذ لم ينول

واني وذكرى أم حيان كالفتى   متى ما يذق طعم المدامة يجهل

وقال يذكر ابن هبار

تركت ابن هبّار لدى الباب مسندا   وأصبح دوني شابة فأرومها

بسيف امرىء ما ان أخبر باسمه   وان حقرت نفسى الى همومها

ومن قوله

ان العروق اذا استنز عنها نزعت   والعرق يسْري اذا ماعَرَّس السارى
قد جرب الناس عودى يقرعون به   فأقصروا عن صليب غير خوَّار

وقال يهجو قومه لتوانيهم فى نصره ، وكانت عشيرته تبغضه لكثرة جناياته وما يلحقها من أذاه ولا تمنعه من مكروه

اذا ما لقيتم راكباً متعماً   فقولوا له ما الراكب المتعمم
فان يك من كعب بن عبد فانه   لئيم المحيا حالك اللون أدهم
دعوت أبا كعب ربيعة دعوة   وفوقى غواشى الموت تنْحى وتنجم
ولم أك أدري أنه ثُكْل أمه   اذا قيل للأحرار فى الكربة اقْدُموا
فلو كنت من قوم كرام أعزة   لحا ميت عنى حين أحمى وأضرم
دعوت فكم أسمعت من كل مؤذن   قبيح المحيا شانه الوجه والفم
ولكنما قومى قُماشة حاطب   يجمعها بالكف والليل مظلم

ومن شعره وفيه غناء

أعالى أعلى الله جدك عاليا   وأسقى بريك العِضاه البواليا
أعالى ما شمس النهار اذا بدت   بأحسن مما تحت بُرْدَيْك عاليا
أعالى لو أن النساء ببلدة   وأنت بأخرى لاتبعتك ماضيا
أعالى لو أشكو الذى قد أصابنى   الى غصن رطب لأصبح باليا
أعالى أخت المالكين نولى   بما ليس مفقوداً وفيه شفائيا
أصارمتى أم العلاء وقد رمى   بى الناس فى أم العلاء المراميا
أيا اخوتى لا أصبحن بِعَضَلَة   تشيب اذا عدت عليَّ النواصيا
واتبعته فيكم اذا كان حقهم   كما كنت لو كنت الطريد مراديا

وشمر ولا تجعل عليك غضاضة ولا تنس يا ابن المضرَحيِّ بلائيا

وهذه القصيدة يقولها يحض أخاه وعشيرته على تخليصه من المطالبة التى يطالب بها فى قتل زياد بن عبيد الله واحتمال العقل عنه ويلومهم فى قعودهم عن المطالبة بثار لهم قبل بني جعفر بن كلاب ، وكان السبب فى ذلك أن عمرو بن سلمة من بني أبي بكر بن كلاب كان قد أسلم فحسن إسلامه ووفد الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقطعه حمى بين الشقراء والسعدية ، وهى رحبة طولها تسعة أميال فى ستة أميال فأقطعه إياها ، فأحماها ابنه جحوش ، فاسترعاه نفر من بنى جعفر بن كلاب فأرعاهم ، فحملوا الفهم مع خيلهم بغير اذنه ، فأخبر بذلك ، فغضب وأراد اخراجهم منه ، فقاتلوه ، فكانت بينهم شجاج بالعصى والحجارة من غير رمى ولا طعان ولا تسايف ، فظهر عليهم جحوش ، ثم تداعوا الى الصلح ومشت السفراء بينهم على أن يدعوا جميعاً الجراحات ، فتواعدوا للصلح بالغداة وأخ لجحوش يقال له سعد فى حلقه سلعة وهو متنح عن الحى عند امرأة من بنى أبى بكر ترقيه ، فرجع الى أخيه ومعه رجلان من قومه يقال لأحدهما محرز بن يزيد وللآخر الأخدر بن الحرث ، فلقيهم قراد ابن الأخدر وابن عمه أبو ذرّ بن الأشهل ، فحمل قراد على سعد فطعنه فقتله ، فحذف محرز فرس قراد فعقرها فأردفه أبو ذر خلفه ولحقوا بأصحابه الجعفريين وأوقد جحوش بن عمرو نار الحرب فى رأس جرعاء طويلة ، فاجتمعت اليه بنو أبى بكر بن كلاب ، وخرج قراد هارباً الى بشر بن مروان وهو ابن عمته ، حتى اذا كان بالقفار[1] حميت عليه الشمس ، فأناخ الى بيت امرأة من بني أسد فقال في بيتها ، فبينا هو نائم اذ نبهته الأسدية فقالت له وما دهاك ويحك ؟ انظر الى الطير تحوم حول ناقتك ، فخرج يمشى الى ناقته فاذا هى قد خرجت والطير تمزق ولدها ، فجاء فأخبرها ، فقالت ان لك لخبراً فاصدُقنى عنه فلعله يكون لك فيه فائدة ، فأخبرها أنه مطلوب بدم فهو هارب طريد ، قالت فهل وراءك أحد تشفق عليه ؟ فقال أخ لى

(١) جبل بعينه

يقال له جباه وهو أحب الناس إليّ ، قالت هو فى أيدى أعدائك فارجع أو امض ، فخرج لوجهه الى بشر ، ولما حرض القتال قومه على الطلب بثأرهم في الجعفريين وغيرهم بالقعود عنهم ومضى جميعهم لقتال بنى جعفر ، قال لهم الجعفريون يا قومنا مالنا فى قتالكم حاجة وقاتل صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جباه فاقتلوه ، فرضوا بذلك ، فأخذوا جباهاً ، فلما صاروا بأسود العين [1] قدمه جحوش فضرب عنقه بأخيه سعد ، ومما قاله القتال في تحريضهم قوله من قصيدة طويلة

فيا لأبى بكر ويا لجحوش ولله مولى دعوة لايجابها
أفي كل عام لا تزال كتيبة ذويبية تهفو عليكم عُقابها
يسقى ابن بشر ثم يمسح بطنه وحولى رجال ما يسوغ شرابها
لهم جزُر منكم عَبيط [2] كأنه وقاع الملوك فتكها واغتصابها
فما الشر كل الشر لاخير بعده على الناس الا أن تذِلّ رقابها
نساء ابن بشر بُدّن ونساؤنا بلايا عليها كل يوم سلابها

الراعى

هو عبيد بن حصين بن معاوية النُميْرى من نمير بن عامر بن صعصعة ويكنى أبا جندل والراعى لقب له لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها ، وهو شاعر فَحْل من شعراء الاسلام وكان مقدماً مفضلاً حتى اعترض بين جرير والفرزْدق فاستكفه جرير فأبى أن يكُف فهجاه ففضحه

ومن شعره يمدح سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد

نرجّي من سعيد بنى لُؤَىّ أخى الأعياص أنواءً غِزارا
تلق نوءُهن سرار شهر وخير النوء ما لقى السّرارا
خليل تعزُب العَـلات عنه اذا ما حان يوم أن يُزارا

(١) جبل بعينه (٢) الذبيحة العبيط هى المنحورة من غير علة وهى سمينة فتية

متى ما تأته ترجو نـداه   فلا بُخلا تخاف ولا اعتذارا
هو الرجل الذى نسبت قريش   فصار المجد منها حيث صارا
وأنضاء تحن الى سعيد   طروقا ثم عجّلن ابتكارا
على أكوارهن بنو سبيـل   قليل نومهـم الا غِرارا
حمـدن مزاره ولقين منـه   عطاء لم يكن عِدةً ضمارا(١)

وأولها وفيه غناء

ألم تسأل بعـارمة الديارا   عن الحى المفارق أين سارا
بلى سألتهـا فأبت جوابا   وكيف سؤالك الدِّمن القفارا

وكان الراعي يقضى للفرزدق على جرير ويفضله حتى قال فيه جرير قصيدته التى يقول فيها

فغُضَّ الطرف انك من نُمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فأسكته ، ومرَّ بعد ذلك به راكب وهو يتغنى

وعاوٍ عوى من غير شيء رميته   بقافية أُنفاذها تقطر الدما
خـروج بأفواه الرواة كأنهـا   قَرا هُنْدُوانى اذا هُزَّ صمّما

والشعر لجرير فقال الراعى ألام أن يغلبنى هـذا ؟ والله لو اجتمع الانس والجن على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً

قال محمد بن سلام كان الراعى من رجال العرب ووجوه قومه وكان يقال له فى شعره كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل ، أى انه لا يحتذى شعر شاعر ولا يعارضه وكان مع ذلك بذياً هجاء لعشيرته

جاور الراعى بني سعد بن زيد مناة نذسب بامرأة منهم من بني عبدشمس ثم أحد بنى وابش فقال

(١) الضمار كل ما لا تكون منه على ثقة

بني وابش انا هَوِينا جِوارَكم … وما جمعتنا نِيّة قبلها معا
خليطين من حيين شتّي تجاورا … جميعا وكانا بالتفرق أضيعا
أرى أهل ليلى لا يبالى أسيرهم … على حالة المحزون أن يتصدعا

وقال فيها أيضا

تذكر هذا القلب هند بني سعد … سفاها وجهلا ما تذكر من هند
تذكر عهدا كان بيني وبينها … قديما وهل أبقت لك الحرب من عهد

فلما بلغهم شعره أزعجوه وأصابوه بأذى فخرج عنهم وقال فيهم

أرى ابلى تكلأ راعياها … مخافة جارها الدَّنِس الذميم
وقد جاورتهم فرأيت سعدا … شَعاع الأمر عازبة الحلوم
فأُمِّى أرض قومك ان سعدا … تحملت المخازى عن تميم

ومن قوله يهجو عديّ بن الرِّقاع

لو كنت من أحد يُهْجَى هجوتكمُ … يا ابن الرِّقاع ولكن لستَ من أحد
تأبى قُضاعة لم تعرف لكم نسبا … وابنا نِزار وأنتم بيضة البلد

لما أنشد الراعى عبد الملك بن مرْوان قوله

فان رفعت بهم رأسا نعشتهمُ … وان لقوا مثلها من قابل فسدوا

قال له عبد الملك فتريد ماذا ؟ قال ترد عليهم صدقاتهم فتُنعشهم ، قال هذا كثير ، قال أنت أكثر منه ، قال قد فعلت ، فسلنى حاجة تخصك ، قال قد قضيت حاجتى ، قال سل حاجة لنفسك ، قال ما كنت لأفسد هذه المكرمة

وجندل بن الراعى شاعر وهو الذي يقول

طلبت الهوى الغوْريّ حتى بلغته … وصيرت فى نَجْدِيّه ما كفانيا
وقلت لحلمى لا تُزِعْنى عن الصبا … وللشيب لا تذْعَر على الغوانيا

أبو حية النميرى

هو الهيثم بن الربيع بن زُرارة النميرى شاعر مجيد مقدم من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وقد مدح الخلفاء فيهما جيعا وكان فصيحاً مُقصّداً راجزاً من ساكنى البصرة وكان أهوج جبانا بخيلا كذابا معروفا بذلك أجمع ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقدمه على الراعى . وقال الأصمعى أبو حية فى الشعراء كالرجل الرَّبْعة لا يعد طويلا ولا قصيراً وقد أدرك هشام بن عبد الملك

دخل على المنصور وقد امتدحه وهجا بنى حسن بقصيدته

عوجا نُحَيِّ ديار الحى بالسَّنَد ... وهل بتلك الديار اليوم من أحد

يقول فيها

أحين شِبتم فلم يترك لهم ترة ... سيف تقلده الرئبال ذو اللِّبَد

سللتموه عليكم يابنى حسن ... ماان لكم من فلاح آخر الأبد

قد أصبحت لبنى العباس صافية ... لجذع آناف أهل البغي والحسد

وأصبحت كلهاة[1] الليث فى فمه ... ومن يحاول شيئا فى فم الاسد

ومن قوله وفيه غناء

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا ... لَبِسْنَ البِلي مما لبسن اللياليا

اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لا يَمَلّ التقاضيا

كان لابى حية سيف يسميه لُعاب المنية ليس بينه و بين الخشبة فرق ، وكان من أجبن الناس ، فدخل ليلة الي بيته كلب فظنه لصا فانتضى سيفه وهو واقف وسط الدار وقال أيها المغتر بنا والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لُعاب المنية الذى سمعت به ، مشهوورة ضربته لاتخاف

(١) اللهاة اللحمة المشرفة على الحلق

نبوته ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، انى والله ان أَدْعُ قيسا اليك لاتقم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورَجْلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ، فبينا هو كذلك اذا الكلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حربا

حدث سعيد بن مَسْعَدة الأخفش قال قال أبو حية النميرى أتدرى ما يقول القدريون ؟ قلت لا ، قال يقولون ان الله لم يكلف العباد مالا يطيقون ولم يسألهم مالا يجدون ، وصدق والله القدريون ولكن لا أقول كما يقولون

مزاحم العقيلى

هو مُزاحم بن عمرو بن الحرث من عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بدوى شاعر فصيح اسلامى صاحب قصيد ورجز كان فى زمن جرير والفرزدق وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه، وكان يقول ما من بيتين كنت أحب أن أكون سبقت اليهما كبيتين من قول مزاحم

وددتُ على ما كان من سَرَفِ(١) الهوى — وغَيِّ الأمانى ان ماشئت يفعل
فترجع أيام مضَيْنَ ولذة — تولت وهل يُثْني من العيش أول

ومن قوله وكان اسحق الموصلى يستجيدها ويستحسنها

لصفراء فى قلبى من الحب شُعْبَة — حمًى لم تُبِحه الغانيات سَموم
بها حل بيت الحب ثم انثنى بها — فبانت بيوت الحى وهو مقيم
بكت دارهم من نأيهم فتهللت — دموعى فأىَّ الجازعين ألوم
أمستعبر يبكى من الحب والجوى — أمَ آخر يبكى شَجْوه فيهيم
تضمنه من حب صفراء بعد ما — سلا هضباتُ الحب فهو كظيم
ومن يتهيَّض (٢) حبهنَّ فؤاده — يمت أو يعش ما عاش وهو سقيم

(١) سرف الهوى خطؤه (٢) تهيضه الغرام عاوده مرة بعد أخرى

لحرّان صادٍ ذيد عن برد مشرب ... وعن بللات الريق فهو يحوم

خطب مزاحم بنت عمه دنية فمنعها لاملاقه وقلة ماله وانتظروا بها رجلا موسرا من قومها كان ذكرها ولم يحقق وهو يومئذ غائب ، فبلغ ذلك مزاحما من فعلهم فقال لعمه يا عم أتقطع رحمى وتختار علىّ غيرى لفضل أباعر تحوزها وطفيف من الحظ تحظى به ، وقد علمت انى أقرب اليك من خاطبها الذى تريده وأفصح منه لساناً وأجود كفاً وأمنع جانباً وأغنى عن العشيرة ، فقال لا عليك فانها اليك صائرة وانما أعلل أمها بهذا ويكون أمرها لك ، فوثق به ، وأقاموا مدة ، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب وعاد الرجل الخاطب لها فذكروا أمرها فرغب فيها فأنكحوه إياها ، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول

نزلت بمفضى سيل حرسين(١) والضحى	يلوح بأطراف المخارم آلها
بمسقية الأجفان أكفر دمعها	مقاربة الآلاف ثم زيالها
فلما نهاها اليأس أن تؤنس الحمى	حمى البئر حلى عبرة الجفن جالها
أيا ليلَ ان تشحط بكِ الدار غربة	سوانا ويعنِ النفسَ فيكِ احتمالها
فكم ثم كم من عبرة قد رددتها	سريع على جيب القميص انهلالها
خليليَّ هل من حيلة تعلمانها	يقرب من ليلى الينا احتيالها
فان بأعلى الأخشبين أراكةً	عدتني عنها الحرب دان ظلالها
وفى فرعها لو تستطاع جنانها	جنًى يجتنيه المجتني أو ينالها
هنيئاً لليلى مهجة ظفرت بها	وتزويج ليلى حين حان ارتحالها
فقد حبسوها محبس البُدن وابتغى	بها الربحَ أقوام تساخف مالها
وأن مع الركب الذين تحملوا	غمامةَ صيف ذعذعتنا شمالها

وقع بينه وبين رجل من جعدة لحاء فى المال ، فتشاتما وتضاربا بعصيهما فشجه

---

(١) من مياه بنى عقيل بنجد والمخارم الطرق فى الغلظ

مُزاحم شَجّةً أَمّته (١) فاستعدت جعدة على مزاحم ، فحبس حبساً طويلاً ثم هرب من السجن فمكث في قومه مدة وعزل ذلك الوالي وولى غيره فسأله ابن عم لمزاحم يقال له مُغَلّس أماناً لمزاحم ، فكتب له ، وجاء مغلس والأمان معه ، ففرّ مزاحم وظنها حيلة من السلطان ، فهرب وقال

أتاني بقرطاس الأمير مُغَلّس ... فأفزع قرطاس الأمير فؤاديا
فقلت له لا مرحبا بك مرسلاً ... إليّ ولا لي من أميرك داعيا
أليست جبال القَهْر قُعْساً مكانها ... وعَرْوَى وأجبال الوِحاف كما هيا
أخاف ذنوبي أن تعدّ ببابه ... وما قد أزلّ الكاشحون أماميا
ولا أستريم عقبة الأمر بعد ما ... تورّط في يهماء كعبي وساقيا

كان مُزاحم يهوى امرأة من قومه ، فغاب غيبة من بلاده وقد زوجت فقال

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت ... فظلت بي الأرض الفضاء تدور
وقد زايلت لبي وقد كان حاضراً ... وكاد جناني عند ذاك يطير
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا ... تلاق وعيني بالدموع تمور
أيا سرعة الأحباب حين تزوّجت ... فهل يأتيني بالطلاق بشير
ولست بمحض حب ليلى اسائل ... من الناس الا أن أقول كثير
لها في سواد القلب تسعة أسهم ... وللناس طرّاً من هواى عشير
وتنشر نفسى بعد موتى بذكرها ... مراراً فموت مرة ونشور
عججت لربى عجّة ماملكتها ... وربى بذي الشوق الحزين بصير
ليرحم ماأبقى ويعلم أنني ... له بالذى يسدى إليّ شكور
لئن كان يهدى برد أنيابها العلى ... لأحوج منى انني لفقير

دخل الفرزدق على عبد الملك بن مروان وبعض بنيه عنده ، فقال للفرزدق

(١) أمه أصاب أم رأسه وهى الجلدة الرقيقه التي على المخ

أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا الا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الابل وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير ، فسأله عن مثل ما سأل عنه الفرزدق ، فأجابه بجوابه ، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة ، فقال له أأنت أشعر الناس ؟ قال لا ولكن غلام يقال له مزاحم من بنى عقيل يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله ، فقال أنشدنى بعض ما تحفظ من ذلك ، فأنشده قوله

خليليَّ عوجا بى على الدار نسأل — متى عهدها بالظاعن المتحمل
فعجت وعاجوا فوق بيداء صفقت — بها الرِّيح جولان التراب المنخَّل

حتى أتى على آخرها ، ثم قال ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا

القحيف العقيلى

هو القُحيف بن خُمَيْر أحد بنى قُشَيْر بن مالك بن خفاجه بن عقيل شاعر مقل من شعراء الاسلام وكان يشبب بخرقاء التى كان ذو الرمة يشبب بها ، وهى التى يقول فيها

لقد أرسلت خَرْقاء نحوى جريها — لتجعلنى خرقاء ممن أضلت
وخرقاء لا تزداد الا ملاحة — ولو عُمِّرت تعمير نوح وجلت

كان القحيف يتحدث الى امرأة من بنى عبس وقد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عشقا وكان يخبرها ان له نعماً ومالاً ، وهَوِيته العبسية وكان أجمل الرجال وأشعرهم ، فلما طال عليها واستحيا من كذبه إياها فى ماله ارتحل عنهم وقال

تقول لي أُخت عَبْس ما أرى ابلا — وأنت تزعم من والاك صنديد
فقلت يكفى مكان اللوم مُطَّرِد (١) — فيه القَتِير بسُمْر القينْ مشدود
وشِكة صاغها وَفْراء كاملة — وصارم من سيوف الهند مقدود

(١) هو الرمح والقتير رءوس مسامير الدروع

انى ليرعى رجال لي سوامهم لى العقائل منها والقماحيد (١)

جمع المهير بن سلمى الحنفى جموعا يريد بهم غزو بني عقيل و بني كلاب وسائر بطون عامر، فقال القحيف

أمن أهل الأراك عفت ربوع نعم سقياً لهم لو تستطيع
زيارتهم ولكن أحضرتنا هموم ما يزال لها مشيع
كأن البين جرعنى زعافا دم الحيات مطعمه فظيع
وماء قد وردت على جباه حيام حمائم وقطاً وقوع
جعلت عمامتي صلة لبردى اليه حين لم ترد النسوع
لأسق فتيـــة ومنقبات أضر بنقبها (٢) سفر وجيع
لقد جمع المهير لنا فقلنا أتحسبنا تروعنا الجموع
سترهبنا حنيفة ان رأتنا وفى أيماننا البيض اللموع
عقيل تعتزى وبنو قشير توارى عن سواعدها الدروع
وجعدة والحريش ليوث غاب لهم فى كل معركة صريع
فنعم القوم فى الأزبات قومى بنو كعب اذا جحد الربيع
كهول معقل الطرداء فيهم وفتيـــان غطارفة فروع
فهلا يامهير فأنت عبـــد لكعب سامع لهم مطيع

وأرسل المهير رسولا أمره أن يأخذ صدقات بنى كعب جميعاً فقتلوا الرسول وصلبوه فقال القحيف فى ذلك

أتانا بالعتيق صريخ كعب فنحن النبع والأسل النهال
وحالفنا السيوف ومضمرات سواء هن فينا والعيال

(١) جمع قمحدوة وهى ما أشرف على القفا من عظم الرأس والهامة فوقها والقذال دونها مما يلى المقد (٢) النقب قرحة تخرج فى الجنب

تعادى فى الوغى مثل السَّعالى ومن زُبَر الحديد لها نعال

نظر بعض الفقهاء الى القحيف وهو يحد النظر الى امرأة فنهاه عن ذلك وقال له أما تتقى أن تنظر هذا النظر الى غير حرمة لك فقال القحيف

أقسمت لا أنسى وان شطَّت النوى عَرانينهن الشُّمَّ والأعين النُّجلا

ولا المسك من أعطافهن ولا البُرَى ضممن وقدلو ينها قصاخَدْلا (١)

يقول لي المفتى وهن عشية بمكة يرحن المهدبة السُّحْلا (٢)

تقِ الله لا تنظر اليهن يا فتى وما خلتنى فى الحج ملتمسا وصلا

وان صبا ابن الأربعين لسُبَّةٌ فكيف مع اللائي مثلن لنا مثلا

عواكف بالبيت الحرام وربما رأيت عيون القوم من نحوها نجلا

وله وفيه غناء

خليليَّ ماصبرى على الزَّفرات وما طاقتى بالهم والعبرات

تساقَطُ نفس كل يوم وليلة على اثر ما قد فاتها حسرات

ليلى وتوبة

ليلى بنت عبد الله بن الرَّحال بن شداد بن كعب بن معاوية وهو الأخيَل بن عبادة بن عقيل ، وهى من النساء المتقدمات فى الشعر من شعراء الاسلام ، وتوبة هو ابن الحُمَيِّر بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، كان يتعشق ليلى ويقول فيها الشعر فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها فى بنى الأذلَع ، فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها فاذا هى سافرة ولم ير منها اليه بشاشة فعلم أن ذلك لأمر ما كان ، فرجع الى راحلته فركبها ومضى ، وبلغ بنى الأدلع أنه أتاها فتبعوه ففاتهم ، فقال توبة في ذلك

---

(١) الخدل الممتلىء والضخم والمراد الساق (٢) المهدبة ذات الهدب وهو خمل الثوب والسحل جمع السحل بالفتح وهو الثوب لايبرم غزله

نأتك بليلى دارها لا تزورها ... وشطّت نواها واستمر مريرها

وهي طويلة يقول فيها

حمامة بطن الواديين ترنمى ... سقاك من الغر الغوادى مطيرها
أبينى لنا لا زال ريشك ناعماً ... ولازلت فى خضراء دان بريرها[١]
وأشرف بالقور[٢] اليفاع لعلني ... أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
وكنت اذا ماجئت ليلى تبرقعت ... فقد رابنى منها الغداة سفورها
عليَّ دماء البدن ان كان بعلها ... يرى لي ذنباً غير انى أزورها
وأنى اذا ما زرتها قلت يا اسلمى ... وما كان في قوله اسلمى ما يضيرها
وغيرنى ان كنت لما تغيرت ... هواجر اذ تكفينها وأسيرها
وأدماء من حر المهارى كأنها ... مهاة صحار غير مامس كورها
قطعت بها أجواز كل تنوفة ... مخوف رداها كلما استن مورها[٣]
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم ... دعاميص ماء جف عنها غديرها

خرج توبة إلى الشام فمر ببنى عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه فشق ذلك على جميل « وذلك قبل أن يظهر حبه لها » فقال له جميل من أنت ؟ قال أنا توبة ابن الحمير ، قال هل لك فى الصراع ؟ قال ذلك اليك ، فشدت عليه بثينة ملحفة مورّسة فاتزر بها ، ثم صارعه فصرعه جميل ، ثم قال هل لك فى النضال ؟ قال نعم ، فناضله فنضله جميل ، ثم قال له هل لك فى السباق ؟ فقال نعم ، فسابقه فسبقه جميل فقال له توبة ياهذا إنما تفعل ذلك بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا بطن الوادى ، فصرعه توبة ونضله وسبقه

---

(١) البرير أول ما يظهر من ثمر الاراك (٢) القور جمع القارة وهى الاصاغر من الجبال والأعاظم من الآكام واليفاع التل المشرف (٣) جوز الشيء وسطه ومعظمه والجمع أجواز والمور التراب تثيره الريح

مقتل توبة

كان توبة يغـير زمن معاوية بن أبي سفيان على قُضاعة وخَثْعَم ومَهْرة وبنى الحرث بن كعب ، وكانت بينهم وبين بني عقيـل غارات ، فكان توبة اذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه فى الرَّوايا ثم دفنه فى بعض المفازة على مسيرة يوم منها ، فيصيب ماقدر عليه من إبلهم فيدخلها المفازة فيطلبهم القوم فاذا دخل المفازة أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه ، فمكث كذلك حيناً ، ثم انه أغارهو وأخوه عبدالله ابن الحمير ورجل يقال له قابض بن أبي عقيل فوجد القوم قدحذِروا فانصرف مُخْفِقاً لم يصب شيئاً ، فمر برجـل من بني عوف بن عامر بن عقيل منتحياً عن قومه فقتله توبة وقتل رجلا كان معه من رهطه وأطرد إبلهما ، ثم خرج عامداً يريد عبدالعزيز ابن زُرارة الكلابى ، وخرج ابن عم للمقتول الى بني عوف بن عامر فأخبرهم الخبر فركبوا فى طلب توبه فأدركوه فى أرض بنى خفاجة وقد أمن فى نفسه فنزل وقد كان أسرى يومه وليلته فاستظل ببُرْديه وألقى عنه درعه وخلى عن فرسه الخوصاء تتردد قريباً منه وجعل قابضاً ربيئة له ونام ، فأقبلت بنو عوف متقاطرين لئلايفطن لهم أحد ، فنظر قابض فأبصر رجلا منهم فأقبل الي توبة فأنبهه ، فقال توبةمارأيت ؟ قال رأيت شخص رجل واحد ، فنـام ولم يكترث له وعاد قابض الى مكانه فغلبته عيناه فنام ، فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابض حتى غشوه ، فلما رآهم طار على فرسه وأقبل القوم الي توبة ، وكان أول من تقدم غلام أمرد يقال له يزيد ابن روبية بن سالم على فرس عربى ثم تلاه ابن عمه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا ، فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وَسْنان فلبس درعه على سيفه ثم صوَّت بفرسه الخوصاء فأتته ، فلما أراد أن يركبها أهوت ترمحه ثلاث مرات ، فلـما رأى ذلك لطم وجهها فأدبرت وحال القوم بينه وبينها فأخذ رمحه وشد على يزيد بن روبية فطعنه فأنفذ فخذيه جميعاً وشد على توبة ابن عم الغـلام فطعنه فقتله وقطعوا رجل

عبد الله ، فلما رجع عبد الله بعد ذلك الي قومه لاموه وقالوا له فررت عن أخيك. فقال فى ذلك

تأوبنى بغازية الهموم ... كما يعتاد ذا الدين الغريم
كأن الهمّ ليس يريد غيرى ... ولو أمسى له نَبَط ورُوم
علامَ تقول عاذلتى تلوم ... تؤنبنى وما انجاب الصريم (١)
فقلت لها رويداً كي تَجَلّى ... غواشى النوم والليل البهيم
ألما تعلمى أنى قديماً ... اذا ما شئت أعصِى من يلوم
وأن المرء لا يدرى اذا ما ... يهم علام تحمله الهموم
وقد تُعدّى على الحاجات حَرْف ... كركب الرَّعْن ذعْلبة عقيم (٢)
مداخَلة الفقَار وذات لَوْث ... على الحرَّات مقحمة غَشوم (٣)
كأن الرحل منها فوق جأب (٤) ... بذات الحاذ معقله الصريم
طباه برجلة البقار برق ... فبات الليل منتصباً يَشيم (٥)
فبينا ذاك إذ هبطت عليه ... دَلوح المزن واهية هزيم (٦)
تَهُب لها الشمال فتمتريها ... ويمقبها بنافجة نسيم
يُلث إذا الرباب جرى عليه ... كما يُصغى الى الآسى الأميم (٧)
إذا ما قال أقشع جانباه ... نشت من كل ناحية غيوم

(١) الصريم الليل وتقول تظن (٢) الحرف الناقة الضامرة الصلبة شبهت بحرف الجبل فى شدتها وصلابتها والرعن أنف يتقدم الجبل والذعلبة السريعة (٣) الفقار ما تنضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجب وهو خرزات الظهر والمعنى أنها اكتنزت واشتد أسرها واللوث القوة والحرات جمع حرة وهى أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار وأقحم الفرس النهر أى دخله بعنف (٤) الجأب الغليظ من حمر الوحش وذات الحاذ موضع بنجد والصريم موضع بعينه (٥) شام البرق نظر اليه أين يقصد وأين يمطر ورجلة البقار موضع وطباه دعاه (٦) الدلوح السحابة الكثيرة الماء والغيث الهزيم الذى لا يستمسك

(٧) ألث المطر دام أياماً ولم يقلع والرباب السحاب الأبيض والآسى الطبيب والأميم المشجوج

فأشــــعر ليله أرقاً وقرّا يُسهّده كما أرِق السليم
ألا من يشترى رجلا برجل تخوّنها الســـلاح فما تسوم
تلومك فى القتال بنو عقيل وكيف قتال أعرجَ لايقوم
ولو كنت القتيل وكان حيا لقاتل لا ألفَّ ولا سؤم
ولا جثّــامة ورع هيوب ولا ضَرِع إذا يمشى جثوم

ثم ان خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف الذين قتلوا توبة ، فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحرث بن كعب ، ثم افترقت بنو خفاجة فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا فجمعت لهم بنو خفاجة أيضاً قبائل عقيـل ، فلما رأت ذلك بنو عوف لحقوا بالجزيرة فنزلوها ، ثم ان بنى عامر بن صعصعة صاروا فى أمرهم الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة لمعاوية فقالوا ننشدك الله أن تفرق جماعتنا ، فعقل توبة وعقل الآخرين معاقل العرب مائة من الابل فأدتها بنو عامر ، ولم يبق بالعالية من بنى عوف احد وأقامت بنو ربيعة بن عقيل وعروة بن عقيل وعبادة بن عقيل بمكانهم من البادية .

وقالت ليلى ترثيه

نظرت وركن من بُوانة دوننا وأركان حِسْمى أىَّ نظرة ناظر
لآنس ان لم يقصُر الطرف عنهمُ فلم تقصر الأخبار والطرف قاصرى
فوارس أجلى شأْوُها عن عقيرة لعاقرها فيها عقَيرة عاقر (١)
فآنست خيـلاً بالرُّقيِّ مغيرةً سوابقها مثل القطا المتواتر
قتيل بنى عوف (٢) ويثبر دونه قتيل بنى عوف قتيـل لجابر
توارده أســـيافهم فكأنما تصادرن عن أقطاع أبيض باتر

(١) شـأوها سرعتها وهو الطلق وعقيرة تعنى توبة ولعاقرها يعنى لعاقر توبة عقيرة عاقر أى الهلاك (٢) هم بنو عوف بن عامر بن عقيل الذين قتلوا توبة

من الهِنْدُ وانيات فى كل قطعة   دم زَلَّ عن أثر من السيف ظاهر
أتته المنايا دون زَغْف(١) حصينة   وأسمر خطى وخَوْصاء ضامر
على كل جَرْداء السَّراة وسابح   لهن بشُبَّاك الحديد زوافر
عوابس تعدو الثَّعْلبية ضُمَّرًا   وهن سواج بالشكيم سواجر
فلا يبعدنك الله توبة انما   لقاء المنايا دارعا مثل حاسر
فإلَّا تك القتلى بَواء(٢) فانكم   ستلقَوْن يوما ورده غير صادر
وان السَّليل إذ يبالى قتيلكم   كمرجومة من عركها(٣) غير طاهر
فان تكن القتلى بَوَاء فنكم   فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى   لقِدْر عيالا دون جار مجاور
ولا تأخذ الكُوم الجلاد رماحها   لتوبة فى نحس الشتاء الصَّنابر(٤)
اذا ما رأته قائماً بسلاحه اتـقته الخِفاف بالثقال البهازر(٥)
اذا لم يجد منها برِسْل(٦) فقصره   ذُرَى المرهفات والقِلاص النواجر
قِرى سيفه منهن شاسا وضيفه   سنام البهاريس السياط المشافر
وتوبة أحيا من فتاة حييّة   وأجرأ من ليث بخفَّان خادر
ونعم فتى الدنيا اذا كان فاجرا   وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى ينْهِل الحاجات ثم يُعِلُّها   فيطلعها عنه ثنايا المصادر
كأن فتى الفتيان توبة لم يُنِخْ   قلائص يَفْحَصن الحصا بالكراكر(٧)
ولم يَبْنِ أبراداً عِتاقاً لفتية   كرام ويرحل قبل فىء الهواجر
ولم يتجل الصبح عنه وبطنه   لطيف كطى السِّب(٨) ليس بحاذر

(١) الزغف الدرع الدقيقة حسنة السلاسل (٢) بواء متساوية فى القصاص
(٣) العرك الحيض (٤) صنابر الشتاء شدة برده والكوم جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام (٥) البهزرة الناقة الجسيمة الضخمة الصفية والجمع بهازر
(٦) الرسل اللبن ما كان (٧) الكراكر جمع كِركرة بالكسر وهى صدر كل ذى خف
(٨) السب شقة كتان رقيقة

فتى كان للمولى سَنَاء ورفعة ... وللطارق السارى قِرًى غير باسر [١]
ولم يُدْعَ يوماً للحفاظ وللعدا ... وللحرب يرمى نارها بالشراشر [٢]
وللبازل الكوْماء يرغو حُوارها ... وللخيل تعدو بالكُماة المساعر
كأن لم تكن تقطع فلاة ولم تُنِخْ ... قلاصاً لذى بأو [٣] من الأرض غابر
وتصبح بموْماة كأن صريفها ... صريف خطاطيف المدى فى المحافر
طوت نفعها عنا كِلاب وآثرت ... بنا أجهلوها بين غاو وشاعر
وقد كان حقاً أن تقول سراتهم ... لما لأخينا عائشا غير عاثر
ودَوِّية قفر يَحارُبها القطا ... تخطيتها بالناعجات [٤] الضوامر
فتالله تبنى بيتها أم عاصم ... على مثله احدى الليالي الغوابر
فليس شهاب الحرب توبة بعدها ... بغازٍ ولا غادٍ بركب مماهر
وقد كان طَلَّاع النِّجاد وبَيِّن اللسان ومِدْلاج السُّرى غير فاتر
وقد كان قبل الحادثات اذا انتحى ... وسائق [٥] أو مغبوطة لم يغادر
وكنت اذا مولاك خاف ظُلامةً ... دعاك ولم يَعدِل سواك بناصر
فان يك عبد الله آسى ابن أمه ... وآب بأسلاب الكمىِّ المغاور
فكان كذات البوِّ تضرب عنده ... سباعاً وقد ألقينه فى الجراجر [٦]
فان تك قد فارقته لك غادراً ... وأنى لحى غدر من فى المقابر
فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا ... وأحفِل من نالت صروف المقادر
على مثل همام ولابن مطرف ... لتبك البواكى أو لبشر بن عامر
غلامان كانا استوردا كل سَوْرة ... من المجد ثم استوثقا فى المصادر

---

(١) بسر الانسان كلح فهو باسر (٢) ألق عليه شراشره هو هواه الذى لا يريد أن يدعه من حاجته وألق عليه شراشره أى أثقاله (٣) البأو الفخر
(٤) الناعجة الناقة السريعة يصاد عليها نعاج الوحش (٥) الوسيقة من الابل كالرفقة من الناس جمعه وسائق (٦) الجراجر العظام من الابل

ربيعين حيا كانا يفيض نداهما ... على كل مغــمور تراه وغامر
كأن سنا ناريهما كل شتوة ... سنا البرق يبدو للعيون النواظر

وقالت أيضا وكان الأصمعى يعجب بها

أيا عين بكى توبة بن الحمير ... بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شئون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه ... ولا يبعث الأحزان مثل التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم يسر ... بنجد ولم يطلع من المتغور
ولم يرد الماء السدام (١) اذا بدا ... سنا الصبح فى بادى الحواشى منور
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ الـ ... ـجفان سديفا يوم نكباء صرصر
ولم يعل بالجرد الجياد يقودها ... بسبرة بين الاشمسات فيأسر
وصحراء موماة يحار بها القطا ... قطعت على هول الجنان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها ... سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت أرض العدو سقيتها ... مجاج بقيات المزاد المغــبر
ولما أهابوا بالنهاب حويتها ... بخاظى (٢) البضيع كره غير أعسر
يمر ككر الأندرى (٣) مثابر ... اذا ما ونين مهلب الشد محضر
فألوت بأعناق طوال وراعها ... صلاصل بيض سابغ وسنور (٤)
ألم تر أن العبــد يقتل ربه ... فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه ... اذا الخيل جالت فى قنا متكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنور
ألا رب مكروب أجبت ونائل ... بذلت ومعروف لديك ومنكر

(١) السدم من الماء بالتحريك المتدفق جمعه أسدام وسدام أو الواحد والجمع سواء
(٢) خظا لحمه اكتنز والبضيع اللحم (٣) الاندرى الحبل الغليظ وأهلب الفرس تابع الجرى
(٤) السنور كل سلاح من حديد

وقالت ترثيه أيضا

أقسمت أرثي بعد توبة هالكاً ... وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... اذا لم تصبه فى الحياة المعاير
وما أحد حى وان عاش سالماً ... بأخلد ممن غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً ... فلا بد يوما أن يُرَى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مقصر ... وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الحى مما يحدث الدهر مُعْتَب ... ولا الميت ان لم يصبر الحيُّ ناشر
وكل شباب أو جديد الى بِلًى ... وكل امرئ يوما الى الله صائر
وكل قرينى ألفة لتفرق ... شتاتا وان ضَنَّا وطال التعاشر
فلا يبعدنك الله حيا وميتا ... أخا الحرب ان دارت عليك الدوائر
فآليت لا أنفك أبكيك مادعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر
قتيل بنى عوف فيالهفتا له ... وما كنت اياهم عليه أحاذر
ولكنما أخشى عليه قبيلة ... لها بدروب الروم باد وحاضر

وقالت ترثيه

كم هاتف بك من باك وباكية ... يا توب للضيف اذ تدعى وللجار
وتوب للخصم ان جاروا وان عندوا ... وبدلوا الأمر نقضاً بعد امرار
أن يصدروا الأمر تطلعه موارده ... أو يوردوا الأمر تحلله باصدار

وقالت ترثيه

هراقت بنوعوف دماً غير واحد ... له نبأ نجديه سيغور
تداعت له أفناء عوف ولم يكن ... له يوم هضب الرّدهتين نصير

وقالت ترثيه

يا عين بكي بدمع دائم السجم ... وابكي لتوبة عند الروع والبهم

على فتى من بني سعد فجعت به ماذا أجنّ به فى الحفرة الرجم
من كل صافية صرف وقافية مثل السنان وأمر غير مقتسم
ومصدرحين يُعْيي القوم مصدرهم وجفنة عند نحس الكوكب الشئم

سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى عن توبة فقال ويحك يا ليلى أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقاً والناس شجرة بغى يحسدُون أهل النعم حيث كانت وعلى من كانت ، ولقد كان يا أمير المؤمنين سبْط البنان ، حديد اللسان ، شجىً للأقران ، كريم المختبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له ، قال وما قلت له ؟ قالت قلت ولم أتعد الحق وعلى فيه

بعيد الثرَى لا يبلغ القوم قعره ألدّ ملدّ يغلب الحق باطله
اذا حل ركب فى ذراه وظله ليمنعهم مما تخاف نوازله
حماهم بنصل السيف من كل فادح يخافونه حتى تموت خصائله (١)

فقال لها معاوية ويحك يزعم الناس أنه كان عاهراً خارباً (٢) ، فقالت من ساعتها

معاذَ إلهي كان والله سيداً جواداً على العلّات جمّا نوافله
أغرّ خفاجياً يرى البخل سُبَّة تحلب كفاه الندى وأنامله
عفيفاً بعيد الهم صلْباً قناته جميلاً مُحيّاه قليلاً غوائله
وقد علم الجوع الذى بات سارياً على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنك رحب الباع يا توْبَ بالقِرَى اذا ما لئيم القوم ضاقت منازله
يبيت قرير العين من بات جارَه ويضحى بخير ضيفه ومُنازله

فقال لها معاوية ويحك لقد جزت بتوبة قدره ، فقالت والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أنى مقصرة فى نعته وأنى لا أبلغ كنه ما هو أهله ، فقال لها معاوية من أى الرجال كان ؟ قالت

---

(١) الخصيلة كل لحمة فيها عصب والجمع خصائل (٢) الخارب اللص

أتته المنايا حين تم تمامه وأقصر عنه كل قِرْن يصاوله
وكان كليث الغاب يحمى عَرِينه وترضى به أشباله وحلائله
غضوب حليم حين يطلب حلمه وسم زُعاف لا تصاب مقاتله

فأمَرَ لها بجائزة وقال خبريني بأجود ما قلت فيه من الشعر ، قالت يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيئاً الا والذى فيه من خصال الخير أكثر منه ولقد أجدت حين قلت

جزى الله خيراً والجزاء بكفه فتى من عُقَيل ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه ولا ينفك جَمَّ التصرف
ينال عليات الأمور بهَوْنة اذا هى أعيت كل خِرْق مُشَرَّف
هو الذوب بل أَرْىُ الضَّحالى شبته بدُرْياقة من خمر بِيسان قَرْقَف
فيا توب ما فى العيش خير ولا ندى يعد وقد أمسيت فى ترب نَفْنَف
وما نلت منك النصف حتى ارتمت بك الـــمنايا بسهم صائب الوقع أعجف
فيا ألف ألف كنت حياً مسلماً لألقاك مثل القَسْوَر المتعارف
كما كنت اذ كنت المنجى من الردى اذا الخيل جالت بالقنا المتقصف
وكم من لَهِيف مُجحَرَ قد أجبته بأبيض قطاع الضريبة مُرْهَف
فأنقذته والموت يحرق نابه عليه ولم يطعُن ولم يتنسف (١)

بينا الحجاج جالس اذ استؤذن لليلى ، فقال أدخلوها ، فدخلت امرأة طويلة دَعْجاء العينين ، حسنة المشية ، الى القوة ما هي ، حسنة الثغر ، فسلمت ، فرد الحجاج عليها ورحب بها ، فدنت ، فقال الحجاج وراءك ، ضع لها وسادة يا غلام فجلست ، فقال ما أعملك الينا ؟ قالت السلام على الأمير ، والقضاء لحقه والتعرض لمعروفه ، قال وكيف خلفت قومك ؟ قالت تركتهم فى حال خِصْب وأمن ودَعَة ،

(١) تنسف فى الصراع قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره

أما الخِصبُ ففى الأُموال والكلأ ، وأما الأمن فقد أمنهم الله عز وجل بك ، وأما الدَّعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم ، ثم قالت ألا أُنشدك ؟ فقال اذا شئتِ ، فقالت

أحجاج لا يُفلَل سلاحك انها الـــمنايا بكف الله حيث تراها

اذا هبط الحجاج أرضاً مريضة ... تتبع أقصى دائها فشــفاها

شفاها من الداء العُضال الذى بها ... غلام اذا هزَّ القناة ســقاها

سقاها دماء المارقين وعلها ... اذا أجمحت يوماً وخيف أذاها

اذا سمع الحجاج صوت كتيبة ... أعد لها قبل النزال قِراها

أعد لها مصقولة فارســية ... بأيدى رجال يحسنون غذاها

أحجاج لا تعط العصاة مناهمُ ... ولا الله يعطى للعصاة مناها

ولا كل حلَّاف تقلد بيعة ... فأعظم عهــد الله ثم شراها

فقال الحجاج ليحيى بن منقذ لله بلادُها ما أشعرها ، فقال مالي بشعرها علم ، فقال عليَّ بعبيدة بن وهب وكان حاجبه ، فقال أنشديه ، فأنشدته ، فقال عبيدة هذه الشاعرة الكريمة قد وجب حقها ، قال ما أغناها عن شفاعتك يا غلام مُرْ لها بخمسمائة درهم واكسها خمسة أثواب أحدها كساء خز وأدخلها على ابنة عمها هند بنت أسماء فقل لها حلّيها ، فقالت أصلح الله الأمير أضرَّ بنا العَرِيف في الصدقة وقد خربت بلادنا وانكسرت قلوبنا فأخذ خيار المال ، قال اكتبوا لها الى الحكم بن أيوب فليبتع لها خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيباً واكتبوا الى صاحب اليمامة بعزل العريف الذى شكته ، فقال ابن وهب أصلح الله الأمير أأصلها ؟ قال نعم ، فوصلها بأربعمئة درهم ، ثم قال لها الحجاج بالله يا ليلى أرأيتِ من توبة أمراً تكرهينه أو سألكِ شيئاً يعاب ؟ قالت لا والله الذى أسأله المغفرة ما كان ذلك منه قط ، فقال اذ لم يكن فيرحمنا الله وإياه

قال الحجاج لليلى ان شبابك قد ذهب واضمحل أمرك وأمر توبة فأقسم عليك الا صدقتني هل كانت بينكما ريبة قط ؟ أو خاطبك فى ذلك قط ، فقالت لا والله أيها الأمير الا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر ، فقلت له

وذى حاجة قلنا له لا تَبُحْ بها فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه وأنت لأخرى فارغ وخليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرّق بيننا الموت ، قال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت وجه صاحباً الى حاضرنا ، فقال اذا أتيت الحاضر من بني عبادة ابن عقيل فاعْلُ شرفاً ، ثم اهتف بهذا البيت

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة من الدهر لا يسرى الىّ خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى ، فقلت له

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه عزيزٌ علينا حاجة لا ينالها

بشار بن برد العقيلى

يكنى أبا معاذ محله فى الشعر وتقدمه فى طبقات المحدثين فيــه باجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلك يغني عن وصفه واطالة ذكر محله وهومن مخضرمى شعراء الدولتين العباسية والأموية قد شهر فيهما ومدح وهجا فأخذ سنىّ الجوائز مع الشعراء

ولاؤه لبني ربيعة بن عقيل ، سأله المهدى لما دخل عليه فقال له فيمن تعتد يا بشار ، فقال أما اللسان والزى فعربيان وأما الأصل فعجمى كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين

ونبئت قوماً بهم جِنَّة يقولون مَن ذا وكنت العَلَم

ألا أيها السائلي جاهداً ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت فى الكرام بني عامر فروعى وأصلى قريش العجم
فانى لأغني مقام الفتى وأصبى الفتاة فما تعتصم

وكان أبو دلامة حاضراً ، فقال كلا لوجهك أقبح من ذلك ووجهى مع وجهك فقال بشار كلا والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك والله انى لطويل القامة عظيم الهامة تام الالواح أسجح الخدين ولرب مسترخى المزورين للعين فيه مراد ، ثم قال له المهدى من أى العجم أصلك ؟ فقال من أكثرها فى الفرسان وأشدها على الأقران أهل طخارستان ، فقال بعض القوم أولئك الصُّغْد فقال لا الصغد تجار ، فلم يردد ذلك المهدى

وكان بشار كثير التلون فى ولائه شديد التشعب والتعصب للعجم ، مرة يقول يفتخر بولائه فى قيس

أمنت مضرة الفحشاء انى . أرى قيساً تَشُبّ ولا تضار
كأن الناس حين تغيب عنهم نبات الارض أخطأه القِطار
وقد كانت بتَدْمُرَ خيل قيس فكان لتدْمُرٍ فيها دمار
بحى من بنى عيلان شُوسٍ يسير الموت حيث يقال ساروا
وما نلقاهم إلا صدرنا برِيٍّ منهم وهم حرار

ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم مولى العُرَيْب فخذ بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها أهل الفَعال ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع سبحان مولاك الأجل الاكبر

وقال يفتخر بولاء بنى عَقيل

انى من بنى عُقَيل بن كعب موضع السيف من طُلَى الاعناق

وكان يلقب بالمُرعَّث لقوله

قال ريم مُرعَّث ساحر الطرف والنظر
لست والله نائلى قلت أو يغلب القدر
أنت إن رمت وصلنا فانجُ هل تدركُ القمر

وولد بشار أعمى فما نظر الى الدنيا قط وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض فى شعره فيأتى بما لا يقدر عليه البصراء أن يأتوا بمثله فقيل له يوماً وقد أنشد قوله

كأن مُثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تَهاوَى كواكبه

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولاشيئاً فيها ؟ فقال ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الأشياء فيتوفر حسه وتزكو قريحته ثم أنشدهم قوله

عَمِيت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافداً بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنَوْرِ الأرض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

وكان من أشد الناس تبرماً بالناس وكان يقول الحمد لله الذى ذهب ببصرى فقيل له ولم يا أبا معاذ ؟ قال لئلا أرى ما أبغض ، وكان يلبس قميصاً له لبنتان فاذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله

قال الأصمعى بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم

وقيل لابى عبيدة أمروان عندك أشعر أم بشار ، فقال حكم بشار لنفسه بالاستظهار انه قال ثلاثة عشر الف بيت جيد ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية والاسلام هذا العدد وما أحسبهم برزوا فى مثلها ومروان أمدح للملوك

قال التوّزى قل بشار أزرى بشعرى الأذان « يقول انه اسلامى » وقال

أبو عبيدة قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ثم بلغ الحلم وهو مخشى معرة لسانه ، قال وكان بشار يقول هجوت جريراً فأعرض عنى واستصغرنى ولو أجابنى لكنت أشعر الناس ، وكان الأصمعي يقول بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم ، قال أبو زيد كان راجزاً مقصداً ، قال بشار لى اثنا عشر الف بيت عين

وسئل الاصمعى عن بشار ومروان أيهما أشعر ؟ فقال بشار فسئل عن السبب فى ذلك ، فقال لأن مروان سلك طريقاً كثر من يسلكه فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من كان فى عصره وبشار سلك طريقاً لم يسلك وأحسن فيه وتفرد به وهو أكثر تصرفا وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعاً ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائل وقال ابن أبي حاتم سمعت الأصمعي وقد عاد الى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حفصة فقال وجدت أهل بغداد وقد ختموا به الشعراء وبشار أحق بأن يختموهم به من مروان ، فقيل له ولم ؟ فقال وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان فى حياة بشار يقول شعراً حتى يصلحه له بشار ويقومه ، وهذا سلم الخاسر من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه فى الجوائز وسلم معترف بأنه تبع لبشار ، وقيل لأبى زيد أيما أشعر ؟ بشار أم مروان فقال بشار أشعر ومروان أكفر ، وقال مرة مروان أجد وبشار أهزل فحدث الأصمعي بذلك فقال بشار يصلح للجد والهزل ومروان لا يصلح الا لأحدهما

وقيل لبشار ليس لأحد من شعراء العرب شعر الاوقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه وانه ليس فى شعرك ما يشك فيه ، قال ومن أين يأتيني الخطأ ؟ ولدت ههنا ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وان دخلت الى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت الى أن أدركت ، فمن أين يأتيني الخطأ ؟

كان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخياط فاتخذ جاماً لانسان كان بشار عنده

فسأله بشار أن يتخذ له جاماً فيه صور طير تطير ، فاتخذه له وجاءه به ، فقال له مافي هذا الجام ؟ فقال صور طير تطير ، فقال كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنه يريد صيدها فانه كان أحسن ، قال لم أعلم ، قال بلى قد علمت ولكن علمت انى أعمى لا أبصر شيئاً وتهدده بالهجاء ، فقال له حمدان لا تفعل فانك تندم قال أو تهددنى أيضاً ؟ قال نعم ، قال فأى شيء تستطيع أن تصنع بى ان هجوتك ؟ قال أصورك على باب دارى بصورتك هذه « وذكر مالا يجمل ذكره » حتى يراك الصادر والوارد ، فقال بشار اللهم اخزه أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد

كان جرير بن المنذر السدوسى يفاخر بشاراً فقال فيه بشار

أمثل بنى مُضَر وائل — فقدتك من فاخر ، ما أجن
أفى النوم هذا أبا منذر — فخيراً رأيت وخيراً يكن
رأيتك والفخر فى مثلها — كعاجنة غير ما تَطّحِن

قال محمد بن الحجاج كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه فى اليمانية والمضرية اذ أذن المؤذن فقال له بشار رويداً تفهم هذا الكلام ، فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله قال له بشار أهذا الذى نودى باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صُداء وعكّ وحمير ؟ فسكت الرجل

وقال قلت لبشار إنى أنشدت فلاناً قولك

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى — ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

فقال له ماكنت أظنه إلا لرجل كبير ، فقال بشار أفلا قلت له هو والله لأكبر الجن والانس ؟

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة ، فراسلها يسألها زيارته ، فوعدته بذلك ثم أخلفته ، وجعل ينتظرها ليلة حتى أصبح ، فلما لم تأته أرسل اليها ليعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها فكتب اليها بهذه الأبيات

يا ليلتي تزداد نكرا من حب من أحببت بكرا
حوراء ان نظرت اليك سقتك بالعينين خمرا
وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحراً
وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهبا وعطرا
وكأنها برد الشرا ب صفا وصادف منك فطرا
جنية انسية أو بين ذاك أجل أمرا
وكفاك انى لم أحط بشكاة من أحببت خبْرا
إلا مقالة زائر نثرت لى الاحزان نثرا
متخشعاً تحت الهوى عشراً وتحت الموت عشرا

وكان اسحق الموصلى لايعتد ببشار ويقول هو كثير التخليط فى نثره وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً ، أليس هو القائل ؟

إنما عظم سليمى حبتى قصب السكر لاعظم الجمل
وإذا أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

لو قال كل شيء جيد ثم أضيف اليه هذا لزيفه ، وكان يقدم عليه مروان ويقول هو أشد استواء شعر منه وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها وكان لايعد أبا نواس البتة ولا يرى فيه خيراً

قال الجاحظ كان بشار خطيباً صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل وهو من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع المتفننين فى الشعر القائلين فى أكثر أجناسه وضروبه وقال الشعر في حياة جرير وتعرض له وحكى أنه قال هجوت جريرا فأعرض عني ولو هاجانى لكنت أشعر الناس وكان يدين بالرجعة ويكفر

جميع الأمة ويصوب رأى ابليس فى تقديم النار على الطين وذكر مثل ذلك فى شعره فقال

الأرض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانت النار

وبلغه عن واصل بن عطاء انكار لقوله وهتف به ، فقال يهجوه

مالي أشايع غزالا له عنق   كنقنق الدوّ ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالى وبالكم   أتكفرون رجالا أكفروا رجلا

فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على الحاده خطب به واصل وكان ألثغ على الراء فكان يجتنبها فى كلامه فقال أما لهذا الملحد المكنى بأبى معاذ من يقتله ، أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست اليه من يبعج بطنه فى جوف منزله أو فى حفله ثم كان لا يتولى ذلك إلا عقيلى أو سدوسى ، وكان واصل قد بلغ من اقتداره على الكلام وتمكنه من العبارة أن حذف الراء من جميع كلامه وخطبه وجعل مكانها ما يقوم مقامها

وكانوا يقولون أحسن الناس ابتداء فى الجاهلية امرؤ القيس وفى الاسلام القطامى ومن المحدثين بشار حيث يقول

أبى طلل بالجزع أن يتكلما   وماذا عليه لو أجاب متيما
وبالفرع آثار بقين وباللوى   ملاعب لا يعرفن إلا توهما

وكان الأصمعى يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه ، ويقول كان مطبوعا لا يكلف طبعه شيئاً متعذراً لا كمن يقول البيت ويحككه أياما ، وكان يشبه بشارا بالأعشى والنابغة الذبيانى ويشبه مروان بزهير والحطيئة ويقول هو متكلف ، وقال نجم بن النطاح عهدى بالبصرة وليس فيها غزل ولا غزلة الا يروى من شعر بشار ولا نائحة ولامغنية الا تتكسب به ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف معرّة لسانه

وقال بعض الرواة لأبي عمرو من أبدع الناس بيتاً ؟ قال الذي يقول

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم
وإذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
روّحي يا عبدَ عني واعلمي أنني يا عبدَ من لحم ودم
ان في بُرْدَيَّ جسماً ناحلا لو توكأت عليه لانهدم

قال فمن أمدح الناس ؟ قال الذي يقول

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وهذه الأبيات لبشار

ودخل بشار الى ابراهيم بن عبدالله بن حسن فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأي يستعمله في أمره ، فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها في ابي مسلم وحذف منها أبياتاً وأولها

أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال أبا مسلم

على الملك الجبار يقتحم الرَّدى ويصرعه في المأزق المتلاحم
كأنك لم تسمع بقتل مُتَوَّج عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم
تقسم كسرى رهطُه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائم

يعني الوليد بن يزيد

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة عليه ولا جرى النحوس الأشائم
مقيماً على اللذات حتى بدت له وجوه المنايا حاسرات العمائم
وقد تَرِدُ الأيام غُرّاً وربما وردن كلوحا باديات الشَّكائم

ومَرْوان قد دارت على رأسه الرحا وكان لما أجرمت نزر الجرائم

فأصبحت تجري سادراً في طريقهم ولا تتقي أشباه تلك النقائم

تجردت للاسلام تعفو سبيله وتُعرى مطاه لليوث الضراغم

فما زلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم

فرم وَزَرا ينجيك يا ابن سلامة فلست بناج من مَضيم وضائم

جعل موضع يا ابن سلامة يا ابن وشيكة وهي أم أبي مسلم

لحا الله قوماً رأسوك عليهم وما زلت مرؤساً خبيث المطاعم

أقول لبسام عليه جلالة غدا أَرْيحيا عاشقاً للمكارم

من الفاطميين الدعاة الى الهدى جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم

هذا البيت حذفه بشار من الأبيات

سراج لعين المستضئ وتارة يكون ظلاماً للعدو المزاحم

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشُّورى عليك غضاضة فان الخوافي قوة للقوادم

وما خير كف أمسك الغُلّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم

وخل الهُوَينا للضعيف ولا تكن نؤوماً فان الحزم ليس بنائم

وحارب اذا لم تُعطَ إلا ظلامة شَبا الحرب خير من قبول المظالم

وأدنِ على القربى المقرب نفسه ولا تُشْهِد الشُّورى امرأ غير كاتم

فانك لا تستطرد الهم بالمُنَى ولا تبلغ العليا بغير المكارم

اذا كنت فرداً هرَّك القوم مقبلا وان كنت أدنى لم تفز بالعزائم

وما قرع الاقوام مثل مشيع أريب ولا جَلَّى العمى مثل عالم

قال أبو عبيدة ميمية بشار هذه أحب إليَّ من ميميتي جرير والفرزدق ،
وقال الأصمعي لبشار يا أبا معاذ ان الناس يعجبون من أبياتك في المشورة فقال له

يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك فى مكروهه، فقال له أنت فى قولك هذا أشعر منك فى شعرك

توفى ابن لبشار فجزع عليه فقيل له أجر قدمته وفرَط افترطته وذُخر أحرزته، فقال ولد دفنته وثُكل تعجلته وغَيب وُعدته فانتظرته والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة وقال يرثيه

أجارتنا لا تجزعى وأنيبى ... أتانى من الموت المطلّ نصيبى
بُنىّ على رَغمى وسُخطى رُزئته ... وبُدِّل أحجارا وجال قَليب
وكان كريحان العروس تخاله ... ذوَى بعد اشراق يسر وطيب
أصبت به فى حين أورق غصنه ... وألقى عليَّ الهم كل قريب
عجبت لاسراع المنية نحوه ... وما كان لو مليته بعجيب

قيل لبشار انك لتجئ بالشئ الهجين المتفاوت، قال وما ذاك؟ قيل بينما تقول شعراً يثير النَّقع وتخلع به القلوب مثل قولك

اذا ما غضبنا غضبة مُضَرية ... هتكنا حجاب الشمس أو تُمطر الدما
اذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ... ذُرَى منبر صلى علينا وسلما

تقول

رَبابة رَبَّة البيت ... تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات ... وديك حسن الصوت

فقال لكل وجه فالقول الاول جد وهذا قلته فى رَبابة جاريتى وأنا لا آكل البيض من السوق ورَبابة لها عشر دجاجات وديك فهى تجمع لي البيض فهذا عندها أحسن من « قفانبك » عندك وسألته جارية مغنية لبعض ولد سليمان بن علي وكانت محسنة بارعة الظرف أن يذكرها فى قصيدة ولا يذكر فيها اسمها ولا اسم سيدها ويكتب بها اليه، فانصرف وكتب اليه

وذات دَلّ كأن البدر صورتها باتت تغني عميد القلب سكرانا
« ان العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا »
فقلت أحسنت ياسؤلى ويا أملى فأسمعيني جزاك الله احسانا
« ياحبذا جبل الرَّيان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا »
قالت فهلاَّ فدتك النفس أحسن من هذا لمن كان صب القلب حيرانا
« ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقه والأذن تعشق قبل العين أحيانا »
فقلت أحسنت أنت الشمس طالعةً أضرمت فى القلب والأحشاء نيرانا
فأسمعيني صوتاً مطربا هزَجا يزيد صبا محبا فيك أشجانا
ياليتنى كنت تفاحا مُفَلَّجة أوكنت من قُضُب الريحان ريحانا
حتى اذا وجدت ريحى فأعجبها ونحن فى خلوة مثلت انسانا
فحركت عودها ثم انثنت طربا تشدو به ثم لا تخفيه كتمانا
« أصبحت أطوع خلق الله كلهم لأكثر الخلق لى فى الحب عصيانا »
فقلت أطربتنا يازين مجلسنا فهات انك بالاحسان أولانا
لو كنت أعلم أن الحب يقتلني أعددت لى قبل أن ألقاك أكفانا
فغنت الشَّرْب صوتا مُونِقا رَمَلا يُذكى السرور ويبكى العين ألوانا
« لايقتل الله من دامت مودته والله يقتل أهل الغدر أحيانا »

قال هلال بن عطية وهو هلال الرأى لبشار وكان له صديقاً يمازحه ان الله لم يذهب بصر أحد الا عوضه بشىء فما عوضك ؟ قال الطويل العريض ، قال وما هذا ؟ قال ألا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ، ثم قال له ياهلال أتطيعنى فى نصيحة أخصك بها ؟ قال نعم ، قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير فهى والله خير لك من الرفض وكان هلال يستثقل وفيه يقول بشار

وكيف يخف لي بصرى وسمعى وحولى عسكران من الثقال

قعوداً حول دَسكرتي وعندي كأن لهم عليَّ فضولَ مالي
اذا ماشئت صبحني هـلال وأى الناس أثقل من هـلال

ودخل عليه نسوة خمس وهو فى مجلس له ببيتـه يسميه البردان يسألنه أن يقول شعرا ينحن به فقال لست بقائل لكن حرفا أو تطعمن من طعامى وتشربن من شرابى فتما سكن ساعة ثم قالت واحدة منهن ماعليكن ؟ هو أعمى فكان طعامه واشربن شرابه وخذن شعره فبلغ ذلك الحسن البصرى فعابه وهتف ببشار فبلغه ذلك وكان بشار يسمى الحسن القس فقال

لما طلعن من الرقيـق على بالبردان خمسا
وكأنهن أهـلة تحت الثياب زففن شمسا
باكرن عطر لطيمـة وغمسن في الجادىّ غمسا
لما طلعـن حففنها وأصخن ما يهمسن همسا
ليت العيون الطارقا ت طُمسن عنا اليوم طمسا
فأصبن من طرف الحديـث لذاذة وخرجن قلسا
لولا تعرضهن لي يا قسّ كنت كأنت قسّا

كان الزوار يسمَّوْن فى قديم الدهر الى أيام خالد بن برمك السُّؤَّال ، فقال خالد هذا والله اسم أستثقله لطلاب الخير وأرفع قدر الكرم عن أن يسمى به أمثال هؤلاء المؤمنين لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدباً ولكننا نسميهم الزوار ، فقال بشار يمدحه بذلك

حذا خالد فى فعله حذو برْمك فمجد له مسـتطرف وأصيل
وكان ذوو الآمال يدعوْن قبله بلفظ على الاعـدام فيه دليل
يسمَّوْن بالسؤَّال فى كل موطن وان كان فيهم نابه وجليل
فسماهم الزوار سـتراً عليهمُ فأستاره فى المهتدين سدول

وقال بشار هذا الشعر فى مجلس خالد فى الساعة التى تكلم خالد بهذا فى أمر الزوار ، فأعطاه لكل بيت ألف درهم

دخل بشار على عقْبة بن سَلم فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عقبة بن رؤبة ينشده رجزاً يمدحه به ، فسمعه بشار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار فقال هذا طِرَاز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار ألى يقال هذا ؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك وجدك ، فقال له عقبة أنا وأبى فتحنا للناس باب الغريب وباب الرَّجز وانى لخليق أن أسده عليهم ، فقال بشار ارحمهم رحمك الله ، ولما كان من غد غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التى مدحه فيها

يا طَلَلَ الحى بذات الصَّمَدْ ... بالله خبر كيف كنتَ بعدى
أوحشتَ من دَعْدٍ وتِربِ دَعْدِ ... سقياً لأسماء ابنة الأَشَدِّ
قامت تراءى اذ رأتنى وحدى ... كالشمس تحت الزِّبْرِجِ المنقدِّ
صدت بخد وجلت عن خد ... ثم انثنت كالنَّفَس المرتد
عهدى بها سقياً له من عهد ... تُخلِف وعداً وتفى بوَعد
فنحن من جَهْدِ الهوى فى جهد ... وزاهر من سَبِط وجَعْدِ
أهدى له الدهر ولم يستهد ... أفواف نَوْر الحِبَرِ المجد
يلقى الضحى ريحانه بسَجْدِ ... بدلت من ذاك بُكى لا يجدى
وافق حظاً من سعى بجِدِ ... ما ضر أهل النوك ضَعف الجَد
الحر يُلحَى والعصا للعبد ... وليس للملحف مثل الرد
والنَّصف يكفيك من التعدى ... وصاحبٍ كالدُّمَّل المُمِدِّ
حملته فى رقعة من جلدى ... أرقب منه مثل يوم الوِرْد
حتى مضى غير فقيد الفقد ... وما درى ما رغبتى من زهد
اسلم وحييت أبا الملدّ ... مفتاح باب الحدث المنسد
مشترك النيل ورِىّ الزَّند ... أغرّ لباس ثياب الحمد

ما كان مني لك غير الود ثم ثنــــاء مثل ريح الورد
نسـجته فى محكمات النــد فالبس طرازى غير مسترد
لله أيامك فى معـــــدّ وفى بني قحطان غير عد
يوماً بذى طِخفَة عند الحد ومثله أودعت أرض الهند
بالمرهفات والحديد السَّرْد والمقرَّبات المبعدات الجُرْد
اذا الحيا أكدى بها لا تُكْدِي تُلحم أمراً وأموراً تُسْدِى
وابن حكيم ان أتاك يَرْدِى أصم لا يسمع صوت الرعد
حيبته بتحفة المعــــد فانهدّ مثل الجبل المنهد
كل امرىء رهن بما يؤدى ورب ذى تاج كريم الجد
كآل كسرى وكآل برد أنـكب جاف عن سبيل القصد
فصلته عن ماله والولد

فطرب عقبة بن مسلم وأجزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزى وهرب من تحت ليلته فلم يعد اليه

قال الجاحظ فانظر الى سوء أدب عقبـة بن رؤبة وقد أجمل بشار محضره وعشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة وكان أبوه أعلم خلق الله به لأنه قال له وقد فاخره بشعره أنت يابنيَّ ذهبان الشعر ، اذا مت مات شعرك معك فلم يوجد من يرْويه بعدك ، فكان كما قال له ما يعرف له بيت واحد ولا خبر غير هذا الخبر القبيح الا خبار عنه الدال على سخفه وسقوطه وسوء أدبه

وقال بشار فى هوى له كانت بالبصرة ، ثم خرجت مع زوجها الى عُمان

هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرت وأشفى لقلبي أن تَهُبّ جَنوب
وما ذاك الا أنها حين تنتهى تناهى وفيها من عبيدة طيب
عذيرى من العذال اذ يعذُلوننى سفاها وما فى العاذلين لبيب

يقولون لو عزيت قلبك لارعوى　　فقلت وهل للعاشقين قلوب

اذا نطق القوم الجلوس فانني　　مكب كأني في الجميع غريب

جاء أبو الشمقمق الى بشار يشكو اليه الضيقة ويحلف له أنه ما عنده شيء ، فقال له بشار والله ما عندي مايغنيك ولكن قم معي الى عقبة بن سلم ، فقام معه ، فذكر له أبا الشمقمق وقال هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم ، فقال له بشار

يا واحد العرب الذى　　أمسى وليس له نظير

لو كان مثلك آخراً　　ما كان فى الدنيا فقير

فأمر لبشار بألفي درهم ، فقال أبو الشمقمق نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ ، فجعل بشار يضحك

دخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى و بشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد وكانت فيه غفلة فقال ياشيخ ماصناعتك ؟ فقال أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدى ثم قال لبشار اغرب ويلك أتتنادر على خلى ؟ فقال له وما أصنع به ؟ يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته

وقف على بشار بعض المجّان وهو ينشد شعراً فقال له استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصفق بشار بيديه وغضب ثم قال له : ومن أنت ويلك ؟ قال أنا أعزك الله رجل من باهلة ، وأخوالى سلول ، وأصهارى عُكْل ، واسمى كلب ، ومولدى باضاخ ، ومنزلى بظفر بلال ، فضحك بشار ، ثم قال اذهب ويلك فأنت عتيق لؤمك قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد

مرّ بشار برجل قد رمحته بغلة وهو يقول الحمد لله شكراً ، فقال له بشار استزده يزدك ، ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها فقال مالهم مسرعين ؟ أتراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم

رفع غلام بشار اليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال والله مافي الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة مابلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم

قال قدامة بن نوح كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التى لاحقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه « غنى للغريض ياابن قنان » فقيل له من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغنى البصرة ، قال وما عليكم منه ؟ ألكم قبله دين فتطلبوه به أو ثار تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به فاذا غاب طالبتموني باحضاره ؟ قالوا ليس بيننا وبينه شيء من هذا وانما أردنا أن نعرفه ، فقال هو رجل يغني لى ولا يخرج من بيتى ، فقالوا له الى متى ؟ فقال مذ يوم ولد وإلى أن يموت ، وذكر أيضاً فى هذه القصيدة « البردان » فقيل له يا أبامعاذ أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه بالبصرة فقال هو بيت فى بيتى سميته بالبردان ، أفعليكم من تسميتى دارى وبيوتها شيء فتسألونى عنه ؟

دخل أعرابى على مجزأة بن ثور السدوسى و بشار عنده وعليه بزة الشعراء ، فقال الأعرابى من الرجل ؟ فقالوا رجل شاعر ، فقال أمولى هو أم عربى ؟ قالوا بلى مولى ، فقال الأعرابى ، وما للموالي وللشعر ؟ فغضب بشار وسكت هنيهة ثم قال أتأذن لي يا أبا ثور ؟ قال قل ما شئت يا أبا معاذ ، فأنشأ بشار يقول .

خليلي لا أنام على اقتسار ... ولا آبى على مولى وجار
سأخبر فاخر الاعراب عنى ... وعنه حين تأذن بالفخار
أحين كسيت بعد العرى خزاً ... ونادمت الكرام على العقار
تفاخر يا ابن راعية وراع ... بنى الأحرار حسبك من خسار
وكنت إذا ظمئت إلى قراح ... تركت الكلب في ولغ الإطار
تريغ بخطبة كسر الموالى ... وينسيك المكارم صيد فار

وتغدو للقنافذ تدريها ولم تعقل بدرّاج الديار
وتتشح الشمل للابسيها وترعى الضأن بالبلد القفار
مقامك بيننا دنس علينا فليتك غائب فى حر نار
ونخرك بين خنزير وكلب على مثلى من الحدث الكبار

فقال مجزأة للأعرابى قبحك الله فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك قال جعفر بن محمد النوفلى وكان يروى شعر بشار كنت عند بشار ذات يوم فحدثني قال ماشعرت منذ أيام الابقارع يقرع بابى مع الصبح ، فقلت ياجارية انظرى من هذا ، فرجعت وقالت هذا مالك بن دينار ، فقلت ماهو من أشكالي ولا أضرابى ثم قلت ائذنى له ، فدخل فقال يا أبا معاذ أتشتم أعراض الناس وتشبب بنسائهم ؟ فلم يكن عندى إلا أن دفعت عن نفسى وقلت لا أعود ، فخرج عنى وقلت فى أثره

غدا مالك بملاماته على وما بات من باليه
تناول خوْداً هضيم الحشى من الحور محطوطة عالية
فقلت دع اللوم فى حبها فقبلك أعيت عذاليه
وإنى لأكتمهم سرها غداة تقول لها الجالية
عبيدة مالك مسلوبة وكنت معطرة حالية
فقالت على رِقْبة انني رهنت المرعث خلخاليه
بمجلس يوم سأوفى به ولو أجلب الناس أحواليه

كان رجل يقال له سعد بن القعقاع ينتدم بشاراً فى المجانة فقال لبشار وهو ينادمه ويحك يا أبا معاذ قد نسبنا الناس إلى الزندقة فهل لك أن تحج بنا حجة تنفى ذلك عنا ؟ قال نعم ما رأيت ، فاشتريا بعيراً ومحملا وركبا ، فلما مرا بزُرارة قال له ويحك يا أبا معاذ ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ، مل بنا إلى زُرارة نتنعم فيها فاذا قفل الحاج عارضناهم بالقادسية وجززنا رءوسنا فلم يشك الناس أنا جئنا من

الحج ، فقال له بشار نعم ما رأيت لولا خبث لسانك وانى أخاف أن تفضحنا ، قال لا تخف ، فالا إلى زرارة فما زالا يشربان الخمر ، فلما نزل الحاج بالقادسية راجعين أخذا بعيراً ومحملا وجزا رءوسهما وأقبلا وتلقاهما الناس يهنونهما فقال سعد بن القعقاع

ألم ترنى وبشاراً حججنا   وكان الحج من خير التجارة
خرجنا طالبي سفر بعيد   فمال بنا الطريق الى زرارة
فآب الناس قد حجوا وبرّوا   وأبنا موقرين من الخسارة

ومن قول بشار فى جارية له سوداء

وغادة سوداء براقة   كالماء فى طيب وفى لين
كأنها صيغت لمن نالها   من عنبر بالمسك معجون

أنشد الأصمعى قول بشار يهجو باهلة

ودعانى معشر كلهمُ   حمق دام لهم ذاك الحمق
ليس من جرم ولكن غاظهم   شرفى العارض قد سد الافق

قالت امرأة لبشار أى رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ، قال أما علمت أن بيض البزاة أشهر من سود الغربان ؟ فقالت له أما قولك فحسن فى السمع ومن لك بأن يحسن شيبك فى العين كما حسن قولك فى السمع ؟ فكان بشار يقول ما أفحمني قط غير هذه المرأة

دعا عقبة بن سلم بشاراً ودعا بحماد عجرد وأعشى باهلة فلما اجتمعوا عنده قال لهم انه خطر ببالى البارحة مثل يتمثله الناس « ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا أذنين » فأخرجوه من الشعر ومن أخرجه فله خمسة آلاف درهم وان لم تفعلوا جلدتكم كلكم خمسمائة جلدة ، فقال حماد أجلنا أعز الله الأمير شهراً وقال الأعشى أجلنا أسبوعين وبشار ساكت لا يتكلم ، فقال له عقبة مالك لا تتكلم أعمى الله

قلبك ، قال أصلح الله الأمير قد حضرني شيء فان أمرت قلته ، قال قل ، فقال

شط بسلمى عاجل البين — وجاورت أسد بني القَيْنْ
ورنت النفس لها رنة — كادت لها تنشق نصفين
يا ابنة من لا أشتهى ذكره — أخشى عليه علق الشين
والله لو ألقاكِ لا أتقي — عيناً لقبَّلتك ألفين
طالبتها ديني فراغت به — وعلقت قلبي مع الدين
فصرت كالعير غدا طالباً — قرناً فلم يرجع بأذنين

فانصرف بشار بالجائزة

حَجَّ المنصور فاستقبل بالرَّضم الذى بين زُبالة والشقوق ، فلما رحل من الشقوق رحل فى وقت الهاجرة فلم يركب القبة وركب نجيبا ، فسار بين القوم فجعلت الشمس تضحك بين عينيه فقال إنى قائل بيتاً فمن أجازه وهبت له جبتى هذه ، ثم قال

وهاجرة نصبتِ لها جبيني — يقطع ظهرها ظهر العِظاية

فبدر بشار فقال

وقفت بها القلوص ففاض دمعي — على خدي وأقصر واعظايه

فنزع الجبة وهو راكب فدفعها اليه

ومن أحاسن بشار قوله من القصيدة التى أولها

أخشاب حقاً أن دارك تزعج — وان الذى بيني وبينك ينهج

يقول فيها

فوا كبدا قد نضج الشوق نصفها — ونصف على نار الصبابة ينضج
وواحزنا منهن يحففن هودجاً — وفى الهودج المحفوف بدر متوج
فإن جئتها بين النساء فقل لها — عليك سلام مات من يتزوج

بكيت وما في الدمع منك خليقة ولكن أحزاني عليك توهج

دعاه رجل إلى منزله فأكل وشرب ولما أراد الانصراف قامت جارية للرجل وأخذت بيده فلما صار بالصحن أومأ اليها ليقبلها فأرسلت يدها من يده فجعل يجول فى العرصة وخرج مولى الجارية فقال ما لك يا أبا معاذ ؟ فقال أذنبت ذنباً ولا أبرح أو أقول شعراً ، فقال

أتوب اليك من السيئات وأستغفر الله من فعلتى
تناولت ما لم أرد نيله على جهل أمري وفى سكرتى
وو الله والله ما جئته لعمد ولا كان من همتى
وإلا فمت اذاً ضائعاً وعذبنى الله فى ميتتى
فمن نال خيراً على قبلة فلا بارك الله فى قبلتى

لما أنشد بشار عقبة بن مسلم أرجوزته السابقة أمر له بخمسين الف درهم فأخرها وكيله ثلاثة أيام فأمر بشار غلامه أن يكتب على باب عقبة عن يمين الباب

ما زال ما منيتنى من همى والوعد غم فأزح من غمى
إن لم ترد حمدى فراقب ذمى

فلما خرج عقبة رأى ذلك فقال هذا من فعلات بشار ثم دعا بالقهرمان وأمره أن يعجل لبشار الجائزة وأن يزيد عليها عشرة آلاف درهم

لما كثر استهتار نساء البصرة وشبانها بشعر بشار وقل سوار بن عبد الله ومالك بن دينار ما شىء أدعى لأهل هذه المدينة الى الفسق من أشعار هذا الأعمى وما زالا يعظانه وكان واصل بن عطا يقول ان من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد ، فلما كثر ذلك وانتهى خبره إلى المهدى نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب ، وكان المهدى من أشد الناس غيرة ، فقال فى ذلك

يا منظراً حسناً رأيــــت بوجه جارية فديته
بعثت إليَّ تسومني ثوب الشباب وقد طويته
والله رب محمـــد ما ان غدرت ولا نويته
أمسكت عنك وربما عرض البلاء وما ابتغيته
أن الخليفة قد أبى واذا أبى شيئاً أبيته
ومخضب رخص البنا ن بكى عليَّ وما بكيته
ويشوقني بيت الحبيـــب اذا ادكرت وأين بيته
قام الخليفة دونه فصبرت عنه وما قليته
ونهانى الملك الهما م عن النساء وما عصيته
لا بل وفيت فلم أضع عهداً ولا نأياً رأيته
وأنا المطل على العدى واذا غلا الحمد اشتريته
أصفى الخليل اذا دنا واذا نأى عني نأيته
وأميل فى أنس النديـــم من الحياء وما اشتهيته

وكان الخليل بن احمد ينشد هذه الأبيات ويستحسنها ويعجب بها

وكان لبشار خمسة ندماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البراء فركب في زورق يريد عبور دجلة العوراء فغرق فكان بشار يقول ما خير فى الدنيا بعد الأصدقاء ثم رثى أصدقاءه بقوله

يا ابن موسى ماذا يقول الامام فى فتاة بالقلب منها أُوام
بت من حبها أوقر بالكأ س ويهفو على فؤادي الهيام
لم يكن بينها وبيني إلا كتب العاشقين والأحلام
يا ابن موسى اسقني ودع عنك سلمى ان سلمى حمى وفيَّ احتشام
رب كأس كالسلسبيل تعللـــتُ بها والعيون عنى نيـــام

حبست للشراة فى بيت رأس　　عتقت عانساً عليها الختام
نفحت نفحة فهزّت نديمي　　بنسيم وانشق عنها الزكام
وكأن المعلول منها اذا را　　ح شيــــخ فى لسانه برسام
صدمته الشمول حتى بعينيـــه انكسار وفى انفصال خام
وهو باق الأطراف حيت به الكأ　　س وماتت أوصاله والكلام
وفتى يشرب المـــدامة بالما　　ل ويمشي يروم ما لا يرام
أنفدت كأسه الدنانير حتى　　ذهب العين واستمر السوام
تركته الصهباء يرنو بعين　　نام انسانها وليست تنــــام
جن من شربة تعلّ بأخرى　　وبكى حين سار فيه المدام
كان لي صاحباً فأودى به الدهـــر وفارقته عليه السلام
بقى الناس بعد هلك نداما　　ى وقوعا لم يشعروا ما الكلام
كجزور الأيسار لا كبد فيهــــا لباغ ولا عليها سنام
يا ابن موسى فقد الحبيب على العيــــن قذى فى الفؤاد منه سقام
كيف يصفو لي النعيم وحيداً　　والأخلاء في المقابر هام
نفستهم عليّ أم المنــــايا　　فأنامتهم بعنف فنـــاموا
لا يغيض السجام عيني عليهم　　إنما غاية الحزين السجام

وقال فى نهى الخليفة له عن ذكر النساء

والله لولا رضا الخليفة ما　　أعطيت ضيماً عليّ فى شجن
وربما خير لابن آدم فى الكره　　وشق الهوى على البدن
فاشرب على ابنة الزمان فما　　تلقى زماناً صفا من الأبن
الله يعطيك من فواضله　　والمرء يغضى عيناً على الكمن
قد عشت بين الريحان والـــراح والزهر فى ظل مجلس حسن

وقد ملأت البلاد ما بين يغبـور الى القيروان فاليمن
شعراً تصلي له العواتق والشـيب صلاة الغواة للوثن
ثم نهاني المهدي فانصرفت نفسي صنيع الموفق اللقن
فالحمـد لله لا شريك له ليس بباق شيء على الزمن

وأنشد المهدي قصيدته التي أولها

تجاللت عن فهر وعن جارتي فهر ووعت نعما بالسلام وبالبشر
وقالت سليمى فيك عنا جلادة محلك دانٍ والزيادة عن عفر
أخي في الهوى مالي أراك جفوتنا وقد كنت تقفونا على العسر واليسر
تثاقلت إلا عن يد أستفيدها وزورة أملاك أشـد بها أزري
وأخرجني من وزر خمسين حجة فتى هاشمي يقشعر من الوزر
دفنت الهوى حياً فلست بزائر سليمى ولا صفراء ما قرقر القمري
ومصفرة بالزعفران جلودها اذا اجتليت مثل المفرطحة الصفر
فرب ثقال الردف هبت تلومني ولو شهدت قبري لصلت على قبري
تركت لمهدي الأنام وصالها وراعيت عهداً بيننا ليس بالختر
ولولا أمير المؤمنين محمـد لقبلت فاها أو لكان بها فطري
لعمري لقد أوقرت نفسي خطيئة فما أنا بالمزداد وقراً على وقر
تسلى عن الاحباب صرام خلة ووصال أخرى ما يقيم على أمر
وركاض أفراس الصبابة والهوى جرت حججاً ثم استقرت فلا تجري
فأصبحن ما يركبن إلا إلى الوغى وأصبحت لا يزري علي ولا أزري
فهذا واني قد شرعت مع التقى وماتت همومي الطارقات فما تسري

ثم قال يصف السفينة

وعذراء لا تجري بلحم ولا دم قليلة شكوى الأين ملجمة الدبر

اذا طعنت فيه الفلول تشخصت ‏ ‏ بفرسانها لا فى وُعوث ولا وَعْر
وان قصدت زَلّت على متنصب ‏ ‏ ذليل القُوى لاشئ يَفْرِى كما تفرى
تلاعب تيار (١) البحور وربما ‏ ‏ رأيت نفوس القوم من جريها تجرى
الى ملك من هاشم فى نبوة ‏ ‏ ومن حميَر فى الملك والعدد الدَّثْر
من المشترين الحمد تندى من الندى ‏ ‏ يداه ويندى عارضاه من العطر
فألزمت حبلى حبل من لا تغبُّهُ ‏ ‏ عُفَاة الندى من حيث يدرى ولايدرى
بنى لك عبدالله بيت خلافة ‏ ‏ نزلت بها بين الفراقد والنَّسر
وعندك عهد من وصاة محمد ‏ ‏ فَرَعْتَ به الأملاك من ولد النَّضْر

ورد بشار على خالد بن بَرْمك وهو بفارس فامتدحه فوعده ومطله فوقف على طريقه وأنشد

أظلت علينا منك يوماً سحابة ‏ ‏ أضاءت لنا برقاً وأبطا رشاشها
فلا غيمها يُجلى فييأس طامع ‏ ‏ ولا غيثها يأتى فيُروَى عطاشها

فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال لن تنصرف السحابة حتى تَبُلَّك ان شاء الله

وقال بشار فى رجل استثقله

ربما يثقل الجليس وان كا ‏ ‏ ن خفيفاً فى كفة الميزان
كيف لا تحمل الأمانة أرض ‏ ‏ حملت فوقها أبا سفيان

وقال فيه أيضاً

هل لك فى مالي وعرضى معاً ‏ ‏ وكل ما يملك جيرانيه
واذهب إلى أبعد ما ينتوى ‏ ‏ لا ردك الله ولا ماليه

ولما أنشد الوليد بن يزيد قول بشار

أيها الساقيان صُبَّا شرابى ‏ ‏ واسقيانى من ريق بيضاء رُود

(١) كان قد قال تيار البحور فنابه بذلك سيبويه فجعله تيار الحور

ان دائي الظما وان دوائي شربة من رُضاب ثغر بَرود
ولها مضحك كغرّ الأقاحي وحديث كالوشْي وشي البُرود
نزات في السواد من حبة القلـــب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت نلقاك بعد ليال والليالي يُبْلين كل جديد
عندها الصبر عن لقائي وعندي زفرات يأكلن قلب الحديد

طرب الوليد وقال من لي بمزج كأسي هذه من ريق سلمى فيروى ظمئي وتطفأ غلتي ، ثم بكي حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال ان فاتنا ذاك فهذا

دخل بشار على المهدى وقد عرضت عليه جارية مغنية ، فسمع غناءها فأطربه وقال لبشار قل في صفتها شعراً فقال

ورائحة للعين فيها مَخيلة اذا برقت لم تسق بطن صعيد
من المستهلات السرور على الفتى خفي برقها فى عبقر وعقود
كأن لساناً ساحراً فى كلامها أعين بصوت للقلوب صيود
تميت به ألبابنا وقلوبنا مرارا وتحييهن بعد همود

دخل بشار على عقبة بن سلم فأنشده

انما لذة الجواد ابن سَلْم فى عطاء ومركب ولقاء
حرم الله أن ترى كابن سلم عقبة الخير مطعم الفقراء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف وانما يلذّ طعم العطاء
يسقط الطير حيث ينتثر الحـــب وتُغْشى منازل الكرماء
لا أبالي صفح اللئيم ولا تجـــرى دموعى على الخؤون الصفاء
فعلى عقبة السلام مقيماً واذا سار تحت ظل اللواء

فوصله بعشرة آلاف درهم

قال الأصمعى كنت أشهد خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلفاً الاحمر يأتيان

بشاراً و يسلمان عليه بغـاية التعظيم ثم يقولان يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما و يسألانه و يكتبان عنه متواضعين له حتى يأتى وقت الظهر ثم ينصرفان عنه ، فأتياه يوماً فقالا له ماهذه القصيدة التى أحدثتها فى مسلم ابن قتيبة ؟ قال هى التى بلغتكما ، قالا بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب ، فقال نعم بلغنى ان مسلماً يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه مالا يعرفه ، قالا فأنشدنا ، فأنشدهما

بكرا صاحبيّ قبل الهجير ... ان ذاك النجاح فى التبكير

حتى فرغ منها ، فقال له خلف لو قلت يا أبا معاذ مكان ان ذاك النجاح « بكرا فالنجاح فى التبكير » كان أحسن ، فقال بشار بنيتها أعرابية وحشية ، فقلت إن ذاك النجاح كما يقول الأعراب البدويون ولو قلت بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل فى معنى القصيدة، فقام خلف فقبل بين عينيه وقال له خلف بن أبى عمرو يمازحه لو كان عُلاثة ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخى ولكنك مولى ، فمد بشار يده فضرب بها فخذ خلف وقال له

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته ... فانه عربى من قوارير

فقال له أتعلمها يا أبا معاذ ؟ وكان أبو عمرو يغمز فى نسبه

مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه

لعمرى لقد أجدى علىّ ابن برمك ... وما كل من كان الغنى عنده يُجدى

حلبت بشعرى راحتيه فدرّتا ... سماحاً كما در السحاب مع الرعد

إذا جئته للحمد أشرق وجهه ... اليك وأعطاك الكرامة بالحمد

له نعـــم في القوم لا يستثيبها ... جزاء وكيل التاجر المدّ بالمد

مفيد ومتلاف سبيل تُراثه ... اذا ما غدا أو راح كالجزر والمد

أخالد إن الحمد يبقى لأهله ... جمالا ولا تبقى الكنوز على الكد

فأطعم وكل من عارة مستردة ... ولا تُبقها إن العوارى للرد

فأعطاه خالد ثلاثين الف درهم وكان قبل ذلك يعطيه فى كل وفادة خمسة آلاف درهم وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان فى صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه وقال ابنه يحيى بن خالد آخر ما أوصانى به أبى العمل بهذين البيتين

استمنح بشار العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه فقال يهجوه

ظل اليسار على العباس ممدود　　وقلبه أبداً فى البخل معقود
ان الكريم ليخفى عنك عسرته　　حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل　　زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرهت أن تعطي القليل ولم　　تقدر علي سعة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجى للنوال فما　　ترجى الثمار اذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلته　　فكل ماسد فقراً فهو محمود

وكان اسحق الموصلى يطعن على شعر بشار ويضع منه ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً فقيل له أتقول هذا لمن يقول

إذا كنت فى كل الامور معاتباً　　صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أوصل أخاك فانه　　مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى　　ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وهى من غرر قصائده مدح بها عمر بن هبيرة ومنها قوله

يخاف المنايا إن ترحلت صاحبى　　كأن المنايا فى المقام تناسبه
فقلت له إن العراق مقامه　　وخيم إذا هبت عليك جنائبه
لألقى بنى عيلان إن فعالهم　　تزيد على كل الفعال مراتبه
أولاك الأولى شقوا العمى بسيوفهم　　عن العين حتى أبصر الحق طالبه
وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا　　وبالشوك والخطي حمراً ثعالبه
غدونا له والشمس في خدر أمها　　تطالعنا والطل لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه وتدرك من نجى الفرار مثالبه
كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
بعثنا لهم موت الفجاءة إننا بنو الموت خفاق علينا سبائبه
فراحوا فريق في الاسار ومثله قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

ومنها

إذا الملك الجبار صعّر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه
رويداً تصاهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبه
وسام لمروان ومن دونه الشجا وهول كلج البحر جاشت غواربه
أحلت به أم المنايا بناتها بأسيافنا انا ردى من نحاربه
وكنا إذا دب العدو لسخطنا وراقبنا فى ظاهر لا نراقبه
ركبنا له جهراً بكل مثقف وأبيض تستسقى الدماء مضاربه

ومنها

فلما تولى الحي واعتصر الثرى لظى الصيف من نجم توقد لاهبه
وطارت عصافير الشقائق واكتسى من الآل أمثال المجرة ناضبه
غدت عانة[1] تشكو بأبصارها الصدى الى الجأب إلا أنها لا تخاطبه

ومن حسن شعره

لو كنت تلقين مانلقى قسمت لنا يوماً نعيش به منكم ونبتهج
لاخير فى العيش إن كنا كذا أبداً ما فى التلاقى ولا في قبلة حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
أشكو إلى الله هماً ما يفارقنى وشرّعاً فى فؤادى الدهر تعتلج

(١) العانة القطعة من الحمير والجأب ذكرها ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبين فى أحداقها فغارت وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والأتن

وفد على خالد بن برمك فأنشده

أخالد لم أخبط اليك بذمة   سوى أنني عافٍ وأنت جواد
أخالد بين الأجر والحمد حاجتى   فأيهما تأتى فأنت عماد
فان تعطني أفرغ عليك مدائحى   وان تأب لم يضرب على سداد
ركابي على حرف وقلبي مشيَّع   ومالى بأرض الباخلين بلاد
اذا أنكرتني بلدة أو نكرتها   خرجت مع البازي على سواد

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار فى أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شماله وآخر بين يديه وآخر خلفه وقال يا أبا معاذ هل استقل العماد ؟ فلمس الاكياس ثم قال استقل والله أيها الامير

قال أبان بن عبد الحميد نزل فى ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس بن عيلان وكان فيهم بيان وفصاحة، فكان بشار يأتيهم وينشدهم أشعاره التى يمدح بها قيساً فيجلونه لذلك ويعظمونه ، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن اليه وينشدهن أشعاره فى الغزل وكنت كثيراً ما آتى فى ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم فأتيتهم يوماً فاذا هم ارتحلوا ، فجئت الى بشار فقلت يا أبا معاذ أعلمت أن القوم قد ارتحلوا ؟ قال لا ، فقلت فاعلم ، قال قد علمت لا علمت ، ومضيت ، فلما كان بعد ذلك بأيام سمعت الناس ينشدون

دعا فرق من تهوى أبان   ففاض الدمع واحترق الجنان
كأن شرارة وقعت بقلبي   لها فى مقلتى ودمى استنان
اذا أنشدت أو نسمت عليها   رياح الصيف هاج لها دخان

فعلمت أنها لبشار ، فأتيته فقلت يا أبا معاذ ما ذنبي اليك ؟ قال ذنب غراب البين ، فقلت هل ذكرتني بغير هذا ؟ قال لا ، فقلت أنشدك الله ألا تزيد ، فقال امض لشأنك فقد تركتك

أنشد بشار جعفر بن سليمان

أقلي فانا لاحقون وانما يؤخرنا أنا يعد لنا عدا
وما كنت الا كالأغر ابن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى به حمدا

فقال له من ابن جعفر ؟ قال الطيار فى الجنة ، فقال له لقد ساميت غير مسامىً فقال والله ما يقعدنى عن شأوه بعد النسب ولكن قلة النَّشَب ، وانى لأجود بالقليل وان لم يكن عندى الكثير وما علي من جاد بما يملك ألَّا يهب البدور ، فقال له جعفر لقد هززت يا أبا معاذ ، ثم دعا بكيس فدفعه اليه

قيل لبشار انك لكثير الهجاء ، فقال انى وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر والا فليبالغ فى الهجاء ليخاف فيعطى

قال أبو حاتم كان الأخفش قد طعن على بشار فى قوله

فالآن أقصر عن سُمية باطلى وأشار بالوَجَلَى على مشير

وفى قوله

على الغَزَلى منى السلام فربما لهوت بها فى ظل مرءومة زهر

وفى قوله فى صفة سفينة

تلاعب نينان البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

وقال لم يسمع من الوجل والغزل فعلى ولم أسمع بنون ونينان ، فبلغ ذلك بشاراً فقال ويلي على القصارين متى كانت الفصاحة فى بيوت القصارين دعونى وإياه ، فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجزع ، فقيل له ما يبكيك ؟ فقال ومالي لا أبكي وقد وقعت فى لسان بشار الأعمى ، فذهب أصحابه الى بشار فكذبوا عنه واستوهبوا منه عرضه وسألوه ألَّا يهجوه ، وكان الأخفش بعد ذلك يحتج بشعره فى كتبه ، فكف عن ذكره

مرّ بعض أهل الكوفة ببشار وهو متبطح في دهليزه كأنه جاموس ، فقال يا أبا معاذ من القائل

في حلتي جسم فتى ناحل   لو هبت الريح به طاحا

قال أنا ، قال الكوفي ما حملك على هذا الكذب والله انى لأرى أن لو بعث الله الرياح التى أهلكت الأمم الخالية ما حركتك من موضعك ، فقال بشار من أين أنت ، قال من أهل الكوفة ، فقال يا أهل الكوفة لا تدعون ثقلكم ومقتكم على كل حال

مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئاً ، فقيل له لم يستجد شعرك ، فقال والله لقد قلت فيه شعراً لو قيل فى الدهر لم يُخش صرفه على أحد ولكنا نكذب فى القول فنكذب فى الأمل

مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران وخرج اليه ، وأنشده قوله فيه

نأتك على طول التجاور زينب   وما شعرت أن النوى سوف يشعب
يرى الناس ما تلقى بزينب اذ نأت   عجيباً وما تخفي بزينب أعجب
وقائلة لي حين جد رحيلنا   وأجفان عينيها تجود وتسكب
أغاد الى حران فى غير شيمة   وذلك شأو عن هواها مغرّب
فقلت لها كلفتنى طلب الغنى   وليس وراء ابن الخليفة مذهب
سيكفى فتى من سعيه حد سيفه   وكور علافى ووجناء ذعلب
اذا استوعرت دار عليه رمى بها   بنات الصوى منها ركوب ومصعب
فعدى الى يوم ارتحلت وسائلى   بزورك والرحال من جاء يضرب
لعلك أن تستيقنى أن زورتى   سليمان من سير الهواجر تعقب
أغر هشامى القناة اذا انتمى   نمته بدور ليس فيهن كوكب

وما قصدت يوماً فحيلين خيله فتنصرف الا عن دماء تصبب

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم ، وكان يبخل ، فلم يرضها ، وانصرف عنه مغضباً ، فقال

ان أمس منقبض اليدين عن الندى وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد أروح على اللئام مسلطاً ثَلِجَ المقيـل منعم النُّدمان
فى ظل عيش عشيرة محمودة تندى يدي ويُخاف فرط لسانى
أزمان خيبنى الشباب مطاوع واذ الامير عليَّ من حرّان
ريم بأحوية العراق اذا بدا برقت عليه أكِلَّة المَرْجان
فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى وبوشك رؤيتها من الهملان
فلقرب من تهوى وأنت متيم أشفى لدائك من بنى مَرْوان

قدم بشار على المهدي بالرصافة فدخل عليه فى البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه فأنشده مديحاً يقول فيه

كأنما جئته أبشره ولم أجئ راغباً ومحتلباً
يزين المنبر الأشم بعطفيـه وأقواله اذا خطبا
تُشَم نعلاه فى الندىّ كما يشم ماء الريحان منتهبا

قال وقد طلب منه أن ينشده شيئا من غزله

وقائل هات شوقنا فقلت له أنائم أنت ياعمرو بن سمعان
أماسمعت بما قدشاع فى مُضَر وفى الحليفين من بكر وقحطان
قال الخليفة لا تنسب بجارية اياك اياك أن تشقى بعصيان

وقال له المهدى قل فى الحب شعرا ولا تطل واجعل الحب قاضياً بين المحبين لا تسم أحداً فقال

اجعل الحب بين حبي وبينى قاضياً انني به اليوم راض

فاجتمعنا فقلت ياحِبَّ نفسى ... ان عينى قليلة الاغماض
أنت عذبتنى وأنحلت جسمى ... فارحم اليوم دائم الأمراض
قال لي لا يحل حكمى عليها ... أنت أولي بالسقم والاعراض
قلت لما أجابني بهواها ... شَمَلَ الجورفى الهوى كل قاض

فبعث اليه المهدى حكمت علينا ووافقنا ذلك فأمر له بالف دينار

وكان بشار صديقاً لواصل بن عطاء وكان قد مدحه وذكرخطبته التى خطبها فنزع منها كلها الراء وكانت على البديهة وهى أطول من خطبتى خالد بن صفوان وشبيب بن شبة فقال

تكلف القول والأقوام قد حفلوا ... وحبروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تلفى بداهته ... كمرجل القين لما حُفَّ باللَّهب
وجانب الراء لم يشعر به أحد ... قبل التفصح والاغراق في الطلب

فلما دان بشار بالرجعة وأكفر الامة انقلبت صداقة واصل الى عداوة

ومن شعر بشار

لقد كاد ما اخفى من الوجد والهوى ... يكون جوًى بين الجوانح أو خبلا
إذا قال مهلاً ذو القرابة زادنى ... ولوعاً بذكراها ووجداً بها مهلا
فلا يحسب البيض الأوانس أن فى ... فؤادي سوى سُعدي لغانية فضلا
فأقسم إن كان الهوى غير بالغ ... بى القتل من سعدى لقد جاوز القتلا
فياصاح خبرنى الذى أنت صانع ... بقاتلتى ظلماً وما طلبت ذَحلا
سوى اننى فى الحب بينى وبينها ... شددت على اكتام سر لها قفلا

وحدث احمد بن خالد عن أبيه قال كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد فكان يقول لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله وكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما أظن الامر يا أبا خالد إلا كما تقول وان الذى نحن فيه خذلان ولذلك أقول

طبعت على ما فيَّ غير مخير هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أُعطى وأُعطى فلا أُرد وقصر على أن أنال المغيبا
فأصرف عن قصدى وعلمى مقصر وأُمسى وما أعقبت إلا التعجبا

رثى بشار بنتاً له فقال

يابنت من لم يك يهوى بنتا ما كنت إلا خمسة أو ستا
حتى حللت فى الهوى وحتى فتتِّ قلبي من جوى فانفتا
لأنتِ خير من غلام بتا يصبح سكران ويمسي بهتا

كان نافع بن عقبة بن سلم جواداً ممدحاً وكان بشار منقطعاً الى أبيه فلما مات أبوه وفد اليه وقد ولى مكان أبيه فمدحه بقوله

ولنافع فضل على أكفائه إن الكريم أحق بالتفضيل
يانافع الشَّبرات حين تناوحت هوج الرياح وأعقبت بِوُبول
أشبهت عقبة غير ما متشبه ونشأت فى حلم وحسن قبول
ووليت فينا أشهراً فكفيتنا عنَت المريب وسلة التضليل
تدعى هلالا فى الزمان ونافعاً ولسلم نعم أبوة المأمول

فأعطاه مثل ما كان أبوه يعطيه فى كل سنة إذا وفد عليه

جاء بشار أصحابه يوماً مغتماً فسئل مالك مغتماً فقال مات حمارى فرأيته فى النوم فقلت له لم مت ألم أكن أحسن اليك ؟ فقال

سيدى خذ بى أتانا عند باب الاصبهانى
تيمتني ببنان وبدَلّ قد شجانى
تيمتني يوم رحنا بثناياها الحسان
وبغُنج ودلال سل جسمى وبرانى
ولها خد أسيل مثل خد الشيفرانى

فلذا مت ولو عشـــت اذاً طال هوانى

فقيل له ما الشيفرانى فقال مايدرينى ؟ هـذا من غريب الحمير فاذا رأيت حماراً فاسأله

وقال بشار فى عشق السمع

ياقوم أُذنى لبعض الحى عاشقة ... والأُذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لاترى تهذى فقلت لهم ... الأذن مثل العين توفى القلب أحيانا
هل من دواء لمشغوف بجارية ... يلقى بلقيانهـا روحاً وريحانا

وقال فى مثل ذلك

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها ... قلبي فأضحى به من حبها أثر
أنَّى ولم ترها تَهذِى فقلت لهم ... إن الفؤاد يرى مالا يرى البصر
أصبحت كالحائم الحيران مجتنباً ... لم يقض ورداً ولا يرجى له صدر

وقال

يزهدنى فى حب عبدة معشر ... قلوبهمُ فيهـا مخالفـة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان فى موضع الهوى ... ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن الا كل حسن دعا الصبا ... وألف بين العشق والعاشق الصب

وقال

يا قلب مالي أراك لاتقر ... اياك أعنى وعنـدك الخبر
أذعت بعد الأولى مضوا حرقاً ... أماضاع مااستودعوك اذ بكروا

وقال

ان سليمى والله يكلؤهـا ... كالسكر يزداد على السكر
بلغت عنها شكلا فأعجبنى ... والسمع يكفيك غيبة البصر

وقال وقدح المهدى فحرمه

خليلى ان العسر سوف يُفيق ... وان يساراً فى غد لخليق
وما كنت الا كالزمان اذا صحا ... صحوت وان ماق الزمان أموق
أأدماء لا أسطيع فى قلة الثرى ... خزوزاً ووشياً والقليل محيق
خذى من يدى ماقل ان زماننا ... شَموس ومعروف الرجال رفيق
خليلىّ ان المال ليس بنافع ... اذا لم ينل منه أخ وصديق
وكنت اذا ضاقت علىّ محلة ... تيممت أخرى ما علىّ تضيق
وماخاب بين الله والناس عامل ... له فى التقى أو فى المحامد سوق
وما ضاق فضل الله عن متعفف ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

هجا بشار يعقوب بن داود وزير المهدى فقال

بنى أمية هبوا طال نومكمُ ... ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الناى والعود

فاتهمه عند المهدى بالزندقة وقال انه قد هجا المهدى فأمر فضرب بالسياط حتى مات

تم الجزء الرابع

ويليه الجزء الخامس وأوله

شعراء خندف

فهرس الكتاب

تابع الفهرست